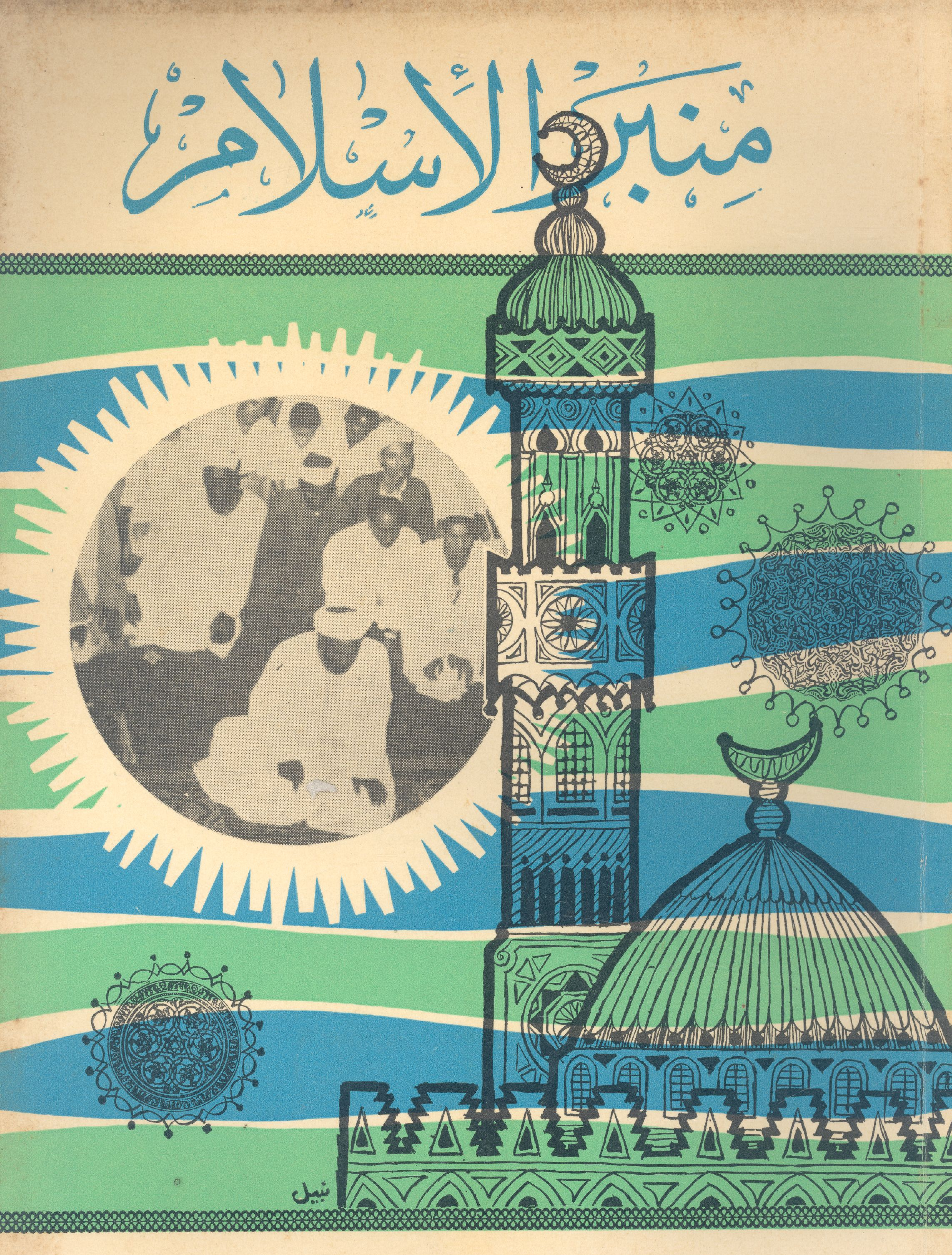


العدد ٨ - السنة ١٩ - شعبان ١٣٨١ - يناير ١٩٦٢

الثمن ٥ قروش



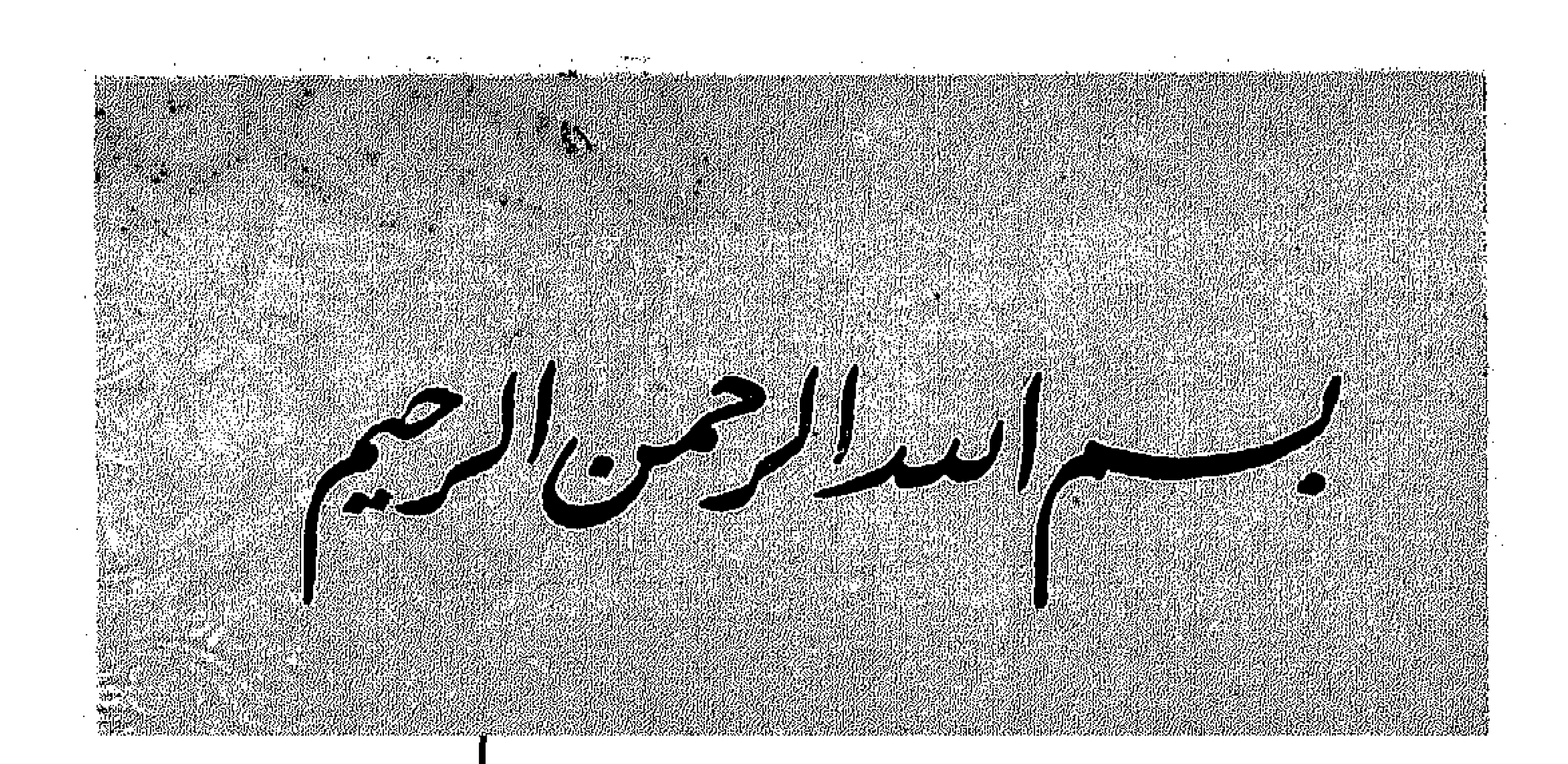
مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها:
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بوزارة الأوقاف

فى غرة كل شهر عربى

رئيس التحرير محمد الغزالى

شعبان ١٣٨١
يناير ١٩٦٢
العدد ٨ السنة ١٩



الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الاقليم الجنوبى

٤٠ قرشا للعمال والطلبة

٧ ليرات فى الاقليم الشمالى

٧ ريالات سعودية

٨ ريالات هندية

١٣ شلنا

٧٠٠فلس

*

والاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الامير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

من محتويات العدد

"الشعوب المؤمنة بحقها
في الحرية والحياة
تستطيع أن تتمتع بالحرية والحياة"
جمال عبد الناصر



مقتطفات من حديث السيد الرئيس في عيد العلم .

الثقافة الحرة أساس النهضة الناجحة .

كانت ثورة ٢٣ يوليو تعبيرا عن كفاح هذا الشعب ، من أجل الثورة السياسية ، ومن أجل الثورة الاجتماعية ، ومن أجل الثورة الثقافية .

كان الجيش حينما خرج في ٢٣ يوليو يعبر عن آمال الشعب التي كافح الشعب من أجلها طويلا ، آماله في فتح آفاق جديدة ترفرف عليها رايات الكفاية والعدل

كان الجيش حينما خرج في ٢٣ يوليو ، كان يعمل على أن يكون طليعة لهذه الثورة الكبرى ، التي كافح الشعب من أجلها طويلا

وحينما نجحت ثورة ٢٣ يوليو فتح طريق الثورة السياسية ، وفتح طريق الثورة الاجتماعية ، وفتح أيضا طريق الثورة الثقافية كان معنى نجاح ثورة ٢٣ يوليو ، أننا سنبني مجتمعا جديدا ، متحررا من الاستغلال السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي

كان معنى نجاح هذه الثورة ، أننا سنحول بلدنا ، سنحول مصر ، المستعبدة سياسيا والمستغلة اقتصاديا ، الى مصر الحرة سياسيا ، والمتحررة اقتصاديا ، والمتحررة من الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي . الى بلد تسودها ثقافة جديدة .

٣ ثورات : سياسية واجتماعية وثقافية

وانتصار هذه الثورة في ٢٣ يوليو انما يعني أننا نريد نظاما سياسيا جديدا ، ونريد نظاما اجتماعيا جديدا ، ونريد أيضا ثقافة جديدة

وكان لابد للمراحل الثلاث أن تسير على مراحل مختلفة . كان لابد للثورة السياسية أن تبدأ عملها ، ثم كان لابد للثورة الاجتماعية ان تسير في طريقها ، ثم كان أيضا لابد للثورة الثقافية من أن تفرض وجودها .

وكانت الثورة السياسية هي أول مرحلة من مراحل هذه الثورة . وفي أول أيام هذه الثورة قلت لكم - أيها الاخوة - : اننا سنسير في هذه الثورة . في ثورة سياسية ، وفي ثورة اجتماعية ، وقلنا أيضا أننا سنسير أيضا في ثورة ثقافية ، لأن الثورة الثقافية انما هي الثورة الفكرية ، التي تمكننا من أن نحافظ على انتصاراتنا ، وتمكننا من أن نحافظ على مكاسبنا ، وتمكننا من أن نضع مطالب الشعب موضع التنفيذ ، وتمكننا من أن نقضي على الظلم الاجتماعي ، وتمكننا من أن نقضي على الاستبداد السياسي ، وتمكننا من أن نقيم بين ربوع بلادنا حياة حرة كريمة ، حياة نشعر فيها بالعدالة الاجتماعية ، حياة متحررة من الظلم الاجتماعي ، حياة نشعر فيها بأننا نسير جميعا من أجل بناء بلدنا تحت راية الكفاية والعدل .

ثورة ثقافية هادفة

ان الثورة الثقافية تضع نفسها في خدمة الثورة السياسية ، وفي خدمة الثورة الاجتماعية ، ونحن في سبيل بناء مجتمع مبني على أساس من الكفاية والعدل ، لابد لنا من ثورة ثقافية معادية للاستعمار ، معادية للرجعية ، معادية للاقطاع ، معادية لسيطرة رأس المال وديكتاتوريته ، معادية للاستغلال بكل معانيه . ثورة ثقافية هادفة الى أن يعرف

الشعب حقوقه ، يعرف مكاسبه ، يعرف آماله ثم يعرف من هم أعداؤه ، ومن هم أصدقاؤه ، ثم يعرف السبل التى تمكننا من أن نبنى المجتمع المتحرر ، المجتمع الذى تسوده الكفاية ويسوده العدل ·

من أجل هذا سرنا فى ثورتنا الثقافية مع الثورة الاقتصادية ، ومع الثورة الاجتماعية · كنا نريد أن نقضى على آثار الثقافة الاستعمارية وأنا حينما أقول : اننا نريد أن نقضى على آثار الثقافة الاستعمارية · لانعنى بأى حال اننا لا نريد الثقافة الأجنبية · اننا نريد الثقافة الأجنبية ، ولكن علينا أن نتبينها ، لنعرف الضار منها والمفيد · نأخذ المفيد ، ونترك الضار · ولكنى أقول الثقافة الاستعمارية التى كانت دائما تدفعنا الى اليأس ، أو تدفعنا الى أن تسيطر علينا روح الخنوع · لم تنجح هذه الثقافة ، لاننا لم نيأس ، لاننا نجحنا ، لم تنفع هذه الثقافة ، لان روح الخنوع لم تسيطر علينا ، وكما قلت لكم فى أول كلامى : ان الثقافة الشعبية قد انتصرت على الثقافة الاستعمارية ، لأن هذه الثورة قامت وهى تشعر بآمال الشعب ، وبأمانى هذا الشعب.

ان الثورة الثقافية ــ أيها الاخوة ــ هى سلاح قوى لجماهير الشعب ·

والثورة الثقافية ، لها أهمية كبرى بالنسبة للحركة التطبيقية الثورية · نحن فى ثورتنا نسير فى التطبيق ، من أجل القضاء على الاستغلال بكل معانيه ، الاستغلال السياسى الاستغلال الاجتماعى ، والاستغلال الاقتصادى من أجل اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، من أجل اقامة مفاهيم لنا ، تنبع من ضميرنا ، وتنبع من مصلحة أمتنا بمجموعها ، لا لمصلحة فئة قليلة من أبنائها · الثورة الثقافية لها أهمية كبرى لأنها هى التى تدعم التطبيق الثورى · هى التى تدعم الممارسة الثورية · هى التى تدعم العمل الثورى ·

أما جيش الثقافة ــ كما قلت لكم ــ فهو جماهير الشعب فى كل أنحاء هذه الجمهورية · هذا هو الجيش · كل فرد من أبناء البلد هو جيش الثقافة ، لا يمكن للثقافة أن تقتصر على فرد دون فرد · بهذه الثقافة نستطيع أن نؤمن مكاسبنا الاجتماعية ، مكاسبنا السياسية ، مكاسبنا فى الحرية ، مكاسبنا فى التخلص من الاستعمار وأعوان الاستعمار · بهذه الثقافة نستطيع أن نتغلب على الحرب التى تشنها ضدنا دوائر الاستعمار والرجعية ، كلنا نعلم أننا اليوم ونحن نبنى بلدنا على أساس جديد من العدالة الاجتماعية ، نواجه عداوة ضارية من الاستعمار ، وأعوان الاستعمار ، ومن الرجعية العربية فى جميع أنحاء العالم العربى ، لانهم يعلمون أن هذا هو الطريق الطبيعى · لأنهم يعلمون أن هذا هو الطريق الذى يجتذب الشعوب ، الشعوب التى تكافح أيضا من أجل حقها فى الحياة الحرة السليمة ، من أجل حقها فى الحياة الحرة الكريمة ، من أجل حقها فى العدالة الاجتماعية والقضاء على الظلم الاجتماعى ولهذا فاننا نواجه حملة ضارية من الاستعمار والرجعية ، ولكن أنا أومن أن هذا الشعب الذى استطاع أن يتغلب على ثقافة الاستعمار ، وعلى مؤثرات الاستعمار ، وكان فى بلادنا ٨٠ ألف جندى انجليزى ، وكان فى بلادنا ملك تعاون مع الاستعمار ، يستطيع أن يقضى على كل محاولات الرجعية وعلى كل محاولات الاستعمار ·

وأنا أشعر فى قرارة نفسى أن هذه المحاولات التى تحاولها الرجعية من حولنا أو الرجعية العربية ، ليست الا حلاوة الروح ، لانها تعلم مصيرها ، ولانها تعلم أن التطور الطبيعى للتاريخ والسير الطبيعى للزمن ·· أن لابد للشعوب أن تنتصر ·

اننا نحمد الله الذى نصرنا فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ حتى نضع هذه الآمال موضع التنفيذ · نحمد الله الذى نصرنا بعد ذلك فى كل معركة من معاركنا · نحمد الله ، ونعاهد الله أننا سنسير فى طريقنا لنبنى بين ربوع أمتنا المجتمع الحر السليم ، المجتمع المتحرر من من كل أنواع الاستغلال ، الاستغلال السياسى ، المتحرر من الاستغلال الاقتصادى ، المتحرر من الاستغلال الاجتماعى ، المتحرر من استغلال الانسان للانسان ·

والله يوفقكم والسلام عليكم »



السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
ووزير الشئون الاجتماعية والأوقاف

كلمة السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف فى المؤتمر الثالث للوعاظ والأئمة المنعقد بقاعة المحاضرات بالأزهر فى ٢٦ من رجب سنة ١٣٨١ الموافق ٣ من يناير سنة ١٩٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

أيها الاخوة :

اجتماعنا اليوم هو الاجتماع الثالث ، ويطيب لى قبل أن نبدأ حديث اليوم ان نستعيد ماقيل فى اجتماعنا الأول، واجتماعنا الثانى .

أما الاجتماع الأول ، فكان محاولة نتبين بها مكاننا ومن نحن ؟ وما هو الطريق ؟ وما هو الهدف ؟ وبهذا يمكن أن نتعرف كيف نبدأ دعوتنا ، وباسم من نتكلم ، ولمن نعمل ؟

ثم جئنا فى الاجتماع الثانى ، وتكلمنا عن المسئولية ، كيف بدأت وكيف نشأت ؟

وقلنا : ان واجبنا كدعاة هو أن نعمل فى حدود هذه المسئولية ، مؤمنين بالهدف ، واثقين بأنفسنا ، عارفين أنه بقدر ما نعمل ، وبقدر ماتحقق سيكون لنا الفوز ، وستكون لنا الغلبة ، ولا يمكن أن يكون لنا الفوز ، ولايمكن أن تكون لنا الغلبة الا بقدر اخلاصنا ، فان أحسن مايرتفع من الأرض الى السماء هو الاخلاص ، وخير ما يهبط من السماء الى الأرض هو التوفيق ، ((وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل)) .

فى هذا اليوم المبارك .. ذكرى الاسراء والمعراج ، نجتمع اليوم لنكمل اجتماعنا السابق

الذى تكلمنا فيه عن حدود المسئولية .

هذه المسئولية التى بدأت من حيث انتهى رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ بعد أن نزلت الآية : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وحينما نرى هذه المسئولية ونعرف حدودها، نجدها مسئولية كبيرة، وكل مسئول يجب أن يتعرف حدود مسئوليته ، ويجب أن ينفعل بهذه المسئولية ، وأن يخلص فى تحملها.

تلك المسئولية التى بدأ ضبطها فى الاسلام بأسلوب تدريبى سهل بسيط ، يمكن أن يستمر على مرور الزمن بلا رقابة الا رقابة الضمير .

ولقد حاولت فى محاضرتى السابقة أن أصور ــ بقدر مفهومى ــ وسائل التدريب ، التى أراد الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يجعل منها أساسا لاستمرار الرحمة ، حين قلت فى الاجتماع السابق : ان هدف الاسلام هو الرحمة ، **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** .. وحين قلت أيضا : ان الله ــ سبحانه وتعالى ــ الذى يتصف بالرحمة ، والذى هو الرحمن الرحيم ، اختار هذا الاسم من بين أسمائه ليدل على هدف هذه الرسالة ، وحتى نتذكر دائما أن هدف هذه الرسالة فى كل عمل من أعمالها وفى كل خطوة من خطواتها ، انما يستهدف الرحمة، وأن العمل الذى لايحقق الرحمة للفرد وللمجتمع وللبشر ، ليس من الاسلام فى شىء .

وانا اذا كنا نقسو ــ أحيانا ــ فانما نقسو رحمة بالمجتمع ، أو رحمة بالفرد ، أو رحمة بالبشرية .

ولذلك كانت كلمة الرحمة كلمة كبيرة ، فاذا قضينا أياما فى الكلام عنها فلكى نستبين الطريق ، ونستبين الهدف ، لأن ذلك كله من شأنه أن يحدد الطريق ، ويزيده وضوحا فى نظرنا ، حتى يمكننا أن نجد وسيلة الى الغاية الكبيرة فى تحقيق الهدف .

قلنا فى الاجتماع السابق : ان الصلاة هى الصلة بين العبد وربه ، وان الصلة لايمكن أن تكون الا بقدر ما نتجه بها الى الله ، اتجاها حقيقيا ، فتكون الصلة وتكون المحبة .

المحبة التى تقتضينا فى صورتها البدائية الا نخطىء فى حق من نتصل به ، وأن نعمل على ارضائه ، وعن هذا الطريق يتكون المواطن الصالح ، فكأن الصلاة هى وسيلة التدريب السهلة البسيطة المستمرة ، التى هى فى مقدور كل فرد ، والتى يمكن عن طريق صلة الفرد بربه فيها ، أن يتكون تكوينا صحيحا كفرد ناجح فى المجتمع ، وقلنا بعد ذلك : ان هذا الفرد مهما كان مستواه الخلقى فى تصرفه ، فليس له قيمة الا بقدر انفعاله وتفاعله مع المجتمع ، وبقدر المنفعة التى يقدمها هذا الفرد للمجتمع .

وتكلمنا بعد ذلك عن الصوم وكيف كان الصوم وسيلة سلبية لابراز مدى امكانياتنا كأفراد نلتزم بشىء مما نريد ، كوسيلة سلبية ، وكمدخل للزكاة ..

والزكاة هى الدعامة الثانية لتدعيم المجتمع، اذا راعينا بها حقوق المجتمع .

وتكلمنا بعد ذلك عن الحج وقلنا ان الحج هو المؤتمر لهذه المجتمعات المدربة الواعية العاملة فى هذا العالم ، فاذا ما اجتمع الناس فى هذه المعركة الكبرى التى تصورتها كتدريب مشترك كبير، تجتمع فيها المجتمعات الاسلامية على اختلافها ، فانما يعبر ذلك عن التفاعل الحقيقى لاكتساب سياسة روحية جديدة ، تدفعهم الى المزيد من العمل ، والمزيد من الاجتهاد .

وهذا الاجتماع الذى تصورته على أنه مبيت فى العراء ، وتحرك فى الليل والنهار ، هو أشبه ما يكون بالمعركة الكبرى ، يجتمع فيها الجنود ــ جنود الرحمن ــ من كل مكان ، ليعلوا كلمة الله .

هذا الاجتماع ، اجتماع الجند واجتماع القادة ، انما يعبر عن السبيل والوسيلة الحقيقية لاعلاء كلمة الله ، والبحث فى شئونهم جميعا .

ونحن نرنو الى هذا اليوم الذى يكون فيه هذا الاجتماع الكبير ، مجالا حقيقيا لاعلاء كلمة الله ، والتضامن والتعاون والترابط بين الأمم الاسلامية ، لكى تعمل على نهضتها مرة أخرى، ويزيد الاسلام عزة وقوة ، ويكون مقياسا حقيقيا لمدى التقدم البشرى ، الذى يعمل على اقامة الرحمة الحقيقية بهذا الأسلوب شعارا للحرية الحقيقية التى يعلنها الفرد ،

فيعلن بها أنه حر ، أبى ، كريم ، أنه لا سيد له الا الله ، ولا يرتبط بأى شىء الا بعقيدته ولا يتجه فى أمره الا الى الله .

وهذا هو الاسلوب الذى ارتضاه لنا الله عز وجل ، حين يكون الفرد فى مجال من الحرية ــ عن طريق الصلاة ــ متصلا بربه ، فيعرف أن الحق حق فيتبعه ، وأن الباطل باطل فيجتنبه .

هذا هو الأسلوب الحقيقى فى التدريب . وانى حين أكرر ماقلته بالأمس فلكى نستخلص من هذا التكرار ، صورة حقيقية لما ينبغى أن يكون عليه فهمنا لهذه المبادىء البسيطة ، ولهذه الأركان الحقيقية .

لقد استمعت لأحد الخطباء .. وانفعلت بما قال ، لقد كان يشرح الحديث المشهور فى تبيين حقيقة الدين .

قال : كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ جالسا مع أصحابه وجاء أعرابى ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ،

وما من شك فى أن هذا الوصف كان وسيلة لاثارة الانتباه بهذا الذى يأتى ، ثم يجلس فى مواجهة الرسول ، ويجلس وركبتاه الى ركبتيه ثم يخاطب الرسول ، فيقول : يا محمد ما الاسلام ؟

فيقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

الاسلام : أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا .

فيقول : صدقت .. فيعود فيسأل ما الايمان ؟

فيقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره .. فيقول : صدقت . فيعود فيسأل : وما الاحسان ؟ فيقول :

الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك .

وما من شك فى أن هذه الصورة البسيطة يجب علينا أن نستعيدها فى مجال معرفة الطريق ، وأول البدء ، وطريقة العمل .

ولقد حاولت أن أسأل نفسى يوما ، ماذا يحدث ، وماذا يعمل الرسول لو قدر له أن يبعث اليوم ؟

ماذا يعمل ؟ لأن هذا هو أسلوب التفكير فى الاصلاح .

الذى يريد أن يصلح يجب أن يترجم هذا الاصلاح الى صورة مبسطة من هذا النوع .

تصورت هل سيعقد مؤتمرا يتكلم فيه ؟ هل سيقوم برحلة تفتيش كبرى الى البلاد الاسلامية ليتبين ما هو قائم فيها ؟ .. تصورات !!!

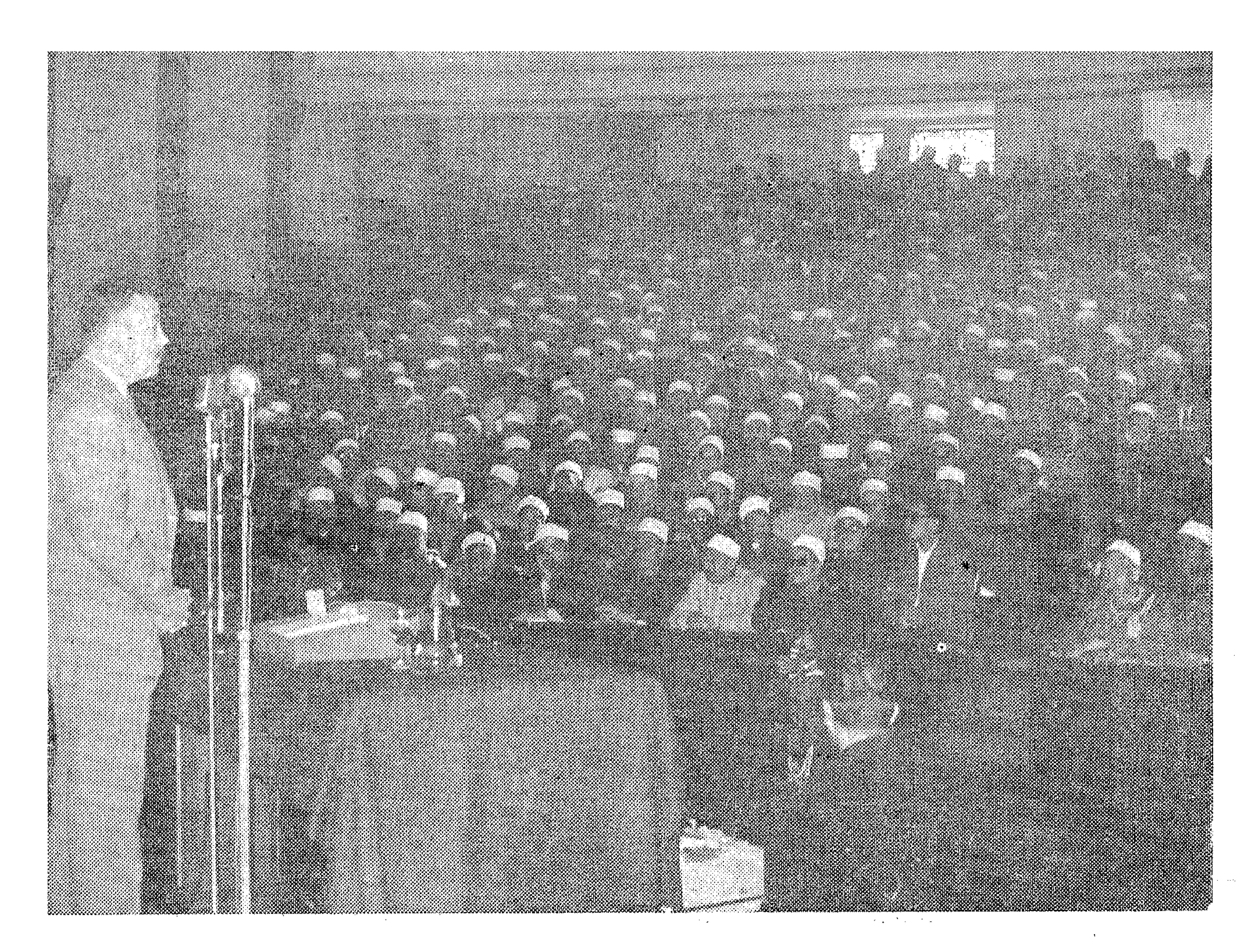
ولكنى أقول : انه لن يعمل شيئا من هذا على الاطلاق ، انه سيبدأ كما بدأ أول مرة يبحث عن الذين يصدقونه العمل ، والنية ، سيبحث عن هذا الصديق الذى يقف بجانبه فى وقت الشدة ، ووقت المحنة ، ويكون عونا له فى كل عمل من الأعمال ، وفى كل أمر من الأمور .

سيندفع اليه الشباب بقوته وايمانه ، فيكون مدفعا ليذود عن حمى الاسلام ، وليعمل جاهدا فى الدعوة وسينضم اليه من له مال فيكون له عونا .

هذه هى الصورة التى بدأ بها الاسلام ، واننا اذا أردنا مرة أخرى أن نعيد للاسلام ما بدأ به فيجب أن نتجرد من كل شىء ، ونفكر هذا التفكير البسيط ، وأن يعمل كل منا فى مجاله كخلية حية نابضة بالحياة ، تعمل كأنها تتوسم هذه الخطى جميعا ، وتعمل فى مجالها كأنها قبس من هذا النبع الكريم ، قبس الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وانني حينما أتذكر هذا الحديث **الذى يقول فيه الرسول ((رحم الله امرءا عرف قدر نفسه))** أدرك أن من المعرفة بقدر النفس ، هو أن نعرف أننا أصحاب رسالة .

ان معرفة قدر النفس ليس بالتواضع ، وليس بالانكماش ، وليس بالرضاء بالدون من العيش ، ولكن معرفة قدر النفس أن نعرف أننا سلالة محمد ، وأننا خلفاء الله فى الأرض ، وأننا سلالة آدم الذى سجدت له الملائكة لأنه كان أمينا على الرسالة التى ائتمنه الله عليها .



السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والأزهر والشئون الاجتماعية ، يخطب الحاضرين فى مؤتمر الأئمة والوعاظ والمفتشين

.. هذه هى معرفة قدر النفس ، ولا يمكن أن تكون معرفة قدر النفس أن نرضى بالدون من العيش أبدا ..

ان معرفة قدر النفس ، انْ نعرف أننا خلفاء الله فى الأرض ، ومن واجبنا جميعا — نحن الوعاظ والأئمة — أن نعرف أننا **حملة الرسالة وحملة الأمانة التى حملها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى يوم من الأيام لينقل الناس من الظلام الى النور ، وقد جاءتكم الفرصة اليوم .**

اننا نرى فى الشرق انحرافا الى أقصى اليسار ، ونرى فى الغرب انحرافا الى أقصى اليمين .

ان واجبنا اليوم أن نقول ان لكل فعل رد فعل ..

هل تعرفون الأسباب الحقيقية التى قامت من اجلها الشيوعية ؟

الأسباب الحقيقية هى الظلم الذى كان قائما فى المجتمعات الرأسمالية .

حينما دعا داعى الشيوعية فى هذا الوقت ، وجد الناس فى هذا السبيل خروجا من هذا التسلط والتحكم — تسلط رأس المال والتحكم القاسى — مما دفعهم الى أن يتجهوا فى أقصى الاتجاه لأن الفعل فى سيطرة رأس المال والتحكم أدى الى رد فعل معاكس ، مساو له فى القوة ، ومضاد له فى الاتجاه .

ثم ابتعدوا عن الدين ، فلماذا ابتعدوا عن الدين ؟ لأن رجال الدين عندهم كانوا متآمرين مع القياصرة ، شركاء فى هذه الجريمة التى اغتنموا فيها الشعب كله .

لقد ذهبت فى سنة ١٩٥٨ فى زيارة لهذه البلاد ، وقد ذهبت لأحد المتاحف وكان يحتوى على الملابس التى كان يلبسها القسيسون والبطارقة المتولون امر الدين فى هذه البلاد ..

تصوروا أن رداء القسيس كان موشى باللؤلؤ .. !!

أقول هذا الكلام لأبين سبب الانحراف ، فالأسباب التى أدت لهذا: هى أنهم شاركوا فى الاستغلال وتواطئوا مع الحكام الموجودين ، فكان الدين وسيلة لهذا الاستغلال .

وهذا يصور بما لايدع مجالا للشك ان الظروف هى التى تحكم على التطورات .

واذا كنا نريد أن نأخذ مجالنا كدعاة ووعاظ فلابد أن نعرف طبيعة ديننا ومايبعد الناس اجمالا عن الدين ، فقد تحدثت معهم عن الدين كعنصر قوة ، بينما كانوا يرونه فى بلادهم عنصر ضعف .

وفى مجال الأخذ والرد أخذت أنا أتكلم لأن كل واحد من المسلمين يعتبر داعية لدينه فى أى مكان ، حاولوا أن يقنعونى بالشيوعية ، وحاولت اقناعهم بالاسلام ، ولم يكن الأمر سهلا .

كانوا يمتنعون عن مناقشة الدين بينما لم يكن عندى مانع من مناقشة الشيوعية ، لأن الدين عندنا ليس عقيدة تعصبية ، انما هو منطق مبين ، أو فلسفة تؤدى الى الاستقرار ، ولن نناقشها على أن الدين تعصبى ، يأخذ فكرته دون أى تفصيل فيها ، فالحجة تقابل الحجة والكلمة تقابل الكلمة .

ولكى نبدأ المناقشة قلت لهم : أنا لن أقدر على اقناعكم بوجود الله ، وأنتم كذلك لن تقنعونى بعدم وجود الله ، فتعالوا نحسبها بحساب المكسب والخسارة ، أيهما أكثر نفعا لو مشينا باتجاه فكركم أو باتجاه فكرنا ؟

اذا كان هناك احساس بوجود الله كقوة تراقب فى التصرف ، وفى كل مايعمل ، فبالله عليكم لمصلحة من التخلى عن هذه القوة ؟

أهذا منطق ؟

انها تساعد فى رقابة الناس على تصرفاتها انه ما من شك فى أنها خسارة كبيرة جدا ، الا يؤمن الناس بالله ، فلا يكون هناك اعتبار للصلة والضمير الذى يحاسب الناس على تصرفاتهم ، وبخاصة أن هناك كثيرا من التصرفات ، لا يمكن مراقبتها الا بالله والضمير .

أنا أقول هذا الكلام لأبين الى أى حد ، مدى المسئولية الكبيرة الموجودة فى رقابنا .

والاقناع الناجح يقوم على أساس من العمل لا القول .

وفى هذا المجال قصة تبين شيئا من المعنى الذى اقصده :

يقولون : ان الشيخ جمال الدين الأفغانى ذهب الى السلطان عبد الحميد ، فقال له السلطان : هناك فى اليابان يبحثون عن دين جديد ، فاذهب للتبشير بالدين الاسلامى ، فرد عليه ببساطة وقال له :

أيهما أبشر به ؟ الدين الاسلامى المطبق هنا أم الدين الاسلامى كما ينبغى أن يكون ؟

فقال له : ما الفرق ؟ فقال : والله لو بشرت بالدين الاسلامى المطبق عندكم ، لقالوا لى نحن لا نريد تخريبا لبلدنا .

أما اذا بشرت بالدين الاسلامى الذى يجب أن يكون ، فسيقولون لى أليست بلدكم أولى ؟

فاذا أردنا أن يكون لنا دور صحيح ، ودور فعال فى العالم الاسلامى ـ على اتساع رقعته ـ فان علينا أن نعرف أنها مسئولية كبرى والذى يتحملها يجب أن يعرف أنه لا يوجد غير المثل الصالح ، والقدوة الصالحة ، فهى الطريقة الوحيدة التى تقنع بها بلادا أخرى ، لكى تتبع خطواتك ، وتعتنق المنهج الذى تعيش به .

نحن نعيش اليوم فى تجربة اشتراكية كبرى ، هذه التجربة ، هى التى تحدد اذا كنا فعلا مركز اشعاع حقيقى ، ومركزا تنجذب اليه بقاع العالم العربى ، والعالم الاسلامى أم لا ؟

بتصرفنا .. وبمدى العدالة التى نحققها تنجح دعوتنا ..

المثل الصالح والقدوة الصالحة فى الأفراد وفى الأمم سواء .

الاسلام لم ينتشر بحد السيف ، انما انتشر بالعدالة ، وبالرحمة ، وبالمثل الحى ، وبالقدوة الصالحة فى كل تصرف .

لابد أن نعرف الظروف التى مرت بنا فى ظل الاستعمار ، وما هى مخططات الاستعمار ؟ حتى نقابل ما حدث ونصححه .

ان الاستعمار يعلم أن العقيدة هى أهم العناصر الأساسية التى حفظت على هذا الشعب وجوده ، وكيانه وقوته ، وكان يعلم دور مصر فى معركة الاسلام ، وأنها هى التى احتفظت بالعلم ، احتفظت بكل مقومات حقيقية لهذه الرسالة ، فشعبها الطيب يتخذ الايمان أساسا عميقا لبناء مجتمعه .

فمصر حتى فى عهد الفراعنة ، كان الايمان هو المحرك لها ، فلما جاءت المسيحية كانت هى التى أعلت منارة الدين ، ثم لما جاء الاسلام كانت مصر هى الأمينة على هذه الرسالة ؛ حيث اختصها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بقيام الأزهر ، الذى كان وسيظل باذن الله منارة عالية ، يتجه اليها كل من يريد العلم وكل من يريد أن يعرف الاسلام ، وكل من يريد أن يعرف العقيدة .

هذه مكانة الأزهر ، وتطوير الأزهر سبيل للعودة به الى مايجب أن يكون عليه .

لقد كان الأزهر من نقط الارتكاز التى أراد الاستعمار أن يقضى عليها بكل وسيلة ، واننا لا نزال نذكر حينما دخل الفرنسيون مصر ، واتخذوا الأزهر الشريف موطئا لخيولهم ، كانوا يريدون بهذا أن يحطوا من كرامة الأزهر ولكنهم عرفوا بعد ذلك ، أن هذه الاثارة كانت السبب الذى قضى على الحملة الفرنسية قضاء مبرما ، بعدما قام الشعب المصرى كله فى وجههم .

ثم جاء الانجليز من بعد ذلك ، وأخذوا من هذا درسا ، وأرادوا أن يعملوا بأسلوب آخر ، فلا يقابلوا عدوهم وجها لوجه ، فاكتفوا بأن يعزلوه عن المجال الحيوى الطبيعى للعمل المستمر ، فكان أن عزل فى عصر الاستعمار الانجليزى .

واليوم نجىء لنصلح ما أفسده الاستعمار فى الأزهر ، فقد افتتحنا أمس مؤتمر ابن خلدون ، وابن خلدون كان شيخا من علماء الأزهر ، قضى فيه أربعة وعشرين عاما .. هذا العالم الجليل ، أدى للاسلام فى مختلف ميادين الفن والعلم أعمالا ما زالت نورا تهتدى بها البشرية المتقدمة فى جميع مجالات العمران .

وهكذا يجب أن يكون الأزهر صورة حية تتصل بأمجاده فى الماضى ، ليزيد هذه الأمجاد أمجادا جديدة فى هذا العصر .

ان الاستعمار أول مادخل ، أراد أن يحطم ثلاثة أمور :

الأمر الأول : هو العقيدة . والأمر الثانى : هو الجيش . والأمر الثالث : هو العمل .

وكان تركيزه بالنسبة للجيش ، أنه أغلق المدارس والمصانع ، وأقام الحملات على السودان لكى يتخلص من العناصر الحرة التى كانت تجاهد وتحارب فيه .

وكانت هذه وسيلة يكسب بها مكسبين .

الأول : ايجاد ثأر مشترك بين المصريين واخوانهم السودانيين ، وبهذا يتمكن من أن يقيم الفرقة بين الاخوة .

وفى نفس الوقت يتخلص من العناصر المتحررة التى قامت تساند عرابى فى ثورته .

وبهذا قضى على الروح الثورية التى كانت موجودة .

وبدأ يحط من مستوى التعليم فى الجيش فأصبح الجمهور ينظر اليه نظرة تافهة لأن الذى يدخل الجيش هم غير القادرين على دفع البدل العسكرى ، هذا الأسلوب أضاف اليه أن جعل من القادة غير متعلمين ، وأصبح الجيش لا يقوى على الرسالة الضخمة التى كانت مفروضة عليه .

ولذلك كان أول واجب من واجبات الثورة حينما قامت أن أعادت الى الجيش كرامته ، وأعادت الى الجيش اعتباره ، فاستعاد الجيش من الناحية المعنوية والناحية النفسية كل مقومات القوة ، فتخلص من عوامل الضعف التى فرضها عليه الاستعمار فى وقت من الأوقات .

وكذلك كان تركيز الاستعمار على العمل ، فقلل من قيمة العمل ، والمشتغلين بالأعمال اليدوية ، ونشأت تبعا لذلك ، النزعة المدمرة بين أفراد الشعب ، بالنسبة لمجالات التعليم المختلفة ، وكانت النتيجة أن ضعفت الصناعة ، وكانت هذه وسيلة لتغزو صناعته بلادنا .

وفى الوقت الذى كان يتحفز فيه للعمل اليدوى وينتجه بوفرة ، كان يثير هذه

الفلسفة ، وهذه النزعة بين الأفراد ، والبلاد التى يستعمرها .

واليوم تعمل الثورة على احترام العمل احتراما كبيرا ، لأن العمل هو القيمةالحقيقية لكل الأمم .

ان البلد الذى لا ترتفع فيه القوة العاملة لا تنهض به صناعة ، واذا لم تنهض الصناعة فى بلد فلا يمكن أن يكون لها وزن فى المجال الدولى .

الأمر الثالث: الذى ركز عليهالاستعمار هو **العقيدة ، ولم يستطع أن يحاربها وجها لوجه، فنحاها وأبعدها عن المجالات الحيوية للعمل ، وأبعدها عن المجالات الحيوية للظهور ، وتدخل فى أساليب التعليم** . وتدخل فى أساليب الدخول للأزهر ، وأغلق المنافذ بالنسبة للمستقبل ، وبالتالى ، ابتدأ الأزهر ينعزل عن المجتمع .

واليوم فى هذه المحاولة لتطوير الأزهر انما نترجم عن ارادة للاصلاح ، واعادة أمجاد الأزهر الى ما كانت عليه ، لوصل الماضى بالحاضر .

وهى تهيئة لمستقبل زاهر، يقومفيهالأزهر مرة أخرى بالدعوة الاسلامية .

كان يمكن فى هذه الاجتماعات أن نتكلم فقط عن المعانى غير الملموسة ولكنى فضلت أن يكون اجتماعا شاملا للمعانى غيرالملموسة والملموسة لأننا لا نقدر أن نعيش فى فراغ .

وكثيرا ما نستمع الى من يتكلم ، ويحسن الحديث فى كلمات تريح النفس ، ولكننا اليوم نريد أن نقرن كلامنا بالحقائق ، والأعمال التى يمكن أن تعمل ، ودائما نفكر ونتأمل فى أسباب الضعف التى فرضت علينا ، ومن فرض هذا الضعف ؟ لنتحرر من كل ألوان الضعف الذى فرض علينا فى وقت من الأوقات .

وأحب أن أقول لكم : اننا فى هذه المرحلة من تاريخنا ، التى قدر لنا فيها أنتكون بلادنا فى أيدينا، متحررة من كل قيد ، تحكمهاالثورة الوطنية ، يجب أن نشعر باحساس عميق ، بأن الوقت لابد أن يستغل وأن ننتهز هذه الفرصة لنعمل بكل طاقتنا ، حتى يمكن أن نعوض ما فاتنا ، فقد أعطانا الله ، ومن علينا بهذا القائد جمال عبد الناصر ، هذا القائد الزعيم المنتصر ، هذا القائد الذى لم يفكر يوما من الأيام أن يختار لنفسه ، ولا لشعبه الطريق اللين السهل الهين ، ولكنه دائما كان جديرا بالأحداث ، وكان جديرا بالرسالة التى يكافح من أجلها ، وكان جديرا بأن يقود المعركة تلو المعركة ، وأنه حينما يقود اليوم أكبر معاركه — معركة اشتراكية — يؤمن كل الايمان بأنه ماجاء أبدا ليكون نصيرا لفئة قليلة ، ولكنه جاء يدعو للحق ، من أجل الملايين الكادحة ، ومن أجل الذين يتطلعون الى من ينير لهم السبيل، ويحقق الأمل .

هذه هىرسالة الذين يريدون أن يخوضوا المعارك الحقيقية ، ولا يرضون بالمعاركالجانبية، أو المعارك الصغيرة ، ولكنهم يشعرون أنهم أوتوا فرصة من الله — عز وجل — كى يقوموا مرة أخرى ليحرروا الناس من ذل الفاقةوالعبودية بقوة وعزم واصرار .

هذه هى الصورة التى يجب أن نحس بها جميعا ، حتى نعرف أن هذا الوقت الذى نعيشه ، وقت ثمين ، يجب علينا أن نستغل كل دقيقة فيه .

ونحن متمتعون بالحرية الحقيقية ، بقيادة ملهمة منتصرة .

والآن .. ونحن فى مجال ثورة اشتراكية ، يطيب لى أن أعلن من فوق منبر الأزهر الشريف ، أنه لو وضعت الشمس فى يميننا ، والقمر فى يسارنا على أن نترك هذا الأمر أو نهلك دونه ، ما تركناه حتى تعم الاشتراكية ، ويعم نور الاسلام .

والله نسأل أن يكلأ رئيسنا بعين رعايته ، وفيض من عونه وبركته ، فى هذه الأيامالمباركة، لكى ينهض بأمته نهوضا يعيد للاسلام عزته ، وللعروبة كرامتها ، حتى يشعر كل مواطن عربى ، وكل مواطن فى بلاد الاسلام، أن له فى سيادة الرئيس قدوة ، ونبراسا ، ومثلا أعلى، فى كل تصرف من تصرفاته ، وتكون مصر مرة أخرى هادية للبشرية ، منبعا للحرية ، منبعا للكرامة .

والله سميع مجيب الدعوات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

زعماء العالم الاسلامى .. فى القاهرة

منذ فجر الاسلام تحملنا أمانة الدعوة الاسلامية ، والعمل الجاد المخلص فى سبيلها ، وكلما تعاقبت الأيام زادتنا تقديرا لدورنا ، واحساسا بعظم التبعة ، وضخامة العبء .

ظلت القاهرة مع كل مامر بها ــ فى مختلف العصور ــ من محن وأحداث، راعية لدينها ، حريصة على اقامته ، وعلى عون أتباعه فى مشارق الأرض ومغاربها .

والقاهرة اليوم وفى عصر الثورة المباركة وتحت قيادة البطل المؤمن جمال عبد الناصر ، تعيش للاسلام بكل كيانها وبكل مقدراتها ، لاتدخر فى سبيل اعلاء كلمة الله فى كل البلاد الاسلامية وسعا ، ولا تدخر طاقة فى سبيل تحرير المسلمين فى كل بلاد الأرض .

ولا تقف رسالتها عند هذا الحد ، وانما هى تجعل من دينها الذى يدعو الى السلام والى الرحمة والى المحبة والى العدالة رائدها فى المجال الدولى من أجل عالم ترفرف عليه أعلام الحرية والسلام والمحبة

ولا يمر يوم على القاهرة الا وتستقبل فيه زعيما اسلاميا يلتقى بزعيمها المسلم ليؤكدا معا وقوفهما مع الحق والخير والتعاون فى سبيل اقامة العدالة بين البشر .



السيد الرئيس جمال عبد الناصر ومعه ضيف الجمهورية العربية المتحدة الشيخ على اسماعيل وزير الدفاع الصومالى

الشيخ على اسماعيل

وزير دفاع الصومال

* الرئيس جمال عبد الناصر يشرح للشيخ على اسماعيل السياسة الانشائية فى الجمهورية العربية المتحدة ٠

***

* التعاون المثمر بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية الصومال فى كافة الميادين

٠٠ كان موضوع المباحثات التى دارت بين الرئيس جمال عبد الناصر والشيخ على اسماعيل وزير دفاع الصومال ٠

***

* وزير دفاع الصومال يقول ان الجمهورية العربية المتحدة لها اليد الطولى فى تحرير الصومال ودفع الحركة الوطنية فيها ٠٠

وصل الى القاهرة يوم ٦-١١-١٩٦١ وزير دفاع الصومال الشيخ على اسماعيل على رأس بعثة عسكرية من كبار ضباط الجيش الصومالى فى زيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة بدعوة من المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة ٠

وقد استقبل الرئيس جمال عبد الناصر الشيخ على اسماعيل وأعضاء الوفد العسكرى الصومالى ٠٠ وقدم الوزير الصومالى الى الرئيس جمال عبد الناصر رسالة مكتوبة من السيد عبد الله عثمان رئيس جمهورية الصومال ٠٠

***

وصرح الشيخ على اسماعيل عقب انتهاء المقابلة بأن الرئيس عبد الناصر شرح لهم السياسة الانشائية فى الجمهورية العربية المتحدة ، كما دار الحديث حول التعاون المثمر بين البلدين فى كافة الميادين ٠٠

وقال ان الجيش الصومالى استطاع الوصول الى المستوى المطلوب لحماية استقلال الصومال بالرغم من العراقيل الكثيرة التى وضعها الاستعماريون فى سبيل انشاء جيش وطنى قوى ٠٠

وأضاف الوزير ، ان الجمهورية العربية المتحدة لها اليد الطولى فى تحرير الصومال ودفع الحركة الوطنية فيها ٠٠ فان التعاون بين البلدين فى النواحى العسكرية مثمر للغاية ٠٠

وتحدث الوزير عن مشكلة الحدود مع أثيوبيا فقال: ان الصومال حكومة وشعبا ترغب فى حل هذه المشكلة بالطرق السلمية ٠٠ ولن تلجأ الصومال الى الكفاح المسلح الا بعد استنفاد جميع الوسائل السلمية ٠٠ فالصومال ترى أن لا يراق دم الافريقيين بيد الافريقيين ٠

وقد استقبل السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والشئون الاجتماعية ، السيد على اسماعيل ٠٠ وقرر مساهمة وزارة الأوقاف بألفى جنيه فى بناء مسجد (هرجيا) بالصومال ٠٠ ومبلغ ألف جنيه لاتمام المعهد الدينى (برعو) ٠٠ كما قرر وزير الأوقاف ارسال جميع الكتب والمجلات الثقافية الاسلامية التى تصدرها الوزارة الى الصومال ٠٠ وأجزاء القرآن الكريم والكتب الدينية المختلفة التى تدرس بالأزهر الشريف ٠٠

كما بحث مع الشيخ على اسماعيل قوانين الأحوال الشخصية ٠٠

وزير دفاع الصومال متخرج من كلية أصول الدين

الشيخ على اسماعيل وزير الدفاع الصومالى متخرج من كلية أصول الدين عام ١٩٥٨ ، وكان الى جانب دراسته الدينية من أوائل الكلية فضلا عن أنه يقوم منذ عودته الى الصومال بتدريس أصول الدين لتلامذته ومريديه كل يوم بعد صلاة الفجر ٠٠ والوزير يتمتع بشعبية كبيرة فى بلاده لقدرته النادرة على العمل دون انقطاع ٠



الشافعي يفتتح الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف

- الرحمة رسالة السماء وهدف الثورة الاشتراكية
- اليهود غزوا العالم بالكهنوت الاقتصادى والانحلال الخلقى
- القرآن الكريم جاء بمذهب العدل الاقتصادى فى الاسلام

رأس السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والأزهر والشئون الاجتماعية حفل افتتاح الموسم الثقافى الذى عقدته ادارة الثقافة الدينية بالوزارة مساء الثلاثاء ١٩من ديسمبر الماضى فى قاعة المحاضرات بالغرفة التجارية ، وحضره عدد ضخم من علماء الأوقاف والأزهر ورجالات الأدب والفكر والاقتصاد . وكان فى استقبالهم المهندس على زاهر وكيل الوزارة وفضيلة الشيخ محمد الغزالى السقا مدير المساجد والمشرف على شئون المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وفضيلة الشيخ السيد سابق مدير الثقافة .

كلمة السيد حسين الشافعى

وقد ألقى نائب الرئيس كلمة عن الاشتراكية وأهدافها ، والرحمة وعناصرها ، وهاجم المستغلين والذين يكنزون أموالهم ويرتكبون جريمة حبس المال عن الشعب . كما هاجم (الكهنوت الاقتصادى) كما صوره اليهود للعالم ، واتخذوا من أنفسهم أحبارا وخبراء لهذا الكهنوت الاقتصادى الذى يخلق الأزمات المتعددة ويهدد سلام العالم بالحروب الدائمة

وقال : ان الجمهورية العربية المتحدة تزيد فى كل عام نحو ٦٠٠ ألف نسمة ، ونحن نؤمن

بأن الأرزاق بيد الله ، وأنه معنا ، وأنه سينصرنا على أعدائنا وسيذيق بعضهم بأس بعض بعيدا عنا • وقد رسمنا فيالوقت نفسه سياستنا على توفير مليون و ٢٦ ألف فرصة عمل خلال السنوات الخمس القادمة . فان الاحصاءات تسجل حاجة ٨٣٢ ألف نسمةالى العمل خلال هذه المدة ، ونرى من واجبنا توفير الفرصة لاستيعابها لنحفظ للفرد عزته وكرامته وحريته ونوفر العنصر الذى نقضى به على الجوع بتوفير فرصة العمل لكل مواطن ، ونؤمن حياته ضد المرض والعجز والشيخوخة ، ونشكر ربنا الذى أطعمنا من جوع وآمننا من خوف .

ونادى نائب الرئيس (بالرحمة) لأنها هدف الله حين أرسل رسوله رحمة للعالمين ، وهدف الثورة حين تأخذ للشعب حقه من أموال الذين حبسوا مال الشعب عن الشعب. فلم يؤدوا الزكاة التى هى أساس التأمين الاجتماعى ، والتى تهدف الى رحمة الغنىمن حقد الفقير ، ورحمة الفقير من طغيان الغنى .

اننا اذا كنا نادى اليوم بالاشتراكيةفذلك لنحقق بها معنى من المعانى السامية التىيدعو اليها الاسلام لتقرير حق الرحمة لكل مواطن وحق الطعام لكل جائع ، وحق الكساء لكل عريان ، وحق الصحة لكل مريض •

نريد أن نحقق الرحمة للفرد وللمجتمع وللبشرية جمعاء •

وأكد نائب الرئيس أن اليهود يتحكمون فى مصير العالم (بالكهنوت الاقتصادى) ، واشاعة الانحلال الخلقى فى الشعوب ، ونادى بالاشتراكية العربية لأنها هى الاسلام ولأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها .

وختم كلمته بأن النجاة فى هداية الله - عز وجل - وفى الايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر •

وكلمة الشيخ السيد سابق

وقد ألقى فضيلة الشيخ السيد سابق مدير الثقافة الدينية كلمة ضافية تناول فيها العلاقة التى تربط بين العبد وربه وبين الفرد ومجتمعه وبين الزوج وزوجه ، وبين الانسان وأقاربه • وقال : ان المحبة هى أساس هذه العلاقات كلها ، ويجب أن تقوم اشتراكيتنا العربية على هذه المحبة التى وصفها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

والدكتور عيسى عبده

وتلاه الدكتور عيسى عبده ابراهيم فتناول موضوع اشتراكيتنا ومدى صلتها بالاسلام وعقد مقارنة بينها وبين المذاهب الاقتصادية الأخرى ، وقرر أنها أسمى أنواع الاشتراكية لأنها تستمد عناصرها من اشتراكية الاسلام التى ترعى حق الملكية وتصون فى الوقت نفسه حق الفقير .

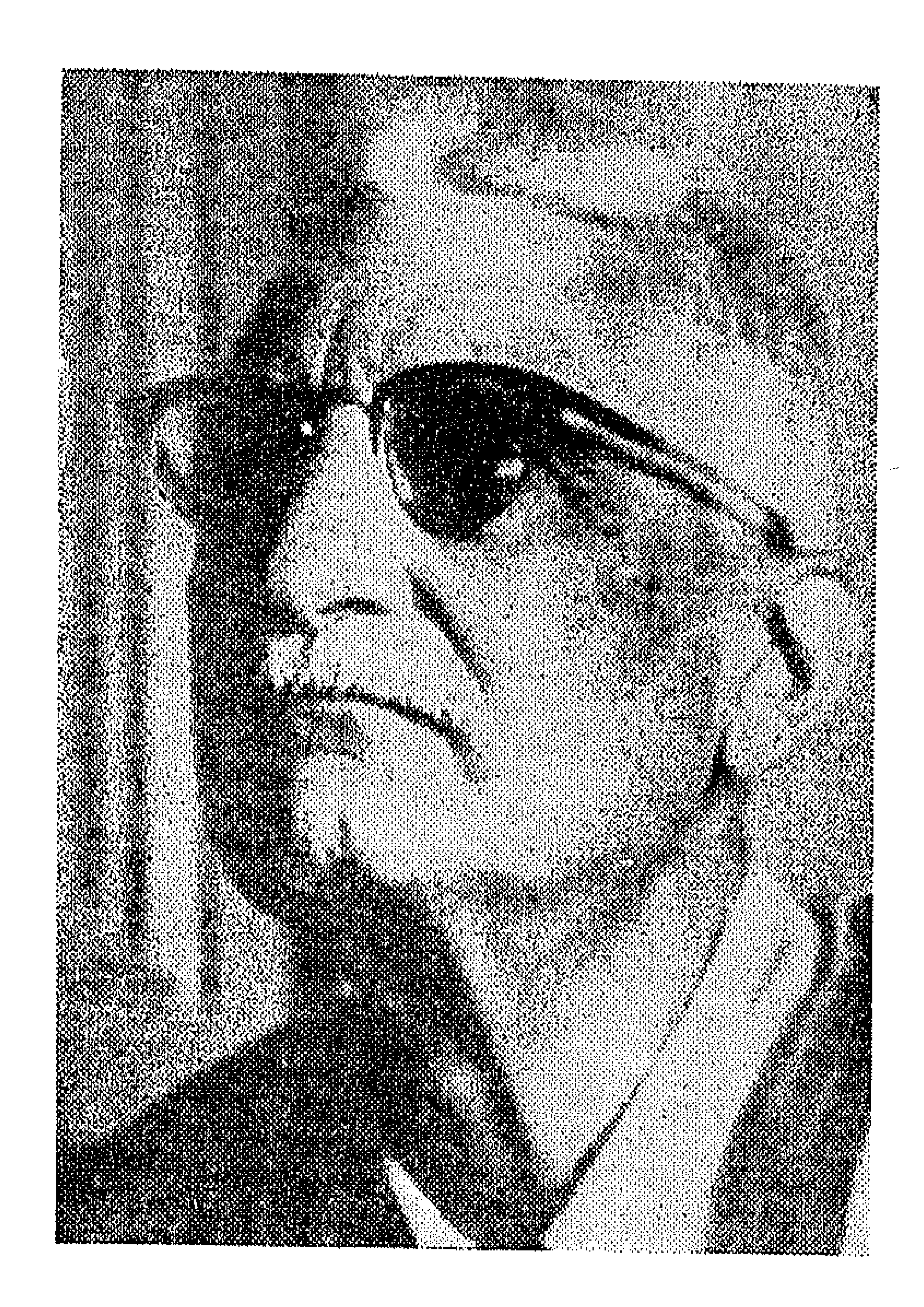
وقال : ان اشتراكيتنا ستدفع الاقتصاد الى الأمام وتتيح الفرصة كاملة أمام الكفايات الانتاجية ، وأكد أننا نسير الى أسمى أهداف الاقتصاد الاسلامى ونقارب بين الطبقات ، ونحقق هدف الحياة الصحيحة التى عناها الله - سبحانه وتعالى - بقوله : « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى • وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى » .

وطلب فى ختام محاضرته بالغاء نظام الفائدة الربوية .

ختام الندوة

واعلن فضيلة الشيخ السيد سابق أن المحاضرة القادمة يوم الأحد القادم سيلقيها الدكتور محمد مهدى علام عن (حقوق الفرد فى الاسلام)

وقد افتتح الحفل بالقرآنالكريم من الشيخ محمود خليل الحصرى شيخ عموم المقارىء العربية . وختمه الشيخ مصطفى اسماعيل .



الصلاة والعلم

الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

يقول الأديب « مختار عبد القادر الفيل » الطالب بكلية الآداب :

« .. اننى أومن بالله ايمانا قويا ، وأؤدى فرائض الاسلام ، ولكننى أوجه السؤال اليكم لرغبتى فى المزيد من المعرفة عن أمور اسلامنا وأسأل : ما هى فائدة الصلاة والدعاء الى الله؟ واننى لأعلم أن الصلاة رياضة وثقافة وصلة وثيقة بالله وعلاقة وثيقة لتقوية العطف بين الناس وبث روح التعاون بينهم لاجتماعهم فى بيت الله . ولكن كيف نفهم الدعاء الى الله طلبا لشىء من الأشياء ؟ فان هذا الطلب اما أن يكون مطابقا لارادة الله الثابتة فلا فائدة فيه ، واما أن يكون مخالفا للارادة الالهية فلا فائدة فيه كذلك ، ولا يفعل سبحانه وتعالى غير العدل ، فليس ثمة ما يدعو الى مطالبته لأننا فى هذه الحالة كمن ينزله منزلة الحاكم الذى يقضى بقضاء ، ثم يعدل عنه بعد التزلف والاستعطاف .. وأرجو أن أقرأ رد سيادتكم لأعلم قبل كل شىء هل يحرم علينا الدين ان نبحث فى هذه الأمور ؟ »

وأقول للطالب الأديب انه أحسن فهم الصلاة كما أحسن وصفها حين قال انها رياضة وصلة وثيقة بالله ، وان الأمر الذى أشكل عليه فى فهم صلوات الدعاء قد أشكل على كثيرين وورد عليهم الاشكال فيه على صور كثيرة بين جميع المتدينين فى العصر الحديث من المسلمين وغير المسلمين ..فحسب فريق منهم على أن القول بجدوى الصلاة يناقض القول بالسنن الالهية والقوانين الطبيعية التى أودعها الله طبائع الأشياء وبنى عليها نظام الكون كله ، وحسب فريق آخرون ــ كما قال الطالب الأديب ــ أن تنزيه الاله سبحانه وتعالى عن تبديل كلماته وتعديل قضائه يوجب على الانسان ان يتورع عن الطلب الذى يسأله فيه العدول عن قضاء قضاه .

ومن كبار علماء الطبيعة عند الغربيين أناس تصدوا للرد على هذا الاعتراض وأجابوا عن أسئلته جوابا يوافق ايمانهم بالله وايمانهم

بالعلوم الطبيعية على السواء . وقد فرغ أحدهم لهذا البحث ــ وهو الطبيب الجراح الكبير الكسيس كاريل ــ Carrel فكتب فيه رسالة خاصة أجمل فيها صفوة تجاربه العلمية وجعلها جوابا على قول فردريك نيتشه « انه لشيء مخجل ان يتهل الانسان بالصلاة » ..

فكان من مقرراته في هذه الرسالة أن نفع الصلاة قد ثبت له ــ علميا ــ كما تثبت التجارب الطبيعية وانه لا يفرق في هذا بين صلاة الانسان لنفسه أو صلاته لغيره مادام صادق النية صادق الطلب في الحالتين .

واحد هؤلاء العلماء الكبار ــ أوليفرلودج ــ وهو من أشهر علماء الرياضة والطبيعة يرد على القائلين بمخالفة الصلاة للسنن الكونية فيقول :

« انهم يتوهمون ذلك لأنهم يحكمون على الصلاة حكمهم على ظاهرة غير طبيعية خارجة من حدود الكون . ولكنها في الواقع ظاهرة كونية يحسب حسابها في أعمال الكون كما يحسب حسابها في سائر الحوادث التي تقع في حياتنا بغير صلاة .. واذا كانت الصلاة تربية نفسية فلماذا يحسب المعترضون أنهذه التربية ليست سببا لتحقيق بعض الحوادث كما تسببها كل تربية يتم بها استعداد الانسان لغاية من الغايات ؟ »

والواقع التاريخي عن الصلاة ــ بمعنى الدعاء الى الله ــ أنها ظاهرة روحية تعرف في الديانات العليا ولا تعرف في الديانات البدائية على هذا المعنى . فهي نتيجة لترقي الانسان في فهم وحدة الكون ووحدة القوة الالهية التي تقوم بتدبيره ، ولهذا تعرف في أديان الموحدين والمتحضرين ، ولم تكن معروفة على هذا النحو بين الهمج الأولين الذين يعددون الأرباب ويوزعونها بين عناصر الطبيعة في الأرض والسماء ويطلبون من كل منها مايقدر عليه ولا يقدر على غيره ، ويجعلون صلاتهم من قبيل المساومة على تبادل المنفعة ، لاعتقادهم أن أربابهم تحتاج الى دعواتهم وقرابينهم كما يحتاجون هم الى نعمها وعطاياها . وقد بقيت من هذا الأسلوب في الصلاة بقية مشهودة بين الجهلاء الذين يساومون الأولياء على الشموع والذبائح اذا استجابوا لما يدعونهم اليه من اغاثة الملهوف ورد المفقود وتحقيق الفرض المأمول ، ولو لم يكن من الأغراض التي تحسن بالأولياء .

فالصلاة في الأديان العليا علامة من علامات التقدم الانساني في فهم حقائق الكون وفهم الصفات الالهية ، ولا قوام لدين من الأديان بغير الايمان بالصلاة على معنى الطلب والدعاء مع الايمان برياضتها الروحية وصلتها الوثيقة التي تربط عالم الشهادة بعالم الغيب ،وتجعل وجود الاله حقيقة أعلى من حقيقة النواميس أو حقيقة الحوادث الكونية التي تهم الانسان في مطالب معيشته كما تهمه في مطالب ضميره

فلا الدين ولا العلم يقضيان على الانسان أن ينكر حقيقة النواميس الطبيعية ، ولكن وجود الاله قائم في ضمائرنا على ايماننا بأن النواميس الطبيعية وحدها لا تغني الانسان عن الاتصال بخالقها ، لأن وجود النواميس لا يلغي عمل الالهولا يعني أنالاتصال بهوالانقطاع عنه سواء .

والذين يفهمون أن نواميس الطبيعة واقع مفروغ منه يخالفون العلم والفلسفة ، وليس قصاراهم أنهم ينكرون الارادة الالهية من ورائها .

فمن المقررات العلمية التي اشتهرت حديثا باسم نظرية هيزنبرج « Heisenberg » أن العلم لا يستطيع أن يعرف مقدما كيف يتصرف كهرب واحد من كهارب الأجسام المادية ، وأن الذي نعرفه من ذلك انما هو حكم علىالجملة يستحيل تطبيقه على الأجزاء المتفرقة ، ومن المشاهدات التي يقربون بها هذا الرأي تقدير شركات التأمين لحوادث السيارات في البلد الواحد والسنة الواحدة ، فانهم يحسبون الحساب لاصابة عشرين سيارة من كل ألف سيارة ــ مثلا ــ فيصدق هذا التقدير وتنتظم عليه موارد الشركة ومصاريفها ، ولكن اخبر الخبراء في الشركة لو سئل أن يدل على هذه السيارات العشرين أو على بعضها لما استطاع .

والعلماء الذين يعتقدون أنالنواميسالكونية مسألة قديمة حصلت وفرغ الأمر منهايتمثلون الكون كأنه مكنة صنعت وأرسلت في طريقها

وانقطعت عوامل التكوين فيها ، ولكن هذا الاعتقاد ضرب من التصور لا يوافقهم عليه كثير من العلماء والمفكرين ، ومن هؤلاء المفكرين من يقول ـ كما قال بيرس ان المصادفات قد تكون اليوم قوانين فى دور التكوين وليست شذوذا عن قوانين مبرمة منذ الأزل ، وان القوانين قد تكون مصادفات تكررت على وتيرة واحدة ولكنها لا يرتبط بعضها ببعض ارتباط الأسباب بالمسببات ..

ومذهب بيرس هذا مطابق لقول الحكيم الاسلامى أبى حامد الغزالى ، ومطابق للاجماع الذى انعقدت عليه آراء العلماء المحدثين ، فانهم يقولون ان التجارب العلمية انما هى تجارب وصفية تسجل الواقع كما يتكرر أمام المجربين ، ولكنها ليست بالتفسيرات التى تعلل الأسباب بعلة محققة غير علة التكرار والاستمرار .

ومن الأمثلة القديمة التى تضرب لتقريب هذا الرأى أن الديكة تصيح قبل طلوع الشمس أبدا وليست هى علة طلوعها ، وأن جرس القطار يدق قبل وصوله الى المحطة وليس هو سبب الوصول ، وأن ضوء القذيفة يرى عند انفجارها قبل سماع صوتها ولا علاقة بين سبب الرؤية وسبب السماع .

وأيا كان الرأى فى السببية عند علماء العصر الحديث فالقول الفصل الذى لا شك فيه أن قوانين الطبيعة لم تحصر جميع عواملها ، وأن الحصر الذى وصلنا اليه قد يعين على تقدير الحوادث المترتبة عليها بالاجمال ولا يعتمد عليه فى تقدير حادثة واحدة بغير الظن والتقريب .

فاذا نظرنا الى التقدير العلمى فالباب مفتوح فى الكون للعوامل التى لا تحصرها ضوابط القوانين والنواميس .

واذا نظرنا الى التقدير الدينى فالله تعالى فعال لما يريد ، والخلق « عملية مستمرة » ، وليس بالعملية الآلية التى فرغت منها العناية الالهية ، وتركتها هملا بغير تبديل .

وسنة الله لاتبديل لها حقا ، ولكننا لا نعلم من سنة الله الا مانهتدى اليه بعقولنا وهداية الله . وقد تكون سنة الله فى نصيب الانسان موقوفة على تربية نفسية تحققها الصلاة ، وقد تكون هذه التربية النفسية سببا مشروطا للسنة الالهية لا يجوز للمؤمن تعطيله او لا يجوز له أن يدعى القضاء فيه باسم الاله .

والطالب الأديب يرى للمسألة وجهين لا ثالث لهما من وجوه البحث فى فائدة الصلاة :

فاما ان يكون الطلب موافقا للارادة الالهية فهو محقق بغير طلب ، واما أن يكون مخالفا للارادة الالهية فلا معنى لطلبه ، لأن الله يتنزه عن تغيير ارادته كما يغير الحاكم قضاءه بالملق والاستعطاف .

ولكن مسألة الصلاة لا تنحصر فى وجه من هذين الوجهين ، لأننا يجب أن نذكر أولا وآخرا أن ارادة الله متمثلة فى طبيعة الانسان وأن من طبيعة الانسان ان تطلب الغوث عند الحاجة اليه ، وان طلبه من غير الله عبث مع الايمان بوجود الاله القادر على كل شيء ، فاذا اندفعت طبيعة الانسان الى طلب الغوث من الله فمن أين له اذا قمع هذه الطبيعة انه لايخالف ارادة الله ، ومن أين له أن الاستجابة هى كل ما يرجى من الدعاء ؟ ومن أين له أن الدعاء نفسه هو سبيل الاتصال بالله من جانب الانسان ، لأنه فى ذاته عمل من أعمال النفس التى تدل على سجية من سجاياها وان لم يكن لها جواب .

ونعود الى رأى الرياضى الكبير أوليفرلودج لأن الرياضيين من أقدر الناس على فرض الفروض التى تحل المجهولات ، فنقول : لماذا نحسب الصلاة خارقة للنواميس الكونية وهى ظاهرة كونية كسائر الظواهر التى تحدث كل يوم فى هذا الكون ؟

وليكن الطالب الأديب على يقين أن سؤاله عن نفع الصلاة لا يمتنع فى الدين الاسلامى بل يجب عليه وجوب التفكير ووجوب سؤال أهل الذكر ، وكلاهما فريضة من فرائض الاسلام ، ولكن لمسالة الصلاة ـ كما قلنا ـ وجها آخر لاضير من السؤال عنه اذ كان السؤال عنه هو جوابه المريح : ألا يجوز للانسان ان يكشف عن ذات نفسه أمام الله الا أن يعلق هذه المكاشفة مقدما بضمان الجواب ؟

حاجة العالم إلى الإسلام اليوم



فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة

١ ـ قال الله تعالى : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » وقد رأى ابن الأرض مارأى ، وكشف ماكشف من خواص الكون ، وقوة ابداع الله فيه ، وقد سخره سبحانه للانسان ليبحث فيه بعقله ، ويوجهه الى ما فيه النفع ان غلبت ارادة الخير ، والى مخارف الشيطان ان تحكم الشر فى نفسه .

وقد اطلع الانسان على أسرار النواة ، واستخدم قوتها ، واذا كان قداستخدم قليلا منها فى الخير ، فقد استخدم أكثرها لالقاء الذعر فى الانسانية كلها ، وتهديد العالم بالفناء، وكأنها القيامة تقوم ، وساعة الفصل قد حان حينها ، وأدركنا ابانها . **وقد روى البخارى عن النبى أن من أمارات الساعة ناراً تخرج من الشرق ، فتحشر الناس .**

ان الباعث على هذا الكشف الخطير كان آثما ، ولا يزال أكثره فى الاثم لتتفق النشأة مع الميلاد ، فقد كشف فى الحروب ، لينتصر العدو على عدوه ،ولو أباد خضراءه .بل ولو قتل من ليس له فى الحرب ناقة ولا جمل ، ومن لا يحمل بندقة ، ولا يوجه مدفعا ، ومن يساق اليها غير راغب فيها ولا مريد لها !! ولكنه يساق بحكم الحكام لنزوات عصبية ، ولمناضلات جنسية ، ومعاداة عنصرية !! ولتكون دولة أربى من دولة فى بسطة أرضها أو قوة سلطانها ، أو اتساع ثرواتها ، أو لتتحكم فى غيرها ! وغير ذلك مما هو ممقوت بين الآحاد ، وهو فى الأمم أكبر مقتا عند الله وكذلك فى تقدير كل مخلص أريب يخرج من نطاق العصبية أو العنصرية الى مجال الانسانية الواسع الفسيح ، ويفكر فى أن الانسان أخ الانسان ، مهما تتناءى الديار ، وتتباعد الأمصار ، وتختلف الألوان والألسنة.

٢ ـ انه قدصار كبراء الدول اليوم يصنعون ما كان يصنعه الملوك المستبدون ، من اختلاف على السيطرة والسلطان واتساع رقعة الأرض ، وليباهى كل رئيس بأن الشمس لا تغيب عن أرضه ، أو السحاب حيثما أمطرت فلخرجه ! وانه اذا قال لا ترد له فى الارض مقالة ، وانقسم العالم الى دول كبيرة لبعضها وحدة تجمعها على غير الخير ، بل على الانقضاض والافتراس ، وبعضها الآخر له وحدة تناضل الأولى وتقاومها ، وتنتهز الفرصة مثلها للانقضاض والافتراس ، وصغار الدول تابعة : ففريق يتبع هذا ، وفريق يتبع ذاك ، وماكان لأحدهمااختيار فى التبعية ،ومن لايتبع أحدهما يكون هدفالهما معا ،يريده كل منهما على الانحياز اليه ، فتتخذ معه طرق الاغراء ، فان لم تجد اتخذت معه طرق الارهاق .

والتبعية التى يريدونها ليست تبعية فقط فى سياسة الركب الذى تسير فيه ، بل تبعية أيضا فى النظم الاجتماعية والاقتصادية ، وسائر الشئون الحيوية ، ومقومات الأمم فى ذات نفسها ، مطرحة عنصر تكوينها .

٣ — ولقد صار العالم اليوم بسبب ذلك فى فتن مظلمة كقطع الليل ، لا تدرى الانسانية منتهاها ، ولا تعرف الى أى طريق تسير : **« وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا »** . وانه اذا كانت المقدمات التى نراها تنتج نتائجها ، فاننا يائسون من الرشد ، قانطون من الخير ، الا بهداية من السماء ، ونور نزل منها . **وكان هذه الفتن هى ما صوره النبى — صلى الله عليه وسلم — فيما رواه حذيفة بن اليمان ، وقصه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : فقد جاء فى صحيح مسلم عن حذيفة قال : كنا عند عمر بن الخطاب ، فقال : أيكم سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه ، فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره ؟ قال : تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع النبى صلى اللهعليهوسلم — يذكر الفتن التى تموج كموج البحر ؟ قال حذيفة : فأسكت القوم . فقلت : أنا . فقال : أنت ! لله أبوك ! قال حذيفة : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول :« تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا ، عودا ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا ، لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا ، الا ما أشرب من هواه » (١) .**

وان النبى — فى تنبئه بهذه الفتن — عبارته — عليه السلام — عامة ، لا تخص المؤمنين ، بل تعم الانسانية كلها ، وانا نرى نبوءته تتحقق فى العالم ، فلا نرى من ينكر المنكر ، ويدعو الى المعروف ، الا أصواتا خافتة تكتم قبل أن تجهر ، بل تجمجم ولا تتكلم ، حتى صارت الانسانية فى عمياء من أمرها !.

ألم تر المؤتمرات تجتمع وتنفض ، وعقب الانفضاض يكون التهديد بالويل والثبور ، والهلاك . والحرب النووية — التى لا تبقى ولا تذر — لا تدع قائما الا هدمته ، ولا تراثا انسانيا الا أزالته ، ولماذا كان ذلك كله ؟ لأن الزعماء يختلفون على برلين الشرقية مثلا ، وكل فرح برأيه ، مستمسك به ، لا يهمه خرب العالم او عمر ، وبقى أم فنى ، ما دام ذلك رأيه ! وأين الشعوب التى تكون حطب هذه الحروب ، والتى تذوق ويلاتها ؟ وأين العلماء المفكرون ، والكتاب الباحثون ؟! لا نجد صوتا يقول لهم : مكانكم ، ما هذه العصبية الجاهلية التى تودى بالانسانية الى بوار ، وبالعالم الى الفناء أو الخراب ؟ لا نجد شيئا من ذلك ، بل صحف كل فريق تنادى بالانحراف الجامح ، والتعصب الشامخ ، ولا تفكر فى الانسانية ومآلها ، والعالم ونهايته !.

٤ — لا منجاةللعالم اليوم الا بهداية السماء، الا بدين يعمر القلوب ، وينير البصائر ، ويوجه العالم كله الى الانسانية الجامعة ، ويبعدها عن العصبية الجامحة !! فما هذا الدين الذى يكبح جماح الملوك والكبراء ، ويهدى للتى هى أقوم ؟.

وانه للاجابة عن هذا السؤال نجد الأديان التى انتشرت بين العالمين خمسة أديان : وهى المسيحية ، والبوذية ، واليهودية ، والبرهمية، والاسلام . فلنختبر حقائق هذه الأديان كما هى بين معتنقيها ، لنعلم أيها أصلح لعلاج ذلك الداء الذى تفشى فى العالم الآن .

واننا نجد دينين يتلاقيان فى معنى ، وأمامهما دينان آخران ينافران هذا المعنى ، ودين قد انفرد وحده بمعنى ليس فى الدينين الآخرين .

فالمسيحية كما هى فى الأناجيل التى تقرأ فى هذه الأيام ، تدعو الى التسامح المطلق ، كما ورد على لسان المسيح ، فقد جاء فى انجيل متى ما نصه : « أنا أقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين ، ومن سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ، سمعت أنه قيل : تحب قريبك وتبغض

---

(١) النكتة : الأثر الباقى بعد لمس الشىء ، والصفاء : السحاب الذى لا غيم فيه ، او الحجر الاملس الذى لا غبار عليه . والمرباد : المغبر المعتم . والمجخى : هو المائل المنحرف .

عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وباركوا لاعنيكم ، احبوا مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم) .

وانك لتجد ذلك بينا فى الأناجيل التى بين أيدينا ، وانه لتتلاقى البوذية الى حد كبير مع المسيحية فى هذا ، فهذا الذى ينسب الى المسيح ـ عليه السلام ـ قد نسب الى بوذا قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة عشر قرنا .

ولكن هذه وصايا ، ان طبقت على الآحاد ، لتوثيق القربى ، فانها لا يمكن أن تكون قانونا عاما بين الناس ، ولا يمكن أن تكون نظاما دوليا . **والاسلام قد جاءت فيه الوصايا بالمودة والرحمة ، فى مثل قوله تعالى : ((خذ العفو ، وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين)) وقوله تعالى : ((ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة ، كأنه ولى حميم)) وكان مع هذه الوصايا أحكام القصاص والحدود ، والمعاملات الدولية ، التى أساسها المعاملة بالمثل فى دائرة الفضيلة .**

ولقد ترك المسيحيون تلك الوصايا وأخذوا بشريعة التوراة ، وزادوا عليها قسوة وعنفا ، واندفعوا فى الشر ذلك الاندفاع الذى نراه الآن ، فان شريعة الغاب ، التى لا تعرف مروءة ولا أخلاقا ولا انسانية ، هى التى تحكم فى العلاقات الانسانية العامة ، والعصبية الجنسية أو العنصرية .. تتحكم فى كل شىء فى داخل هذه الدول وعلاقاتها الخارجية .

وقد كان كذلك البوذيون فى الصين واليابان والهند ، فان عدوى الحقد تسرى فى النفوس سريان النار فى الهشيم ، بل سريان السم الزعاف فى الجسم الانسانى السليم .

٥ ـ لنترك هذين الدينين من غير أن نمس احساس الذين يؤمنون بهما حق الايمان ، ولنتجه الى البرهمية واليهودية ! وانا نرى أنهما قدبنيا على العنصرية والعصبية الجامحة ، فالبرهمية أو الهندوسية بنيت على الطبقات التى تورث فى الأخلاف ، وبنيت على اعتبار كل مخالفيهم من الأنجاس ، لا يؤاكلون ، ولا يشاربون ، ولا يعيشون متجاورين !! ولذلك نسمع كل يوم عن المذابح التى يقيمونها فى جيرانهم المسلمين ، ولا يحرك الحاكمون ساكنا عند قيامها الا قليلا !

وقريب منها اليهودية ، فهم يجعلون أنفسهم أبناء الله وأحباءه ، وأنهم المختارون من بين الناس لمحبة الله تعالى ، اذ يقولون انهم شعب الله المختار ، ويحرمون على أنفسهم ما يحلونه فى معاملاتهم مع غيرهم ، فتوراتهم تحرم الربا فيما بينهم ، وتبيحه عند الأخذ من غيرهم ، وينظرون الى الانسانية على أنها مستغلهم ، وانهم لايستطيعون استغلالها الا فى تفرقها ، ولذلك يغرون دائما بالعداوة بين الناس ، ويقدمون أسباب الحروب بينهم .

وننتهى من هذا الى أن الهندوسية واليهودية تتلاقيان فى معنى واحد ، وهو تقوية العنصرية ، واتخاذ العالم كله عدوا مبينا ، فلا يمكن أن يكون العلاج لأدواء البشر اليوم فيهما ، لأنهما تنشران العصبية ، وهى داء العالم الدوى الآن ، فلا يكون الداء دواء !.

٦ ـ ان العالم اذن فى حاجة الى دين يدعو الى الوحدة الانسانية الجامعة ، ويكرم الانسان ، لأنه انسان ويدعو الى المحبة فى ظل العدالة ، والى الأخوة فى ظل الرحمة ، والى التعاون فى ظل الله .

وانا اذا أخذنا مخبرنا لنختبر به الاسلام فى هذا المقام ، نجده وحده هو الذى يتضمن هذه الحقائق ، وهو الذى يهدى اليها ويرشد فى أقوال صريحة قاطعة فى دلالتها ، وأحكام قوية تنظم السلوك الانسانى ، لا فى علاقة الآحاد بعضهم مع بعض ، بل فى علاقات الدول بعضها مع بعض .

وانا عندما نتجه الى نصوصه يواجهنا قوله سبحانه : ((ان الله يامر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)) ، ويواجهنا قوله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » فالعدالة الاسلامية تعم العدو والولى على سواء ، والعدالة واجب انسانى عام ، تعيش فى قانونه الانسانية كلها على هدى مستقيم لا عوج فيه ، وهى حق للضعيف والقوى ، والجاهل والعالم ، والدول المتقدمة ، والدول المتخلفة ، فالتخلف لا يبخس المتخلف حقا ، والمتقدم ليس له حق فوق حق المتخلف فى الوجود .

ان الأحاديث النبوية تدعو الى العدل المطلق ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ربه : ((يا عبادى ، انى قد حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا))
وان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليصرح بأن كل عمل يقبل الغفران الا ظلم العباد ، فان الله لا يغفره اذا لم يسامح العباد الذين وقع الظلم منهم ، وان الاسلام قد وضع بالنسبة للعدالة المطلقة فى داخل البلاد ، وفى علاقات الدول نظاما لم يشهد العالم مثله عدلا .

٧ - واذا نسى التاريخ شيئا فلن ينسى عدالة المسلمين فى ميدان القتال ، وتمسكهم بحقوق الانسان ، بل لا ننسى المعاملة العادلة التى لا تفرق بين عدو وولى فى ميدان القتال ، ولا نوازن فى هذا المقام ما كان بين المسلمين وما كان من غيرهم فى الحروب الصليبية وانظر الى صلاح الدين عندما عجز عن أن يطعم الأسرى ، فأطلق سراحهم ، ولما أطلقهم فقد قيل له : ان الأولى أن تقتلهم ، لأنهم سيكونون قوة عليك ، فقال : نهينا عن أن نقتل بالجوع والعطش ، ولأن أقتلهم فى الميدان خير من أن أقتلهم جوعا وهم فى يدى ، وقد تجمعوا وقاتلوه وهزمهم . ثم انظر الى عمل « ريكارد » ملك الانجليز اذ وعد طائفة من المقاتلين بألا يمسهم اذا استسلموا ، وكانوا قلة يقاتلون قتال الموت ، فسلموا ، فنسى الغادر عهده وقتلهم جميعا غدرا وغيلة .

ولكنا نترك هذه الموازنة لنذكر خبرا صغيرا تحكيه كتب التاريخ فى زواياها ، ذلك أن أهالى سمرقند شكوا ظلما من قتيبة بن مسلم ، قائد جيوش المسلمين ، الذى ساح بها فى شرق آسيا حتى وصل بها الى الصين . وكانت شكواهم أنه دخل ديارهم بجيوشه ، ولم يخيرهم (كما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم -) بين العهد أو الاسلام أو القتال وكانت هذه الشكوى الى عمر بن عبد العزيز ، فأمر - رضى الله عنه - بأن يجلس القاضى ، ويتحقق من صدقهم ، فان تبين صدق الشكوى أمر الجنود بأن يتركوا الديار التى دخلوها ، ويعودوا الى ثكناتهم ، ففعل القاضى ما أمر به ، وتحقق صدقهم ، فأمر الجند فعادوا الى ثكناتهم ، فهل علم العالم عدلا أجل من هذا ؟!

وان العالم الآن يتنسم نسيم العدالة التى قررتها الأديان ، ونسيم المعاملة التى لا تفرق بين دولة قوية ودولة ضعيفة ، وانا لنقرأ اليوم أن دولة معتدية أرهقت شعبا ضعيفا ، فوجد الضعيف جارا من لونه وعنصره ينصره ، فنصره وحرزه ، فشكا المعتدى الى اخوانه ، وهددهم بأن ينسحب من حلفهم ، لأنهم لم ينصروه على الشعب الضعيف ، ولم يؤيدوا اعتداءه ، واغتياله لحقوقه (١) !!

٨ - والسبب فى العدالة الاسلامية ، هو أن الاسلام جعل العالم كله أمة واحدة ، فقد صرح القرآن الكريم بأن الناس جميعا مع اختلافهم أمة واحدة ، فقد قال تعالى : ((كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)) .

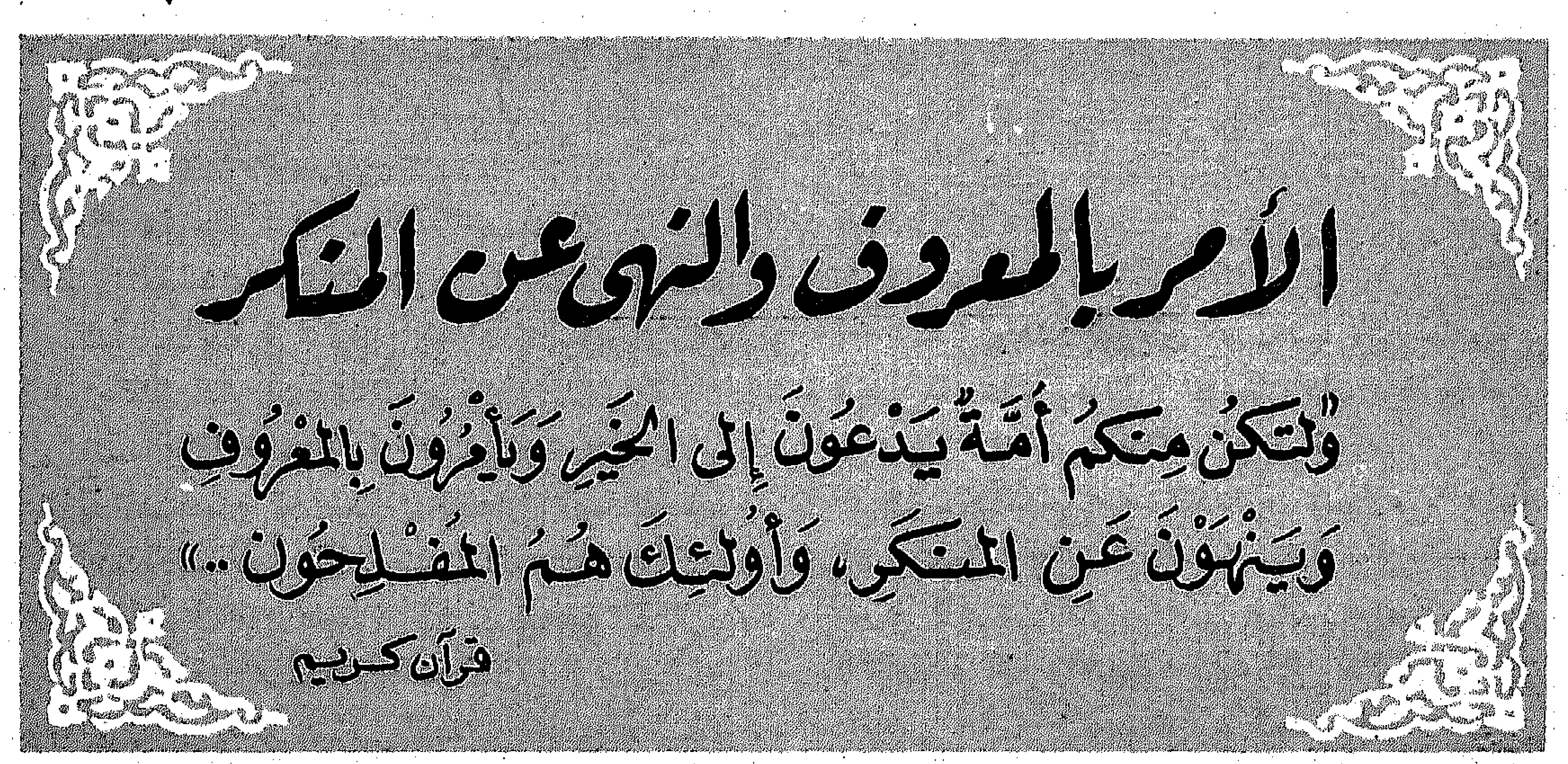
وقد نادى الاسلام بالتعارف الانسانى العام منبها الى أن الجميع لآدم وحواء ، فقد قال تعالى : ((يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير)) فالجميع ينتهون الى ذكر وأنثى ، وان كانوا قد خلقوا شعوبا وقبائل فلكى يتلاقوا على أخوة واحدة ، ولا يبغى بعضهم على بعض ، وليس الشرف بينهم بلون أو عنصر ، انما الشرف بالتقوى والعمل الصالح. ولقد كرر النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا المعنى فقال - عليه الصلاة والسلام - : ((كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود ، الا بالتقوى)) .

وان لناس الآن لا ينظرون الا الى العنصرية أولا ، والى القوة ثانيا ، والى حب الغلب ثالثا ، وكلها أدواء وأسقام ، ونيران تتأجج ، اللهم هب للانسانية من أمرك رشدا .

(البحث موصول)

---
(١) تلك هي دولة البرتغال مع شعب جوا .

من أبواب التكافل الاجتماعى فى الإسلام



فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى عميد كلية الشريعة

من أساليب البيان العربى نوع يسميه العلماء ((بالتجريد)) ومثاله أن تقول لصاحبك : لى منك أخ صادق ، ومعناه أنت أخ صادق ، فلفظ « من » هنا لا يـراد به معنى التبعيض وكذلك يقولون : رأيت فيك رجلا فاضلا ، وليس المعنى على أن الرجل الفاضل فيه وداخله، وانما المعنى : رأيتك رجلا فاضلا ، ويقولون أيضا : لقيت بفلان بحرا فى العلم ، ومعناه أنه كالبحر فى العلم سعة وعمقا ، وهذا معنى قول العلماء أن التجريد يكون تارة بمن ، وتارة بفى ، وتاة بالباء .

اذا تبين هذا فاننا نستقبل قوله تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير)) فنقول ان بعض المفسرين يجعل لفظ ((من)) فى الآية على معناه الأصلى وهو المفيد للتبعيض ، ويقول : ان الله يامر المؤمنين بأن يكون فيهم ومن بينهم طائفة من الناس يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والمؤمنون بجملتهم مسئولون عن وجود هذه الطائفة فيما بينهم ، فان وجدت فقد نزلوا على أمر الله وأطاعوه ، وان لم توجد كانوا جميعا متحملين للاثم مشتركين فى المسئولية عن هذا العصيان لأمر الله ، ولهذا نرى من المستفيض بين الناس الذى يقوله عامتهم وخاصتهم ان الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين ، واذا تركه الكل أثموا جميعا ، وهو فى ذلك بمنزلة الصلاة على الميت أو اتباع جنازته ، أو ارشاد التائه أو الأعمى ونحو ذلك .

وليس هذا الرأى بالجيد ، وليس العمل به والبناء عليه بالذى تصلح عليه حال الأمة ، فان افراد طائفة من الناس بالدعوة الى الخير قصور وتقصير فى أمر هذه الدعوة وأن الاكتفاء بما يفعله الوعاظ والمرشدون بحكم وظائفهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس من شأنه أن يربى فى الأمة معنى التضامن والتكافل بين سائر أفرادها وقد يربى فيها خلق التواكل والتخفف من هذه المسئولية على اعتبار أن الأفراد غير مكلفين بها تكليفا عينيا، وانما هو تكليف كفائى قد كفتهم الدولة أمره حين عينت فى كل مركز واعظا ، وفى كل مسجد اماما ، وفي كل قرية مأذونا أو فقيها الخ .

وانما الرأى الجيد فى تفسير هذه الآية بما ترشد اليه الآيات الأخرى ، والأحاديث النبوية وعمل الصحابة والتابعين ، ويحقق المصلحة المقصودة من هذا التشريع هو أن يقال : ان الدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مطلوب من كل مؤمن لا يكفى أن يفعلها البعض ليتركها الآخرون ، ومثلها فى ذلك كالصلاة والزكاة والحج وغيرها من الواجبات العينية ، وعلى هذا تكون « من » فى قوله « منكم » على معنى التجريد الذى شرحناه فى أول هذا الكلام لا على معنى البعضية والاكتفاء ، والمعنى : ولتكونوا أيها المؤمنون أمة من شأنها وطابعها العام الذى يشمل سائر أفرادها ، الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا رأى يقول به حذاق المفسرين وهو الراجح لأمور :

١ - منها أن الله سبحانه وتعالى يقول فى سورة التوبة :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله»
فقد اشتملت هذه الآية على صفات وصف الله بها المؤمنين ، والشأن فيهم أن يكونوا متصفين بها ، وليس من الممكن أن نحمل ذلك على أن يكون من بينهم من يفعلها ، فتكون فرائض على الكفاية ، لأن من بينها بعد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة واطاعة الله ورسوله ، وظاهر أن ذلك كله على معنى الفرائض العينية التى يقوم بها كل انسان ، ولا يكتفى فيها بفعل البعض ، ولا معنى للتفريق بين ما جمعه الله واعتبار الأمر والنهى عن المنكر خاصة من بين هذه الخصال كلها فرضا كفائيا على غير المتبادر من الكلام ، وشبيه بهذه الآية الكريمة قوله تعالى فى سورة آل عمران :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وقوله جلت كلماته فى سورة الحج :

« الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر»

فالآية الأولى تتبع الحكم على الأمة بالخيرية بأوصاف يشعر الكلام بأنها السبب فى هذا الحكم ، وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله ، وما دام الايمان بالله مذكورا ومعدودا على هذا النحو ، فالمتبادر الظاهر أنه يعد ما لا غنى عنه لمؤمن فى أية حال ، وهذا هو شأن الفروض العينية لا الكفائية ، وكذلك الآية الثانية حيث يجمع للمؤمنين أوصافا من بينها اقامة الصلاة وايتاء الزكاة التى هى واجبة على كل فرد .

٢ - ومنها أن الله سبحانه وتعالى يقول فى سورة العصر :

« والعصر ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصلوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فقد بنى هذا الكلام على أسلوب النفى والاستثناء والمعنى فيه أن الله يحكم على كل أفراد الانسان بالخسران والهلاك ، الا الذين توجد فيهم هذه الخصال ومن بينها التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، فمن لم يوجدا فيه ولم يتصف بهما فهو محكوم عليه بالخسار كمن لم يوجد فيه الايمان وعمل الصالحات تماما ، وقد عبر الله سبحانه فى هذه السورة بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وهما فى قوة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة الى الخير وانما ذكر الحق والصبر تنبيها على ان الحق من شأنه أن يبعث فى الانسان كل معانى الخير ، وأن الصبر من شأنه أن يدفع عنه كل خصال الشر ، فمن كان فيه ملكة القبول للحق فى كل شأن من شئونه الاعتقادية والواقعية فاز ، واستطاع أن يبنى كل أموره وتصرفاته على الأساس الصحيح ، ومن كان خلق الصبر فيه سجية كان هذا الخلق ناهيا له عن التورط فى الشرور اذ يصبر على شهوات نفسه ودوافعها من حقد وحسد وحب للاستعلاء وتمكين للنفس مما تشتهى وترغب وشبيه بهذا ما جاء على معنى المقابلة فى وصف الذين كفروا من بنى اسرائيل فى قوله **« كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه» ،** وصيغة التناهى كصيغة التواصى فى افادة معنى التبادل الذى يشترك فيه الجميع ، لا البعض دون البعض .

٣ - ومما يدل على ذلك أيضا أن هذه الآية التى نفسرها **قد ختمت بقوله تعالى « وأولئك هم المفلحون » .**

فان المعنى فيه : وأولئك القائمون بالدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هم المفلحون ، فاذا جعلنا هذه الخصال لطائفة من الناس دون طائفة كما هو فرض الكفاية — فقد حكمنا بحرمان باقى المؤمنين من الفلاح والفوز بالخير فى الدنيا والآخرة وقصرناه على طائفة من المؤمنين دون طائفة ، ولا شك أن هذا لا يستقيم .

٤ — وقد جاءت السنة المطهرة بما يفيد ذلك ومنها قوله — صلى الله عليه وسلم — « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » وقوله « المؤمن مرآة المؤمن » ، وفى رواية أخرى « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه » وظاهر من هذه الأحاديث أن ذلك لجميع المؤمنين وليس لبعضهم دون بعض .

*

بهذا يتبين أن الأمر الالهى فى الآية موجه الى المؤمنين على أساس التكليف العينى لكل واحد منهم بأن يكون داعيا الى الخير آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، فمن كان كذلك كان مطيعا لأمر الله ، ومن كان على خلاف ذلك كان عاصيا لهذا الأمر ولو قام به سواه .

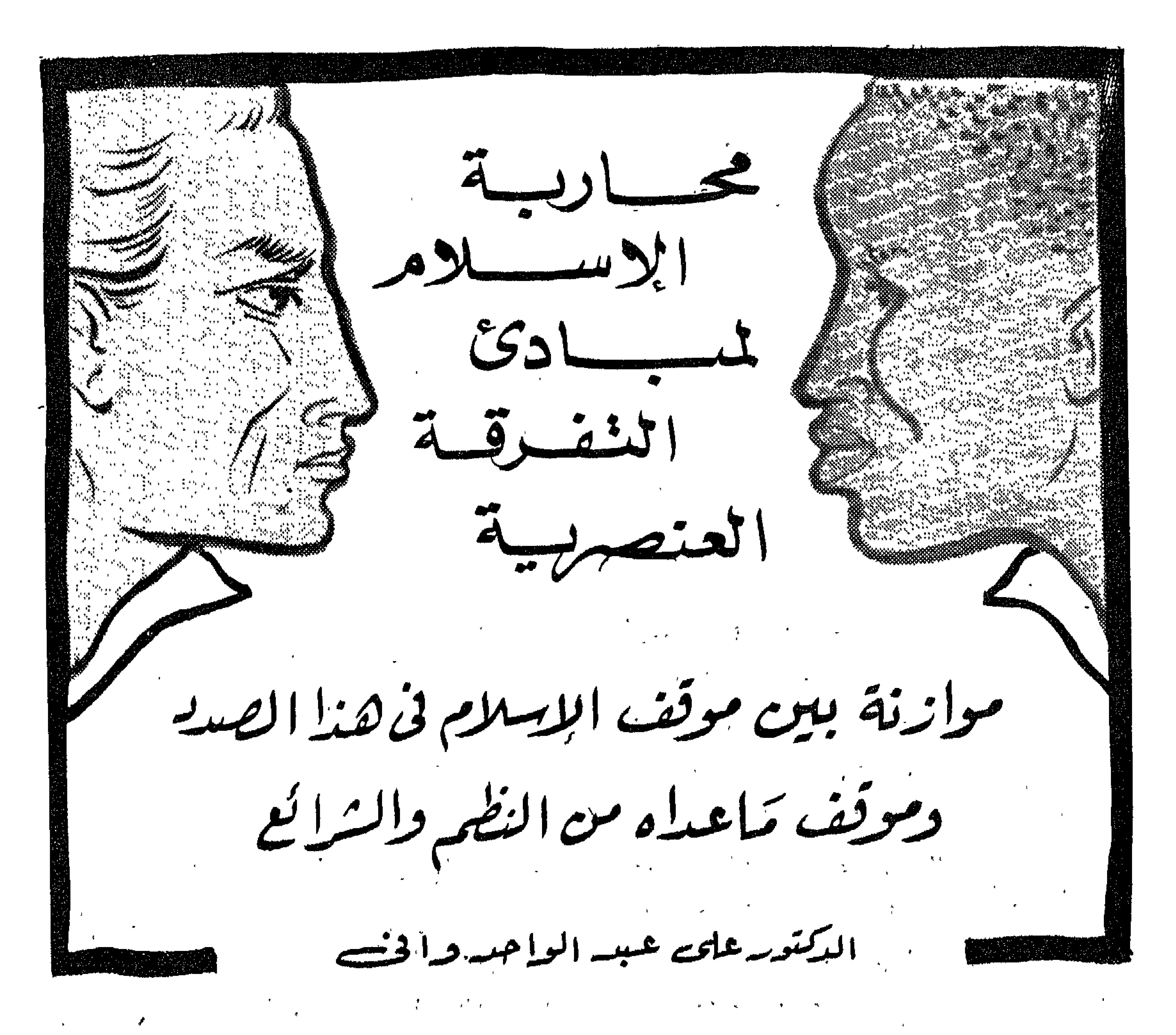
وقد يرد هنا سؤال أو اعتراض على هذا التقرير ، وهو سؤال قديم يذكره من يرى الرأى الأول ، يقولون : لا شك أن من الناس قوما غير عالمين بالمعروف والمنكر وليسوا أصلا للدعوة الى الخير ، وهم غير المتعلمين من عامة الناس ، وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا مطالبين بشىء لا يعرفون حدوده وشروطه ، فاذا جعل هذا الأمر فرضا على كل انسان — من لم يفعله فقد عصى الله — لكان ذلك أمرا بما لا يستطاع ، وتأثيما لعدد كبير من المؤمنين الذين لا يعرفون علم الدين والحلال والحرام ، كما يعرف المتفقهون .

والجواب عن هذا أن يقال : ان العلم بالخير والشر ، والمعروف والمنكر أمر فطرى مركوز فى الطباع ، فما من انسان الا ويستطيع أن يدرك بحاسته وقلبه السليم وفطرته أن هذا الفعل خير ، وأن هذا الفعل شر ، وأن هذا معروف ، وذاك منكر ، ولو بصورة اجمالية ، ولا يوجد مؤمن ليس عنده هذا التصور الاجمالى للخير والشر والمعروف والمنكر لأنه بحكم ايمانه يكون عنده هذه الحاسة المميزة ، وليس المراد أن يكون عارفا بالتفاصيل على نحو فقهى استدلالى متتبع للفروع والتأويلات كأهل العلم والفقه .

ولعمرى ان احساس المؤمن وادراكه لأصول الخير والشر على وجه الاجمال لهو أنفع وأجدى على الأمة من فلسفة المتظاهرين بالعلم الذين عندهم الشقشقة والقدرة على التأويل لما يرون من منكر ، وتبرير السكوت عن الأمر بالمعروف ، والركون فى هذا وذاك الى قول ضعيف أو فتوى أو تعليل ، ذلك بأن العامى اذا وجدت عنده الغيرة الدينية كان أهيب وأقوى على دفع المنكر والأمر بالمعروف .

وكم رأينا من أناس يرتكبون شيئا أمام الخاصة ولا يجرءون على فعله أمام العامة بحجة أن العامة لا يعذرون ، فهم يهابونهم ولا يهابون الخاصة الذين يمكنهم أن يسكتوهم ويدفعوهم عنهم بشىء من الجدال والتأويل ، والحقيقة أن هذا انما كان ، لأن العامة يعرفون الخير والشر والمعروف والمنكر بالفطرة ، لا بقول فلان وتخريج فلان ، ويكرهون الجدال فيما هو ظاهر لأنهم يستفتون قلوبهم وأرواحهم ، ولا يلجأون الى المناورات والمخادعات بالالفاظ العلمية ، والمصطلحات الفنية ، واذا كان الأمر كذلك فكيف يسوغ لنا أن نحرم العامة من هذا المركز ، بل أن نحرم الأمة نفسها من الانتفاع به وهم فى الحقيقة السياج القوى ، والحاجز المنيع الذى يهاب اقتحامه كل متجرىء على الله ؟!

على أنه اذا فرضنا عاميا لم يدرك ما هو المعروف أو المنكر فى مسألة بذاتها لدقة فيها ، فانه حينئذ يسقط عنه ما لم يستطع ، ويبقى مطالبا بما يعرف ويستطيع ، ولا يسقط ذلك عنه بفعل غيره ، وظاهر أنه لا يوجد مسلم يجهل كل أنواع الخير والمعروف ، وكل أنواع المنكر حتى يقال ان العامى مبعد عن هذا المركز غير مسئول كسائر المؤمنين عن تبعاته .



يقرر الاسلام أن الناس جميعا متساوون فى طبيعتهم البشرية ، وأن ليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الانسانى ، وخلقها الأول ، وانحدارها من سلالة خاصة ، وما انتقل اليها من أصلها هذا بطريق الوراثة ، وأن التفاضل بين الناس انما يقوم على أمور أخرى ، خارجة عن طبيعتهم وعناصرهم وسلالاتهم وخلقهم الأول ، فيقوم على أسس كفاياتهم وأعمالهم ، وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والانسانية جمعاء .

وفى هذا يقول الله تعالى : ((**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير**)) . أى أنكم جميعا منحدرون من أب واحد وأم واحدة ، فأنتم جميعا من عنصر واحد وطبيعة واحدة ، فلا فضل لأحدكم على غيره بحسب عنصره وطبيعته ، واذا كان الله تعالى قد جعلكم شعوبا وقبائل ، فانه لم يجعلكم كذلك لتفضيل شعب على شعب ، أو قبيلة على قبيلة ، وانما قسمكم هذا التقسيم ليكون ذلك وسيلة للتعارف والتمييز والتسمية ، كشأن الأفراد يحمل كل منهم اسما ليعرف به ويتميز عن سواه ، والتفاضل بينكم فى نظر الله انما يجرى على أساس أعمالكم ومبلغ محافظتكم على حدود دينكم ، فأكرمكم عند الله أتقاكم . ويقول الله تعالى فى آية أخرى : ((**ولقد كرمنا بنى آدم . وحملناهم فى البر والبحر . ورزقناهم من الطيبات . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**)) فالله تعالى قد كرم بنى آدم على العموم ، وفضلهم على كثير من خلقه ولم يخص بذلك جماعة دون أخرى .

ويقول تعالى فى صدد المساواة بين الذكر والأنثى فى القيمة الانسانية المشتركة : **« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض »** . اى ان الذكور من الاناث ، والاناث من الذكور وليس بينهم فرق فى جوهر الطبيعة ، فلا يفرق الله بين الذكور والاناث فى جزاء مايعملونه ، ولايضيع عمل عامل منهم ويقول تعالى : **« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء »** . فزوجها مخلوق منها ، ومن عنصرها نفسه ، لا من عنصر آخر ، وقد انبث منهما جميع الرجال والنساء ، فالجنسان كلاهما يرجعان الى أصل واحد .

ويقول عليه الصلاة والسلام مقررا هذا المبدأ فى أقوى العبارات وأبلغها دلالة فى خطبة الوداع التى جعلها دستورا للمسلمين من بعده : **« أيها الناس : ان ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب ، وليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب »** . وحينما رأى الرسول عليه السلام أبا ذر الغفارى يحتد على بلال ــ وهو يحاوره ــ ويقول له « يا ابن السوداء » ، غضب غضبا شديدا وانتهر أبا ذر وقال : **« طف الصاع ، طف الصاع ! »** أى قد تجاوز الأمر حده **« ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو عمل صالح »** . فوضع أبوذر خده على الأرض ، وأقسم على بلال أن يطأه بحذائه ، حتى يغفر الله له زلته هذه ، ويكفر عنه ما بدر منه من خلق الجاهلية الأولى .

هذا ، ويظهر سمو هذه المبادىء الاسلامية، **بالموازنة بينها وبين العقائد والشرائع التى كانت سائدة فى هذا الصدد عند كثير من** شعوب العالم المتحضر قبل ظهور الاسلام ، وخاصة عند الهنود واليونان والعبريين والعرب فى الجاهلية ، ولا تزال رواسب منها سائدة فى بعض الشعوب غير الاسلامية فى الوقت الحاضر .

١ ــ فالكتب المقدسة للهنود البرهميين ، تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم ونشاتهم الأولى فتذكر أن براهما قد خلق فصيلة « البرهميين » من فمه ، وفصيلة « الكشتريين » من ذراعه ، وفصيلة « الفيسائيين » من فخذه ، وفصيلة « السودرائيين » أو « المنبوذين » من قدمه . ولما كان أشرف الأعضاء وأطهرها هو ما علا السرة ، وأشرفها وأطهرها جميعا هو الفم ، ويليه فى ذلك الذراع ، ولما كان أحط الأعضاء هو ماكان أسفل السرة وأحطها جميعها هو القدم ، لذلك كان أشرف الناس جميعها وأطهرهم بحسب العنصر والنشأة الأولى هم الذين انحدروا من فم براهما ، وهم «البراهميون» ، ويليهم فى الفضل الذين **انحدروا من ذراعه وهم الكشتريون ، وكان أحط الفصائل الانسانية هم الذين انحدروا من فخده وقدمه وهم « الفيسائيون » و « المنبوذون » ، وأكثرهم رجسا ونجسا هم « المنبوذون » المنحدرون من قدم براهما . وتقسم هذه الاسفار الوظائف الانسانية بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة منها ، وبحسب شرف الوظيفة نفسها وأهميتها ،** فللبراهميين أرقى الوظائف ، وهى الوظائف الدينية ، فهم وحدهم الذين يعلمون الناس « الفيدا » (الأسفار المقدسة للبرهميين) ويشرفون على المذابح والضحايا ، وهم وحدهم الذين لهم الحق فى « المنح والقبول » . وللكشتريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والعمل على استتباب الأمن ، وللفيسائيين **القيام على تربية الأنعام وفلح الأرض وشئون**

التجارة . وأما « السودرا » أو « المنبوذون » فلم يعطهم « السيد الاعلى » الا وظيفة واحدة، وهى أن يكونوا خدما للطبقات السابق ذكرها، وهم فوق ذلك رجس ونجس ، فلا يصح لمسهم، ولا مؤاكلتهم ، ولا مصاهرتهم ، ولا الارتباط بهم بأية علاقة ، غير علاقة السيد للمسود (مادة ٣١ ومواد ٨٧ — ١١٩ من الكتاب الأول من قوانين مانو ، ومواد الكتاب الرابع)

٢ — **وكان قدماء اليونان ، يعتقدون أنهم شعب مختار ، قد خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التى خلقت منها الشعوب الأخرى التى كانوا يطلقون عليها اسم البربر ، وأنهم كاملو الانسانية قد زودوا بجميع ما يمتاز به الانسان عن الحيوان من قوى العقل والارادة ، على حين أن الشعوب الأخرى ناقصة الانسانية ، مجردة من هذه القوى لا تزيد كثيرا عن فصائل الأنعام** • وقد عبر عن وجهة نظرهم هذه أصدق تعبير وصاغها فى قالب نظرية « بيولوجية اجتماعية » كبير فلاسفتهم أرسطو ، اذ يقرر فى كتابه « السياسة » أن الآلهة قد خلقت فصيلتين من الأناسى • وفصيلة زودتها بالعقل والارادة ، وهى فصيلة اليونان . وقد فطرتها على هذا التقويم الكامل ، لتكون خليفتها فى الأرض ، وسيدة على سائر الخلق ، وفصيلة لم تزودها الا بقوى الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا بالجسم ، وهؤلاء هم البرابرة — أى من عدا اليونان من بنى آدم — وقد فطروا على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة •

٣ — **وكان الاسرائيليون يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وأن الكنعانيين شعب وضيع ، خصصه الله تعالى ليكون رقيقا لهم ، مسخرا لخدمتهم ، وكانوا يعتقدون أن هذا الوضع قد نشأ من الدعوة التى دعاها نوح على ابنه (حام) ونسله • فقد ورد فى الاصحاحات (٢٠—٢٩) من سفر « التكوين » أن نوحا قد شرب مرة نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه ، وانكشفت سوأته ، فرآه ابنه (حام) على هذه الصورة ، فسخر منه وحمل الخبر الى أخويه (سام ويافث) ولكن هذين كانا أكثر أدبا منه فحملا رداء وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا به ما انكشف من جسمه ، فلما أفاق نوح وبلغه ماكان ، من موقف أولاده حياله ، لعن كنعان ابن حام ، ودعا عليه وعلى نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أبناء سام ويافث •**

***

٤ — **وكان العرب فى جاهليتهم ، يعتقدون كذلك أنهم شعب كامل الانسانية ، وأن الشعوب الأخرى ، التى كانوا يطلقون عليها اسم « الأعاجم » شعوب وضيعة ناقصة الانسانية** ، وقد ترتب على عقيدتهم هذه مظاهر كثيرة فى علاقاتهم بالشعوب الأخرى وفى أنظمتهم ومعاملاتهم • فمن ذلك أن العربى ماكان يقبل أن يزوج ابنته من أعجمى، مهما كان عظيما ، ويرى فى ذلك امتهانا لشعبه وانسانيته وانسانية ابنته • ويروى المؤرخون أن أحد ملوك الفرس (وهو كسرى أبرويز) خطب حرقة بنت النعمان بن المنذر ، فرفض النعمان مصاهرته خضوعا لهذه التقاليد ، مع أن النعمان كان من ولاة كسرى الخاضعين لسلطانه ، وأن كسرى قد ثارت لذلك ثائرته ، فاستقدم عاهل العرب الى المدائن (عاصمة فارس فى ذلك العهد) ، وتهدده بشتى صنوف العذاب ، فلم يزده ذلك الا عنادا فى المحافظة على تقاليد قومه ، فأمر بطرحه تحت أقدام الفيلة ، وسوى معالم جسمه بالتراب ، وظن كسرى أن ذلك سيوقع الرعب فى نفوس العرب ، فطلب حرقة من هانىء بن قبيصة الشيبانى (من بنى بكر) الذى أودعه النعمان

ابنته قبل سفره الى المدائن ، فلم يكن نصيبه منه بأحسن من نصيبه من صاحبه . فأرسل فيالقه لتوقع الخسف بهذه الأمة التي استأسدت في وجهه ، واحتجزت فتاتها دونه . فنفر العرب على بكرة أبيهم ، دفاعا عن تقاليدهم وذيادا عن حوزتهم ، والتقت جيوشهم بجيوش الفرس في موقعة « ذى قار » الشهيرة التي انتهت بانتصار العرب على الفرس وتحريرهم من رقهم .

ويروى كذلك أن أحد دهاقين الفرس (وهم رؤساء الفرس وكبار أغنيائهم) قد خطب امرأة من باهلة (وهي قبيلة من أوضع قبائل العرب ، بل كان يضرب بها المثل في الضعة والانحطاط) فأبى عليه ذلك أهلها ، على الرغم مما لدهاقين الفرس من سعة العيش ونعومة الحال ، ومابلغته باهلة بين العرب من لؤم الحسب وانصداع النسب .

٥ ـ وقد تركت نظم التفرقة العنصرية رواسب كثيرة لدى كثير من الأمم الغربية في العصر الحاضر . ففي الولايات المتحدة الامريكية ـ مثلا ـ تفرق القوانين ويفرق العرف بين البيض والسود من أبناء الشعب ، وتبدو هذه التفرقة في مختلف مظاهر الحياة، وشتى أنواع المعاملات ، حتى في الشئون القضائية ، وتقدير العقوبات وطريقة تطبيقها ، وحتى أنه ليجوز للجماهير هناك أن تربط الأسود الى شجرة أو سارية وتوثق كتافه وتحرقه حرقا أو تقطعه اربا اربا بدون محاكمة ولا مقاضاة اذا اتصل بامرأة بيضاء . أو لم يلتزم الحدود التي ألزمه القانون والعرف ـ بحكم لونه ـ ألا يتعداها ، وحتى أنه في بعض هذه الولايات لا يسمح لأولاد السود بدخول المدارس المخصصة لأولاد البيض ، وفي بعضها يفرق في السيارات العامة نفسها بين مقاعد البيض ومقاعد السود . وفي اتحاد جنوب افريقيا نظم التمييز العنصري بين البيض وغيرهم ، في أعنف مظاهرها وأشدها مجافاة للأخلاق وحقوق الانسان . وعلى الرغم من الثورات العنيفة والمجازر الدامية التي حدثت في هذا الاتحاد من جراء ذلك ، وعلى الرغم من استنكار شعوب العالم أجمع لمسلك حكومته في هذا الصدد ، وعلى الرغم مما أصدره مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وأصدرته (مؤتمرات الكومنولث). نفسها ـ وهي المنظمة التابع لها اتحاد جنوب افريقيا ـ من أحكام بادانة حكومة الاتحاد وقرارات ضد التمييز العنصري وأوامر بوجوب الغائه فان حكومة الاتحاد لم تأبه بشيء من هذا ، بل زادت عنفا وقساوة في مسلكها ضد السود والملونين من أهل البلاد !

ومن هذا كله يظهر لنا الفتح العظيم الذى فتحه الاسلام في تاريخ النظم الاجتماعية ، اذ قرر أن الناس جميعا سواسية في القيمة الانسانية المشتركة ، لا فضل لأحد منهم على الآخر الا بكفايته وعمله وخلقه ودينه .

قال أبو عمرو بن العلاء : (كن من الكريم على حذر اذا أهنته ، ومن اللئيم اذا أكرمته ، ومن العاقل اذا أحرجته ، ومن الأحمق اذا رحمته » .

وقفة مع من يفسرون القرآن

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي عضو هيئة كبار العلماء

١ - بين البحث والتخمين

١ - فى عدد جمادى الأولى ١٣٨١ من مجلة منبر الاسلام قرر السيد الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد « أن المسلم عليه أن يؤمن بأن الله تعالى بث روح الحياة فى الطين بعد أن سوى الطين سلالة ، ثم خرج منها آدم - عليه السلام - ولكن ليس لأحد أن يفرض عليه كيفية للتسوية ، أو النفخ أو الخلق ويلغى ما عداها)) الخ . كما قرر الأستاذ الكبير أن أخبار الغيب بالنسبة لله تعالى معلومة الكلمات ، مجهولة الكيفيات ، فلا نبحث عن معانيها فى القواميس اللغوية ، ولا نفسرها بمثل أعمالنا ، لئلا يكون ذلك تشبيها لأفعال الله بأفعالنا . وهذا تفسير فيه تخمين لكلام الله ، لأن الله تعالى نزه عن التشبيه فى ذاته، وصفاته وأفعاله . وهذا هوالحق الذى يطمئن اليه المؤمنون .))

٢ - ونحن فيما نستريح اليه من كلام الأستاذ الكبير نكون على مذهب السلف من أولى العلم . وايضاح ذلك أن فى القرآن آيات بينات ، وأخر متشابهات كما قال الله سبحانه: والمتشابه ما لا تستطيع الأفهام تحديد معناه ، بل الله وحده هو العالم بالمراد منه حقا .

ومذهب السلف أن نؤمن بالمعانى المتشابهات دون تعرض لتحديدها كما فهمت من تقرير الأستاذ العقاد .

٣ - ونجد المتشابه فى مفردات وتراكيب الآيات ، وأمثلة ذلك :

((يد الله فوق أيديهم)) - ((و يبقى وجه ربك» - «ولتصنع على عينى » - « واصطنعتك لنفسى)) - ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)) - ((بتثنية اليد)) - ((بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)) الخ .

فالفاظ اليد ، والوجه ، والعين ، كلها من قبيل المتشابه ومعناها معلوم لله سبحانه ، مخالف لما عندنا .

وكما نجد متشابها فى فواتح السور : الم - الر - طسم - حم . الخ . والسلف يؤمنون بكل ذلك اجمالا دون تخمين ، ويساعدهم على الاكتفاء بذلك أن الله - سبحانه - يمتدح المحتاطين فى الفهم بقوله فى شأن المتشابه **((وما يعلم تأويله الا الله . .والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » .**

فالراسخون ليس معطوفا على ما قبله ، بل هو مبدأ كلام مستأنف . والحمد لله الذى لم يجعل المتشابه فيما يناط بنا بحثه ، لمعرفة حكم تكليفى ، فيمكن اعتباره للاعجاز وكفى . .

٤ - غير أن الخلف بعد السلف من العلماء - ولا أسميهم المتأخرين - يرون التماس معنى للمتشابه يكون مفهوما لنا ، ولائقا بجانب الله تعالى : فاليد هى القدرة ، وألوجه هو الذات وهذا - ولا شك - من قبيل الاعجاز ، اذ لا يمكن - فى اعتبارهم - بناؤه على حقيقته ، ويرون ذلك تأويلا ميسورا للراسخين فى العلم، يقرءون قوله عز شأنه **((وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم . .))** فعطف الراسخين على لفظ الجلالة - عندهم - يؤذن بالتجوز فيما يمكن تأويله من كل متشابه .

٥ - وماذا نصنع نحن فى مذهبين لكل منهما وجاهته ووجهته ؟!!

تصادفنا تراكيب نتعثر فى فهمها ، ولا نستريح علميا لتركها على اجمالها :

منها قوله سبحانه لموسى عليه السلام : **((. . واصطنعتك لنفسى)) ، وقوله سبحانه فى تعنيف ابليس - عليه اللعنة - ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى)) - بتثنية اليد - ، وقوله فى تسخيف اليهود حينما ذكروا أن يدالله مغلولة ((غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان » فاصطناع الله يدين لنفسه** - سبحانه - وخلقه آدم باليدين منه تعالى ، وبسط يديه بالعطاء ، تراكيب ، وفيها مفردات تتعلق بالمولى عز وجل ، وحمل اليد على معنى القدرة كما تأول الخلف ، أو تركها على المعنى

الحقيقى المجهول كلاهما لا يستقيم ، ولايكفينا فى الفهم - لاعلى مذهب السلف ، ولاعلى مذهب الخلف - فلا بد لنا من تفسير نستمده من السياق ، ونقترب به من تأويل المتشابه ، وعندئذ تكون الضرورة خولت لنا صرف اللفظ عن معناه ، وهو ماأسلفنا فيه كلاما وافقنا عليه السيدالأستاذ العقادفيما أرى، ولايكون تخميننا فى تفسير كلام الله ، فان للسياق دخلا كبيرا فى فهم المقصود .

٦ - هذا وقد زعم أناس أن مذهب السلف يقتضى تشبيه الله بعباده ، وحيث جعلوا ليده، ووجهه ، وعينه معانى لها مدلولات فى ذاتهاوان لم تكن من قبيل ما عندنا .

وزعم أناس أن مذهب الخلف يقتضى تعطيل الألفاظ عن مدلولات حقيقية ، حيث يعتمدون فيها على التجوز بالتأويل ، ولا يليق تعطيل لفظ فى جانب الله عن حقيقته !!

وتلك مناقشات جدلية ، ومغالاة مذهبية تعصبية ، ولسنا بحاجة الى نقاش كهذا اليوم، وحسبنا أنهم جميعا قدوة لنا فيما نراه صوابا وملائما لجلال القرآن - ولا أطيل ..

ب - التفسير على ضوء العلم الحديث

١ - من المظاهر الطيبة أن ترى لبعض الأفاضل - من غير علماء الدين - محاولات كريمة فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم .

فمن الحق على كل مسلم أن يتعمق النظر فى كتاب الله ، والاقتباس من هديه ، ومن حق كل باحث قادرأمين أن يقدم للقراء مايهتدى اليه من فهم صحيح ولو كان جديدا - ان كان لديهم جديد - ونحن نعهد أن القرآن الكريم يواجهنا بالكثير من آياته الكونية فى شأن الانسان ، والسموات ، والأرض ونحو هذا من بدائع الله سبحانه فى دنيانا .

٢ - ولكنه تعرض اجمالى بقدر ما يثير اهتمامنا نحو المعرفة ، وبقدر ما يزيدنا ايمانا بقدرته ، واقتناعا بفضله على خلقه فيما خلق وأبدع وأودع فى الكائنات من منافع ونحوها لصالح الانسان .

ونعهد كذلك أن القرآن لم يقف بنا عند الاجمال فى هذه الآيات ، بل يستنهضنا كثيرا الى التدبر فى كل ما نشهده من سموات وما فيها ، وأرض وما عليها ، وفيما بين السماء والأرض من سحاب ، ورياح ، وأمطار ، وطير فى الهواء وغير ذلك كله .

وبقدر تدبرنا ومعرفتنا يزداد الايمان ، وتتأكد القيمة الانسانية فى أشخاصنا ، وازاء العظمة الالهية وتلك هى الغاية البادية من طلب النظر ، والتفكر والاطمئنان عن طريق الحس ، والعقل الى جانب الاطمئنان عن طريق النقل الصادق عن الأنبياء .

فاذا اكتفينا بالمشاهدة الحسية ، ورغبنا عن الامعان والتفقه ، لم نكن نتجاوب مع القرآن فيما حتم علينا من بحث واستطلاع . واذا عرضت لنا آيات من هذا القبيل ، وأردنا بحثها ، واشباع الرغبة منها ، وابراء ذمتنا من التكليف بتدبرها ، وتفقه ما فيها ، وجدنا انفسنا - على هامش الموقف - فى حاجة الى خبرة علمية بالمقررات الحديثة التى انتهت اليها تجارب العلماء الفنيين الاخصائيين بعلوم المادة وغيرها ، وعندئذ يظل الواحد منا محجوبا عن مضمون الآية ، مشوقا الى المزيد من أسرارها ومراميها . والجهالة مريرة على النفس ، فضلا عن عدم القيام بحق الدين فى طلب العلم كيفما كان نوعه .

واليك أمثلة مما يحتاج عالم الدين الى هضمها فهما ، ودراية ، ليطمئن وليستطيع اقناع طلابه ، وسائليه .

١ - يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث !!

٢ - ويسالونك عن المحيض - الحيض - قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ..!!

٣ - أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما .. ؟

٤ - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا .

٥ - وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه الخ

٦ - الم تران الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما . فترى الودق يخرج من خلاله ..

فهذه آيات ولها نظائرها الكثيرة . نقرأ عنها فى كتب التفسير ، فنجد بابها مفتوحا لفهم جديد .. وبحث فنى علمى ، فاذا سمعنا وجهة الطبيب فى أذى المحيض ، وسمعنا وجهة علماء الطبيعة ، والكيمياء ، ونحوهما من أهل الذكر فى كل جانب ، وضحت لنا معرفة قيمة ، وأحطنا بأسرار كونية ذات شأن كبير .

وان لم يتح لنا هذا ، ضاعت علينا بهجة الآيات ، وحاق بنا نطاقها ، وأحسسنا أننا فى عزلة عن مقررات علمية تتصل بحياتنا الواقعية اتصالا لا يستهان به وقد يتأثر نشاطنا الدينى نفسه بانقطاعنا عن المجال العلمى الحديث فى زمن تتوثب فيه الحضارة ، ويشع ضوء العلم فى كل واد .

٣ ــ لا ندعى أن كتب التفسير تغنينا فى هذا الصدد ، ولا ندعى أن كل ذى تخصص علمى قادر على الوفاء بهذه البغية ، ولكن بيننا رجالا ذوى كفاية وامانة ، والعلم كله خيوط متصلة ، ولا حرج علينا أن نقتبس من جانب لجانب آخر .. فالعلم رحمة بين أهله .

ويتضح من هذا الحديث اننى ــ على الأقل ــ لا أنكر على من يستعينون بالمقررات العلمية فى فهم آيات من القرآن الكريم ..

٤ ــ ولكننى قرأت لبعض المتضلعين فى الثقافة المدنية والدينية ، انكارا شديدا ــ بل أشد الانكار ــ على من يحاولون تفسير القرآن بالعلم ، والوجهة فى ذلك : أن القرآن يتجه الى الناحية التشريعية بما فيها من أحكام وآداب ، وقصص ، وليس من مقاصده اثارة نحو البحوث العلمية ..

ووجهة ثانية : هى أن نظريات العلم فى طريقها الى الأمام ، وهى عرضة للايجاب والسلب يوما بعد يوم ، فاذا ربطنا بها آيات الله ، فقد عرضناها للذبذبة فى مدلولها تبعا لنظريات العلم :

فواجبنا فى نظر حضراتهم أن لا نتكلف هذا التفسير الحديث ، حتى ولو كان صحيحا أحيانا ، فانها صحة غير مأمونة الدوام !

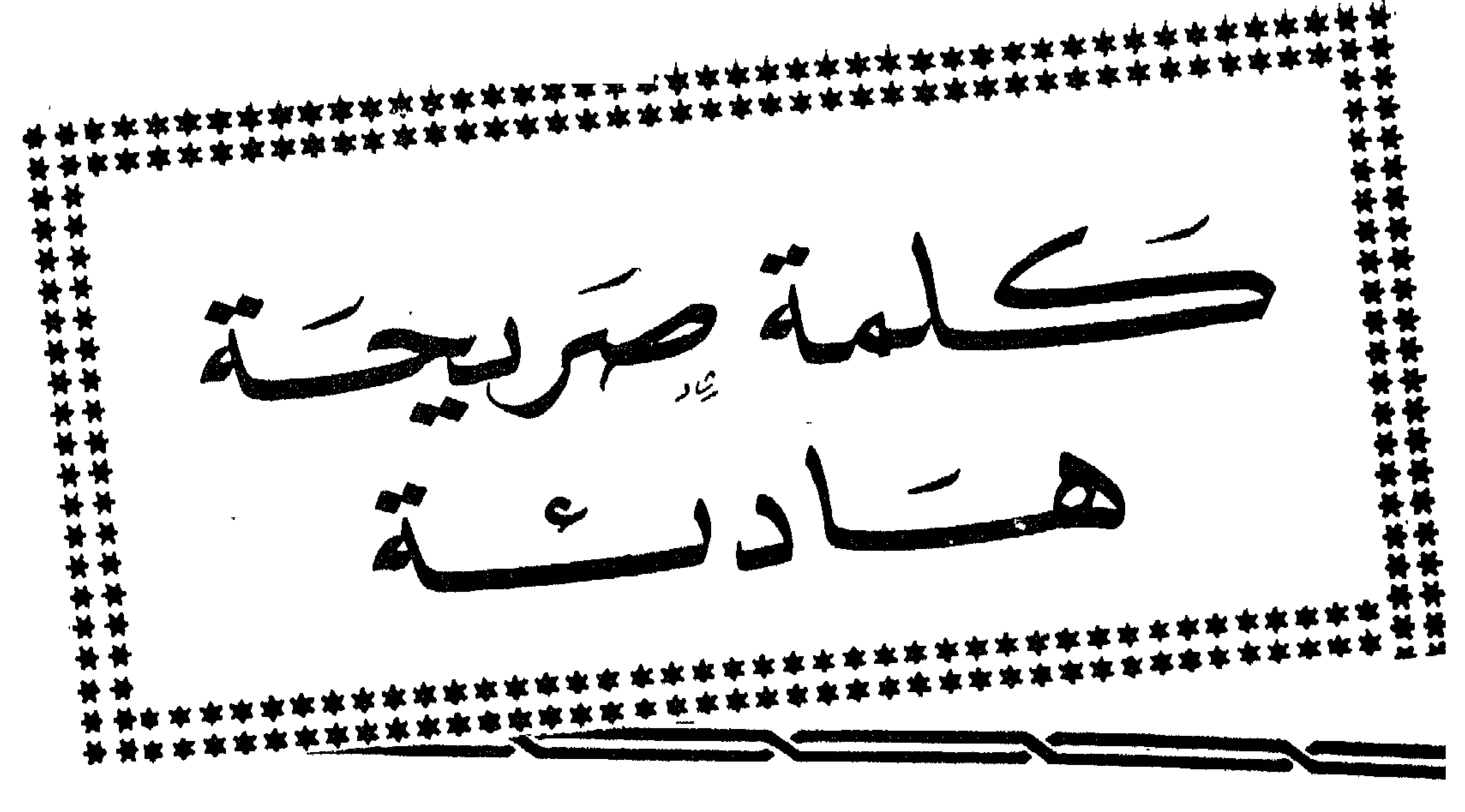
وأنا بقدر ما أستطيع ــ أؤيد هذه الغيرة على القرآن وتفسيره ــ غير أنى أريد أن يكون العلم مساعدا على فهم الآيات لا أن تكون الآيات ساعية الى افهام الباحثين !! على معنى أن العالم الباحث يخضع مقررات العلم لنص الآية ، ويدخلها فى مفهومها اذا استطاع . فان كان حقا ثابتا كان مبتغانا الذى نشتهيه ، وان لم يكن حقا فعليه معابة الخطأ .. والآية بجلالها وقداستها لا يشوبها خطأ الفهم ، كما لم يشبها خطؤنا نحن فى تفاسيرنا الكثيرة .

أعنى أننا نطوع العلم للقرآن ، ونتقرب **بمقدراته الصحيحة الى فهم الآيات فى دقة وجلاء ، والى هنا يتضح كثيرا أننا لا نفتح الباب على مصراعيه لكل حدس ، وتخمين على حساب العلم لكل زاعم ! وانما نعتمد الحق الذى لا ينكره العقل ، ولا يجافيه الدين والتدين ، ولا تشوبه ريبة التحكم ، وتطويع الآيات للنظريات الفضة ، والأفكار الوليدة ، كما يخشى السادة الغيورون (مشكورين) .**

ولقد قرأنا تفسيرا علميا لغير واحد من رجالنا ، فكان التهافت والتكلف أبرز ما لديهم فيما حاولوا ، وقرأت كثيرا مما نشرته مجلة منبر الاسلام للاستاذ عبد الرزاق نوفل ، فبدا لى ــ وفى حدود ما فهمت ــ أنه يسير على منهج رشيد اذ هو لا يعمد الى اقتياد الآية ، وتطويعها لما يقول به العلم على علاته !! بل هو يعمد الى المقررات العلمية التى لم تعد فى مرحلة الاختبار ، بل تكون مستوية معقولة مسلما بها ، ثم ينبه الى أن العلم مسبوق ــ فيما قرره ــ بآيات القرآن ..

وينبه الى أن القرآن يدخر فى مفاهيمه ما جاء به العلم ــ حديثا ــ من أفهام جديدة صحيحة ، **وهذه وجهة حميدة ، فان تكن فى واقع الأمر حقا فهو مجتهد مصيب ، وله أجران ، وان تكن غير ذلك ــ على فرض ــ فهو مجتهد مخطىء وله أجر واحد . وحينما يكون صادقا فى تطبيقه للعلم على مدلول الآية ، يكون مقيدا لنا وخادما للآية .. وحينما يكون غير متحد فى توفيقه بين العلم والقرآن فتظل الآية على جلالها .. لا يمسها وهن .**

وعلى الذين ينكرون كلامه أن يتداركوا بالتصميم الحق ان استطاعوا ... أما آيات التشريع والأحكام ففى صيانة عن تطرق الحديث اليها فى هذا المقام الخاص .



فيما يثار حول الأديان

- إن أنجع علاج هو الصادر عن الله العليم بمن خلق
- الأمة جسد واحد يجب أن يعمل مبضع القانون في العضو الفاسد منه
- قطع يد السارق دواء ناجع ودرس نافع .
- علاج السارق نفسانيًا فكرة خيالية لم يثبت نجاحها ..
- ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه

فضيلة الشيخ
عبد الجليل عيسى

بينا فى العدد السابق (رجب) تعريف السرقة التى توجب حد القطع • كما أوضحنا أنها محصورة فى دائرة ضيقة • واليوم نبدأ فى رد الشبه التى أوردها صاحبنا على تنفيذ هذا الحد فى زماننا الذى نعيش فيه • وليكون القارىء على ذكر من هذه الشبه نلخصها فيما يلى :

الأولى ــ أن الأمم المتحضرة الآن تعمل على وقاية الانسان مما يشوهه • فكيف نقدم نحن مختارين على تشويهه بقطع يده •

والثانية ــ أن قطع اليد سيزيد من عدد المتعطلين فى الوقت الذى تجاهد فيه الأمة للتقليل من عددهم •

والثالثة ــ أن من قطعت يده ستضطر الدولة للانفاق عليه مع يأسها من قدرته على عمل ما فى المستقبل •

والرابعة ــ أننا فى عصر أرهقت أحاسيس أهله حتى أصبحت ترى أن من القسوة قطع يد شخص لمجرد أنه سرق أشياء قد يكون الدافع له طيشا طارئا مثلا •

والخامسة ــ هل يصح التمسك بتنفيذ هذا الحكم فى الوقت الذى تكون فيه الأمم المتحضرة اللجان من علماء النفس والأخلاق وغيرهم للبحث عن علاج للمجرمين بواسطة الاصلاح والتهذيب حتى لا تحتاج الى هذه العملية القاسية ؟ .

هذه خلاصة الشبه التى ساقها صاحبنا على حكم الشريعة فى قطع يد السارق • وبعد ما بينت فى المقال السابق أن الصور التى توجب هذا الحد قليلة جدا بالنسبة لبقية الجرائم قلت له : اسمع رد شبهك هذه واحدة بعد الأخرى •

أما عن الشبهة الأولى وهى الاقدام على تشويه انسان • فأقول : انك نظرت الى هذا الحد من زاوية خيلتها فى نظرك تشويها •• لكنك لو نظرت الى المسألة من زاوية أخرى لوجدتها علاجا • واصلاحا • ألا ترى الرجل الذى أصيب فى يده مثلا بمرض السرطان • وقرر الأطباء الاخصائيون أنه لا ينجيه من الهلاك المحقق الا قطع هذا العضو الكامن فيه المرض • فهل يعد هذا المريض عاقلا اذا امتنع عن هذه العملية الجراحية تحت تأثير أن فيها تشويها له • وأنه يفضل أن يموت كامل الأعضاء على أن يعيش ناقص يد مثلا ؟ أم العقل والحزم يقتضيانه أن يسارع الى الطبيب الجراح ويقدم نفسه مختارا يعمل فيه مبضعه بما ينقذ حياته من الخطر • **وبما أن مجتمع الأمة كالجسم الواحد • فالعضو الفاسد فيه يجب أن يعمل فيه مبضع القانون • وكم يسر المجتمع أن يتخلص من أمراضه حتى لا يعيش منغصا • كما يسر الشخص المريض بنجاح العملية الجراحية التى بتر فيها جزء من جسمه •**

***

أما عن الشبهة الثانية ، وهى أن هذا الحد سيزيد عدد المتعطلين • فالرد عليها أن السارق الذى تقطع يده لم يكن فى عداد المنتجين بل هو معول اتلاف • ومثار ترويع للمنتجين •• واقلاق للعاملين •• فالضرر اللاحق للمجتمع من تعطله أقل بكثير من الضرر الحاصل ببقائه سليما معافى • يعيث فى الأرض فسادا • **ومن المقرر شرعا أنه اذا كان لا بد من ارتكاب أحد أمرين أحدهما أشد ضررا من الآخر ، فانه يجب أن يرتكب أقلهما ضررا •**

***

أما الشبهة الثالثة ، وهى أن الدولة ستضطر للانفاق على هذا الذى تقطع يده مع أنه لا يقوم المجموع بعمل ما •

فالرد عليها أن ما تنفقه الدولة عليه لا يضيع سدى . بل سيعود عليها بأعظم فائدة . كانفاقها على الوعظ وارشاد الناس الى البعد عن مكان الخطر . وكالمال الذى تنفقه الدولة فى سبيل الاعلان والدعاية لشيء يفيد الأمة ، ويوجه أبناءها لما فيه مصلحتهم ماديا واجتماعيا . وما قطع يد السارق . واعلانه بين الناس . ومشاهدتهم للسارق مقطوع اليد الا نوع من الدعاية للأمانة . والتنفير من السرقة . وايذاء الناس فى أموالهم . ثم هو بعد ذلك أروع رادع . وأقوى زاجر . لمن تحدثه نفسه بالانحراف عن سبيل الاستقامة . ولا ريب أن ما لا ينفق لتحقيق هذه الأغراض لا يعد كثيرا مهما تصورت ضخامته .

على أنه اذا نفذ هذا الحد فانه لا ينقضى كثير زمن حتى يختفى وجه السرقة القبيح عن الأنظار . وعند ذلك لا تقطع يد . ولا يصرف درهم فى غير ما فائدة .

ولا شك أنه اذا اطمأنت النفوس فان الانتاج سينمو ويتكاثر والثروة ستزداد . ويتوفر للدولة الكثير من الأموال التى تنفق على جهاز الأمن والمرصودة لمطاردة هذا النوع من الجرائم .

***

أما الشبهة الرابعة . وهو ادعاء أن فى هذا الحد قسوة على الانسان الخ .. فالرد عليه فضلا عما فى الرد على الشبهة الأولى ، فانا نقول : فى أى عرف رشيد يعد من القسوة معاقبة الظالم الباغى ؟! وهل فى عرف العقلاء أن يعد من الرحمة الرفق بوحش شرير يعدو على الآمنين من الشيوخ والنساء والأطفال .. فيروعهم .. ويسطو على أموال الناس .. بل وعلى أرواحهم اذا وقفت فى طريقه ؟! وهل من القسوة قطع يد لانقاذ مئات من بطشها ؟! وهل من الرحمة أن نرفق بيد تسلب الناس قوام حياتهم . بل كثيرا ما سلبت مصدر قوتهم الضرورى . وتركتهم حيارى فى لجج من القسوة . والآلام . والذل . ومد الأيدى لالتقاط فتات من أيدى الناس . لا يسمن ولا يغنى من جوع ؟!

***

أما الشبهة الخامسة وهى امكان علاج اللصوص بالتهذيب ، فالرد عليها **أن هذه فكرة نظرية هى الى الخيال أقرب منها الى الحقيقة ، وشاهد ذلك هذه السجون التى يرتفع فيها صوت الوعاظ والمرشدين والمعلمين فهل استأصلت تلك الجنود جريمة السرقة . وأراحت الناس منها** ؟ كلا .. ودليلنا على ذلك ما قرره رجل من كبار رجال القانون الذين أمضوا زمنا غير يسير فى محاكمة هؤلاء اللصوص فاستمع اليه وهو يقول : «أن صحف السوابق تشهد بأنه يندر أن نجد فيها من ليس له عدد عديد من السوابق » . ومعنى ذلك أنه كلما أطلق سراحه عاد لما كان عليه ، فلم ينفعه وعظ . ولا ارشاد وصدق الله العظيم القائل فى أمثالهم « **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** » ولما كان النبى – صلى الله عليه وسلم – يعلم طبيعة النفس البشرية وأنه لا يصلح لعلاج أمراضها الا الدواء الذى وصفه العليم الخبير بطبائع خلقه ، قال – صلى الله عليه وسلم – فى هذا المجال كلمته الخاسمة « **والذى نفسى بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها** » . وها هى ذى صحافتنا مليئة كل يوم بما يؤيد ذلك . فقد جاء فى بعضها أن ثلاثة من اللصوص الخطرين حاولوا نقب جدار حانوت بائع بجوار قسم الوايلى بالعباسية فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكادوا يقتلون بواب العمارة التى فيها الحانوت . ولولا يقظة رجال الشرطة والقبض عليهم لتمت جريمتا القتل والسرقة ، وتبين بعد القبض عليهم

انه لم يمض على اطلاق سراحهم من معتقـل الطور سوى بضعة أيام ٠٠ والأعجب من ذلك ما نشرته جريدة الأخبار يوم ١٣ـ١١ـ١٩٦١ تحت عنوان « مسجون ينشل متفرجا فى قاعة الجلسة » قالت : أغرب حادث نشل وقـع فى قاعة الجلسة بمحــكمة عابدين ٠٠ ذلك ان المسجون احمد يوسف حسين . وهـو داخل قفص الاتهام ٠ وكان يجلس بجـوار القفص التاجر « رمضان علي » مد يده الى محفظـة التاجر والتقطها ، وتمكن الحراس من ضبطه، وفى جريدة الأهرام يوم ٢ـ١١ـ١٩٦١ تحت عنوان « ٤ ينشلون حافظة نقـود والقيود الحديدية فى أيديهم ، كانوا بالمتـرو تحت الحراسة ، ونشل أحدهم حافظة وكيل شركة طيران كان يجلس قريبا منهم ، وكان مقبوضا عليهم فى حادث نشل سابقة وكانوا فىطريقهم للمحكمة ٠

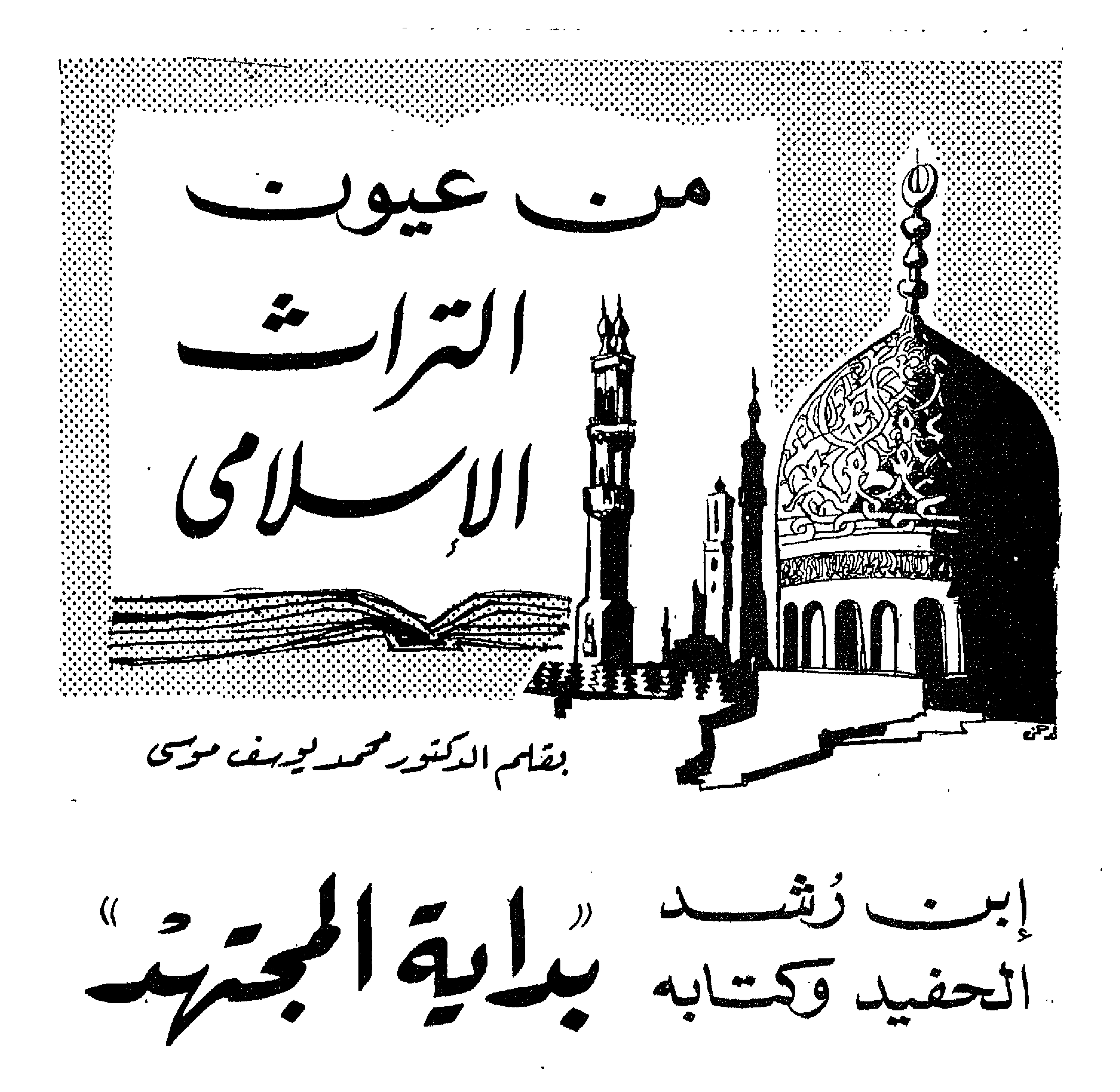
***

وفى أهرام ٩ـ١١ـ١٩٦١ الذى يقـول : « رجال الشرطة تقبض على لص تعـود سرقة نزلاء الفنادق ٠ وله أربعون حادث سرقـة ٠٠ وعثر فى منزله على ثلاثين حقيبة مليئـة بالمسروقات ٠ **وقد اعترف فى التحقيـق بأنه ارتكب آخر سرقة بعد خروجه من السجن فى حادث سرقة))** ٠

ولهؤلاء اللصوص من الحيل والخديعة ما حير رجـال الأمن ، من ذلك ماجاء فى أخبار **يوم ٢٦ـ٩ـ١٩٦١ تحت عنوان « القبض على لص يتنكر فى زى رجل دين ٠ وتبين ان له ٦٠ حادث سرقة ٠ وجـاء فى أهـرام يوم ١١ـ٩ـ١٩٦١ تحت عنوان « ٢٥ شابا يؤلفون عصـابة نشـل بالجيـزة »** ، وقد تبين ان لأكثـر أفـراد العصابة عـدة سـوابق ، وان لهم صورا فى مكاتب المبـاحث الخ ٠٠ نقـول فهل أغنت هـذه الصـور من الأمر شيئا ، اذا كان صـاحبها لا يكاد يخرج من السجن حتى يسارع الى هوايته المطبـوع عليها ٠ وبعد كل هذا لاتكفى كلهذه العبر فى أن تكون حافزا لعلاج هذا الوباء بالدواء الذى وصـفه العليم بدقائق أحـوال خلقـه وما يصـلح لشـفائهم من أمراضـهم ، بعد أن فشلت كل هذه المحاولات المجلوبة من الخارج ؟ وقبل أن نغادر هذا الموضوع نضع أمام أولى الأمر منا ضروبا من العلاجات تفسح لهم مجال التصرف بما يحقق النظام ويريـح النفوس . ويحفظ الدماء والأمـوال ، وتلك ما تضمنته آية ٣٣ من سورة المائدة ، وهى : « **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسـوله ويسعون فى الأرض فسـادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** » ٠

صدق الله العظيم وبه سبحانه التوفيق الى أقوم سبيل





بقلم الدكتور محمد يوسف موسى

ابن رشد الحفيد وكتابه «بداية المجتهد»

يحار الباحث عندما يريد الكتابة عن ابن رشد الحفيد ، هل يتناوله من جانب الفقه والقضاء ؟ فقد نبغ فى هذه الناحية حتى صار كبير الفقهاءوالقضاة فى زمنه بالمغرب والأندلس، أو من جانب الطب الذى برز فيه وفاق حتى كتب فيه كتاب « الكليات » الذى يعرفه أساطين هذا العلم ؟!

أو جانب الفلسفة التى أنفق من وقته وجهده الكبير ليوفق بينها وبين الشريعة الاسلامية ، كما عمل على شرح فلسفة المعلم الأول أرسطوطاليس حتى عرف بين الفلاسفة بأنه « الشارح » كما عرف أيضا بأنه فيلسوف الأندلس وقرطبة الزهراء !

وفى الحق ، لقد نبغ ابن رشد فى هذه النواحى كلها ، فكان فى عصره كبير القضاة وكبير الأطباء وكبير الفلاسفة ، وعرف له الغربيون فضله وبخاصة من الناحية الفلسفية فأقبلوا على كتبه ينقلونها الى لغاتهم ، ويتدارسونها ، بل ويدرسون بعضها فى جامعاتهم .

ونحن فى هذه الكلمة نتناوله من الناحية الفقهية بخاصة ، ونعرف بكتابه القيم « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وذلك بعد أن نترجم له ترجمة موجزة كما تعودنا فى هذا المجال .

أولاً : الكاتب والمؤلف العظيم

١ ـ مولده وأسرته :

ولد هذا الفقيه والفيلسوف الكبير سنة ٥٢٠ هـ بمدينة قرطبة عاصمة الأندلس فى عصره ، ولذلك اشتهر بأنه فيلسوف قرطبة اذ كانت هذه المدينة موطن أسرته ومنبته ، ومغداه ومراحه ، وكانت من أعظم مدائن الأندلس وفيهايقول أحد شعراء هذا الفردوس المفقود :

بأربع فاقت الأمصار قرطبة
منهن قنطرة الوادى وجامعها
هاتان ثنتان ، والزهراء ثالثة
والعلم أعظم شىء وهو رابعها

ومن الحق أن قرطبة كانت فى ذلك الحين سوق العلم ومركز طلابه ورجاله ، وقد يبين لنا هذا ما رواه المقرى اذ يقول : جرت مناظرة فى مجلس ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه أبى الوليد بن رشد وبين الرئيس أبى بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة :

ماأدرى ماتقول ، غير أنه اذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى أشبيلية . ثم يختم من روى هذه المناظرة الطريفة كلامه بقوله : « وقرطبة أكثر بلاد الله كتبا »

وكان ابن رشد سليل أسرة ظلت زمنا طويلا صاحبة مركز عال ملحوظ فى العلم والفقه والقضاء ، فكان جده أبو الوليد أحمد ابن محمد بن رشد قاضى القضاة بالأندلس ، وأمير الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، وكان عالما مقدما فى الفقه على جميع أهل عصره ، ولذلك كان الناس يلجئون اليه ، ويعولون فى مهماتهم عليه ، كما يقول ابن بشكوال .

وكان أبوه له مايقارب هذا المركز المرموق فى الفقه والقضاء على مايذكر الرواة ، ومن الأقوال المأثورة التى تظهرنا على شرفه ومنزلته ، أنه بحسبه شرفا أن يكون ابن ابن رشد الجد وأبا ابن رشد الحفيد .

٢ ـ دراساته ومؤلفاته :

شاء الله العليم الحكيم أن ينحدر ابن رشد الحفيد الفيلسوف من هذا البيت ذى المركز العالى ـ كما عرفنا ـ فى العلم والفقه والقضاء ، وذى المنزلة الرفيعة لدى الأمراء ، فكان كما عرفه التاريخ فردا فى العلوم الاسلامية على اختلافها وتعددها ، كبيرا فى علوم الأوائل وفلسفتهم .

نشأ وهو فتى فى هذه البيئة العلمية ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم درس على الشيوخ وعلماء زمنه الفقه وأصوله ، وعلم الكلام والجدل والخلافيات والأدب شعره ونثره ، واستظهر فى الفقه بخاصة موطأ الامام مالك ، وكان فى اللغة والأدب يحفظ ما أثر من شعر أبى تمام والمتنبى ، حتى كان يتمثل بذلك فى مجلسه ويورد مايريد التمثل به أحسن ايراد كما حكى عنه أبو القاسم بن الطيلسان .

وبعد أن حذق ذلك كله وما اليه ، سمت به همته الى دراسة الرياضيات والطبيعيات وغيرها من العلوم الفلسفية التى برع فيها اليونان .

ولم يغفل دراسة الطب قبل توغله فى دراسة الفلسفة ، بل درسها وأخذها عن أشهر رجالها ، حتى صار يرجع الى رأيه فى هذه الصناعة الشريفة كما يرجع الى رأيه فى الفقه ، على ما يرويه ابن أصيبعة وكما يثبته كتاب « الكليات » فى هذا العلم .

وهكذا درس أبو الوليد ابن رشد الحفيد العلم من معينه ، وأخذه عن أعلامه ، وعنى به منذ حداثته ، واستمر دائبا على هذه العناية حتى ليروى ابن الأبار فى كتابه « التكملة » « أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذب نحوا من عشرة آلاف ورقة » !

ولعمر الحق أن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يمنح بحكمته ما يشاء من أفضال وهبات ، وقد كان فقيهنا العظيم وفيلسوفنا الكبير أهلا لما

آتاه الله من فضله، فقد كان ذا استعدادطيب كبير ، وطبع موات أصيل ، ودين وخلق كريم نبيل .

ويحسبنا أن نشير الى أن الذين ترجموا له، من العلمــاء المعاصرين له أو الذين تأخر بهم الزمن عنه ، يكادون يجمعون على أنه لم ينشأ بالأندلس مثله : كمالا ، وعلما ، وفضلا •

كما نشير الى بعض ما قاله ابن الأبار عنه ، مثل « أنه كان أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا » وأنه « تأثلت له عند الملوك وجاهــة عظيمة فلم يصرفها فى ترفيع حال ولا جمــع مال ، وانما قصرها على مصـــالح أهل بلده بخاصة ومنافع أهل الأندلس بعامة » .

ذلك بعض الجوانب من حياته ودراســاته وخلقه ، أما عن مؤلفــــاته فيكفى أن تتركز بايجاز أنه ترك لنا كتبا ورســـائل كثيرة فى الفقه والنحو والطب ، والفلك وعلم النجوم ، والالهيات وسائر فروع الفلسفة بصفة عامة ، وغير ذلك من العلوم التى كانت معــروفة فى عصره • وكثير من هذه المؤلفــات لاتزال حتى اليوم باللغة العبرية التى نقلت اليها بعد وفاته أو اللغة اللاتينية ، وكثير منها أيضا يعـــرفه علماء الغرب أكثر منا !

ولعل الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية أو المجلس الاعلى لرعاية الفنونوالآداب والعلوم الاجتماعية ، تعنى بجمع تراث هــذا المفــكر الاسلامى الكبير من مؤلفاته العديدة المختلفة ، وهى معروفة لنا ولسائر الباحثين ، وحينئــذ نكون قد أدينا بعض مايجب علينا لأحد أعــلام العروبة والاسلام •

ثانيا : الكتاب القيّم الكبير

يقول الامام ابن فرحون وهو يتكلم عن ابن رشــد الحفيــد ومؤلفاته : وله تآليف جليلة الفائدة ، منها كتاب « بداية المجتهد ونهــاية المقتصد » فى الفقه ذكر فيه أسباب الخــلاف وعلل وجهه فأفاد وأمتع ، ولا يعلم فى وقتــه أنفع منه ولا أحسن سياقا

١ ــ منهج المؤلف :

اذا أراد الباحث تحليل هذا الكتاب ، وفهم الروح الذى يسرى فيــــه جميعه ، يتبين من دراسته أمرين ثانيهما يعتبر نتيجة للأول ، وهما :

ا ــ أن النظر العقلى والقياس فى الفقــه ، فى حدود أصوله المعروفة ، كان أغلب عليه من الاعتماد على كل مايقع له من الأحاديث وأقوال الفقهاء السابقين • وهذا مايجعلنا نقـــرر أن نزعتــه الى النظر العقلى والتفلسف بدت أول مابدت فى الفقه ، كما يجعلنا نرى مصـــداق ما أجمع عليه الذين أرخوا له من أن « الدراية كانت أغلب عليه من الرواية » .

ب ــ أن الدين ــ كما يقول بحق ــ يقصد بما جاء به من شعائر وعبادات ، وأوامر ونواه ، الى غايات خلقية واجتماعية ، بها ســــعادة الأفراد والجماعة كلها ، وهذا مانجده واضحا تماما فى خاتمة هذا الكتاب

فقد ذكر فى هــــذا الموضــع أن من أوامر الدين وأحكامه ما يرجع الى تربيـــة الفضـــائل النفسية ، ومنها ماالغرض منه تثبيت العدالة الخاصة والعدالة العامة فى الاقوالوالاعمال ، ومنها ما هو سنن واردة فى الاجتماع الذى هو شرط فى حياة الانسان وحفظ فضائله العملية والعلمية •

وهكذا نلمح هذه النظرات الفقهية النبيلة ، والاجتماعية والفلسفية ، فى كثير من آرائــه التى عرف بها فى الفقه ، وذلك فى مواضـــع كثيرة من هذا الكتاب •

٢ ــ نماذج من الكتاب :

هنا نجد مجال القول ذا ســـعة ، ولــكن المكان ضيق ، ولهذا نكتفى بالقليل من النماذج التى تفصح عن منهج الكتاب والروح السارية فيه ، كما تبين الغاية التى قصدها المؤلف من كتابته •

ا ــ من المعروف أن الزكاة واجبة شرعا فيما تخرجه الأرض من زروع ، ولكن هل تجب هذه الزكاة فى الأرض المستأجرة على المالك أو على

المستأجر ؟ هنا يختلف الفقهاء ، وهنا يقول الفقيه ابن رشد وهو يتكلم فى باب الزكاة :

ان قوما قالوا : الزكاة على صاحب الزرع، وبه قال مالك والشافعى والثورى وابن المبارك وأبو ثور وجماعة ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : الزكاة على رب الأرض وليس على المستأجر منها شيء . والسبب فى اختلافهم هل العشر حق الأرض أو حق الزرع ، أو حق مجموعهما ؟ الا أنه لم يقل أحد أنه حق مجموعهما وهو فى الحقيقة حق مجموعهما .

فلما كان عندهم أنه حق لأحد الأمرين ، اختلفوا فى أيهما هو أولى .. فذهب الجمهور الى أنه الشيء الذى تجب فيه الزكاة وهو الحب (الذى نتج من الأرض وحينئذ تكون الزكاة على المستأجر) ، وذهب أبو حنيفة الى أنه الشيء الذى هو أصل الوجوب وهو الأرض (وحينئذ تكون الزكاة على المالك)

ب ـ الوفاء بالنذر واجب على تفصيل فى فى كتب الفقه ، ولكن ماحكم من نذر على نفسه تحريم شيء مباح له ؟ هنا يقول ابن رشد :

واختلفوا فيمن حرم على نفسه شيئا من المباحثات، فقال مالك : لا يلزم (أى الوفاء به) وقال أهل الظاهر ليس فى ذلك شيء ، وقال أبو حنيفة : فى ذلك كفارة يمين . وسبب اختلافهم معارضة مفهوم النظر لظاهر قوله تعالى : ((**يأيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك**)) .

وذلك أن النذر ليس هو اعتقاد خلاف الحكم الشرعى ، أعنى تحريم محلل أو تحليل محرم ، وذلك أن التصرف فى هذا انما هو للشارع ، فوجب أن يكون لمكان هذا المفهوم أن من حرم على نفسه شيئا أباحه الله له بالشرع أنه لا يلزمه ، كما لا يلزم ان نذر تحليل شيءحرمه الشرع الى آخر ما قال

جـ ـ الصانع كالمودع ، يده يد أمانة ، فلا يضمن ما هلك عنده للناس الا اذا ثبت تعديه ، ولكن ورد أن سيدنا على بن أبى طالب حكم بضمان الصناع وقال : لايصلح الناس الاذاك وعلى هذا اختلف الفقهاء ، وفى ذلك يقول ابن رشد :

وأما الذين اختلفوا فى ضمانهم من غير تعد الا من جهة المصلحة فهم الصناع .. فقال مالك وابن أبى ليلى وابو يوسف : يضمنون ما هلك عندهم ، وقال أبو حنيفة : لا يضمن من عمل بغير أجر ولا (الأجير) الخاص ويضمن (الأجير) المشترك ، وللشافعى قولان فى الأجير المشترك ..

وتحصيل مذهب مالك على هذا ، أن الصانع المشترك يضمن ، سواء عمل بأجر أو بغير أجر وبتضمين الصناع قال على وعمر ، وان كان قد اختلف عن على فى ذلك ، وعمدة من لم ير الضمان عليهم أنه شبه الصانع بالمودع عنده والشريك والوكيل وأجير الغنم ، ومن ضمنه فلا دليل له الا النظر الى المصلحة وسد الذريعة، أى باب الوسيلة الى التعدى أو التقصير أو الخيانة فيما جعل أمانة لديه .

وبعد : هذه نماذج ترينا كيف كان المؤلف دقيقا فى ايجاز، وكيف كان صنيعه فى هذا الكتاب عملا عظيما من أعمال الفقه المقارن وكيف يعتبر الكتاب نفسه بداية طيبة لمن يريد الأخذ بأسباب الاجتهاد ، مع كفايته لمن لا يقدرون على الاجتهاد .

وكل هذا بعض ما قصده الامام ابن رشد من كتابه العظيم ، فقد افتتحه بعد حمد الله والصلاة على رسوله بقوله : فان غرضى فى هذا الكتاب أن أثبت فيه لنفسى على جهة التذكرة من مسائل الأحكام المتفق عليها والمختلف فيها بأدلتها ، والتنبيه على نكت الخلاف فيها مايجرى مجرى الأصول والقواعد ، لما عسى أن ترد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها فى الشرع ..

وهى المسائل التى وقع الاتفاق عليها ، أو اشتهر الخلاف فيها ، بين الفقهاء الاسلاميين من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ الى أن فشا التقليد ، الى آخر ما قال ـ رحمه الله تعالى ـ

وكل مانرجوه من هذه الكلمة أن يقبل طلاب الفقه ورجاله على دراسة هذا الكتاب دراسة علمية جدية ، وأن يفيدوا منه ومن المجهود الذى بذله المؤلف فيه ، هذا الفيلسوف والفقيه العظيم الذى ذهب الى لقاء ربه سنة ٥٩٥ هـ بعد أن أدى رسالته فى الفقه والطب والعلوم الفسلفية . . رضى الله عنه وأرضاه .

التربية الإسلامية

لفضيلة الشيخ السيد سابق
مدير الثقافة الدينية بوزارة الأوقاف

ما من سبب من الأسباب التي تبعث على علو الهمة والإيثار والقناعة ومجانبة الريب واحتمال الأذى من أجل الحق والصبر على تبعاته إلا وله في تعاليم الإسلام مجال رحب وميدان فسيح .

الوسيلة

ان أمثل الوسائل فى تقويم الأخلاق ، وتهذيب السلوك هو الأخذ بالتربية الدينية ، لأن الدين بما له من تأثير على النفوس ، وسلطان على القلوب ، هو الذى يوقظ حواس الخير ، ويوجه الى المكارم ، ويبعث على الفضائل ، ويحيى الضمير ..

والضمير ــ كما يقول علماء الأخلاق ــ هو الشعور النفسى الذى يقف من المرء موقف الرقيب ، يحث على أداء الواجب ، وينهى عن التقصير ، ويحاسب بعد أداء العمل ، مستريحاً للاحسان ، مستنكرا للاساءة ، وهذه اليقظة الروحية هى حقيقة الايمان وجوهره .

علامات الإيمان

وقد سئل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن علامة الايمان فقال :

((اذا ساءتك سيئتك ، وسرتك حسنتك فأنت مؤمن)) .

وهى مظهر رضا الله وارادته الخير بالانسان يقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

((اذا أراد الله بالعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه)) ..

والطبيعة الخيرة من شأنها أن تتجه هذا الاتجاه الخير ، وتسعى اليه ، وتحرص عليه ، ويسوءها أن تنحرف عنه ..

يقول الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ :

((البر ما اطمأن اليه القلب . واطمأنت اليه النفس . والاثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وكرهت أن يطلع عليه الناس)) ..

المنهج

والتربية الدينية تكتسب بالتعليم والمران منذ الحداثة ، وبممارسة الفضائل النفسية ،

وأداء الواجبات الدينية سواء كانت شخصية أم اجتماعيـة ، ومن ثم يقول الرسـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الزموا أولادكم .. وأحسنوا أدبهم »

ويقول عليه الصلاة والسلام :

« انما العلم بالتعلم . والحلم بالتحلم »

أى انما يكتسب العلم والحلم بالدربة وأخذ الأسباب اليهما ، والعبادة من أعظم الوسائل لاحياء الضمير لأنهاتجدد الايمانبالله ،وتعصم من الانزلاق الخلقى ، وتحفظ من اتباع الشهوات ، وتباعد بين الانسان ونفسه الأمارة بالسوء ، وتبعث فيه الرغبة فى التسامى ، والشوق الى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ... هذا من جانب ..

والاسلام ــ من جانبآخر ــ يمدحالفضائل، ويعد عليها بحسن الجزاء ..كما يذم الرذائل ويتهـدد مقترفيها بشر العـواقب .. ثم الاسـلام بعد ذلك يتخذ جميـع الذرائع لفرس العدل والانصاف وايحاء فضيـلة الايثار ، وانكار الذات ، ويحبب الى النفس المعـاونة والمؤازرة والمحبـة والرحمة والكرم والاحسان ، ويروضها على الصدق والاخلاص والأمانة والوفـاء ، وما من سبب من الأسباب التى تبعث على علو الهمة، والاباء والقناعة ، ومجانبة الريب ، واحتمال الأذى من أجـل الحق ، والصبر على تبعاته الا وله في تعـاليم الاسلام مجال رحب ، وميدان فسيح .

إيقـاظ وإصـلاح

والنفوس الانسـانية ليست كلها مستعدة لأن تنهض بأعباء الفضائل ، وتسير وفـق قانون الأخلاق ..

فمن القلوب جداول وجلامد
ومن النفوس حرائر واماء

والاسلام يضع العلاج الناجع،والخطةالمثلى، ليرعوى الجاهل عن جهله ، ويرجع الشارد عن شروده ، فهو يوجب على كل مسـلم أن يطارد الرذيلة ، ويقوم الاعوجاج ، ويغير المنكر، وينصب من نفسه رقيبا على كل شذوذيتنافى مع العرف الصالح ، والأدب الرفيع .

يقول الرسول ــ صلى اللم عليه وسلم ــ :

« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبـه وذلك أضعف الايمان . »

رقـابة المؤمنين

وهذه الرقابة تكون رأيا عاما تكون لـه الهيمنة على المثل العليا ، والقيم الفاضلة ؛ والرأى العام سياج منيع ، وقوة لها وزنها فى الحفاظ على العادات الحسنة ، والتقاليـد الصالحة .

يقول الله سبحانه :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـاء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنـكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعونالله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله . »

حكمة العقوبة

وفى الوقت الذى يفرض فيه الاسلامالرقابة العامة على السلوك لا يغفل جانب القوة المادية، واستعمال العنف ، والأخذ بالحسم ، والضرب على أيدى العابثين بالقانون ، والخارجين على النظام ، فان من الناس من لا ينفع فيـهم الا الشدة والقسوة » .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم

ومن ثم فهو يقرر لكل جريمة عقـوبة ليستوفى المجرم جزاءه من ناحية .. ويرتدع أمثاله من ناحية أخرى ، يقول الله تعالى :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفـا وأصلح فاجره على الله » ..

ففي جريمة القتل يوجب القصاص :

((ولكم في القصاص حياة))

وفي الاعتداء على العرض بالزنا أو القذف يوجب الجلد :

((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين))

((والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ، فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم))

وفي جريمة السرقة يقول سبحانه :

((السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم .))

وفي الحرابة أو السرقة الكبرى يقول جل وعلا :

((انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)) ..

وفي غير هذه الجرائم يضع الاسلام الأصل العام الذي يرجع اليه الحاكم في تقدير العقوبة وهذا الأصل هو المنصوص عليه في قوله تعالى : **((وجزاء سيئة سيئة مثلها))**

وهذه العقوبة هي التي يعبر عنها في الفقه الاسلامي : بالتعزير ..

وفي الوقت الذي يقرر فيه الاسلام العقوبة لا يفرضها فرضا . ولا يجعلها حتمية ، بل يفتح باب العفو عنها في غير الحدود ، فقد يكون العفو أصلح لنفس الجاني من العقوبة ، **((فمن عفا وأصلح فأجره على الله))**

وفي الحديث :

((لأن يخطئ الحاكم في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة))

وكثيرا ما يلفت الاسلام أنظار الناس الى الواقع التاريخي للأمم السابقة ليذكرهم بسنن الله في الاجتماع البشري ، فالانسان يستمتع بالحياة الطيبة ما أقام السنة الصالحة ، فاذا جحد بها ، وتنكر لها ، دمر الله عليه وعذبه عذابا نكرا ، وفي هذا التذكير بالعبرة النافعة ، والعظة البالغة يقول الله سبحانه وتعالى :

((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب))

ويقول :

((وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك)) ..

الغاية

والغاية من التربية الدينية ، أن تتهذب نفس الانسان ، وتتكامل ليستطيع القيام بواجبه نحو الله ، ونحو أسرته ، ونحو اخوانه في الانسانية .. وأن يقول الصدق ويحكم بالحق ، وينشر الخير بين الناس ...

وهذه هي درجة الصالحين التي يريدها الله للذين يتمسكون بالدين ، ويحرصون عليه:

((رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدي . وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .))

مظاهر التدين

وللتربية الدينية مظاهر تبدو في سلوك الفرد ، وتصرفاته ، منها : انتقاء اللفظ النظيف والعبارة المهذبة حين الكلام ، يقول الله تعالى :

((وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن . ان

الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا))

ومنها اتباع أهدى السبل وأقوم المناهج وأولاها بالحق فى العمل . يقول اللهسبحانه :
((فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب .

والمتدين يصون قلبه من أن تعبث بهالأهواء ويتطلع دائما الى ما هو أرضى ، وأنقى ، وأتقى .

ومن مظاهر هذه التربية علو الهمة ، وكبر النفس بحيث تترك الدون من شئون الحياة. وتقتحم الصعاب فى اكتساب الفضائل ، والأخلاق العالية ..

والى هذا يشير الرسول — صلى اللهعليه وسلم — فيقول :

((ان الله يحب معالى الأمور وأشرافها . ويكره سفسافها)) .

وهذا المعنى أخذه أحد الشعراء فقال :

اذا غامرت فى شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر عظيم

ومن مظاهرها قوة الارادة ، والشجاعة الأدبية ، بمعنى أنيتمرس المرء بالصبروالثبات والجلد ، ويطارد الجزع واليأس . ويقول الحق دون أن يخشى فى الله لوم اللائمين ، والى هذا تشير الآية الكريمة :

((يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون))

وقد كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يبايعأصحابه علىأنيقولوا الحق، ولوكان مرا، والا يخافوا فى الله لومة لائم ، والانسان الذى يتمرس بالتربية الدينية الصحيحة لا يعطل عقله ولا مواهبه الفكرية ، فلا يصدق الوهم ولا يأخذ بالحدس والظن ، لأن الظن لا يوصل الى الصواب ، ولا يغنى من الحق شيئا ، وانما يحكم العقل فيما يعرض عليه من مسائل العلم والكون والطبيعة والحياة ليصل الى العلم ، وليبلغ اليقين .

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

((ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا))

أى لا تقل علمت والحال أنك لم تعلم ، ولا سمعت والحال أنك لم تسمع .. ولا رأيت والحال أنك لم تر .. لأن الله — سبحانه — سيسألك من أين جاءك العلم بما رأيت وسمعت وعلمت .

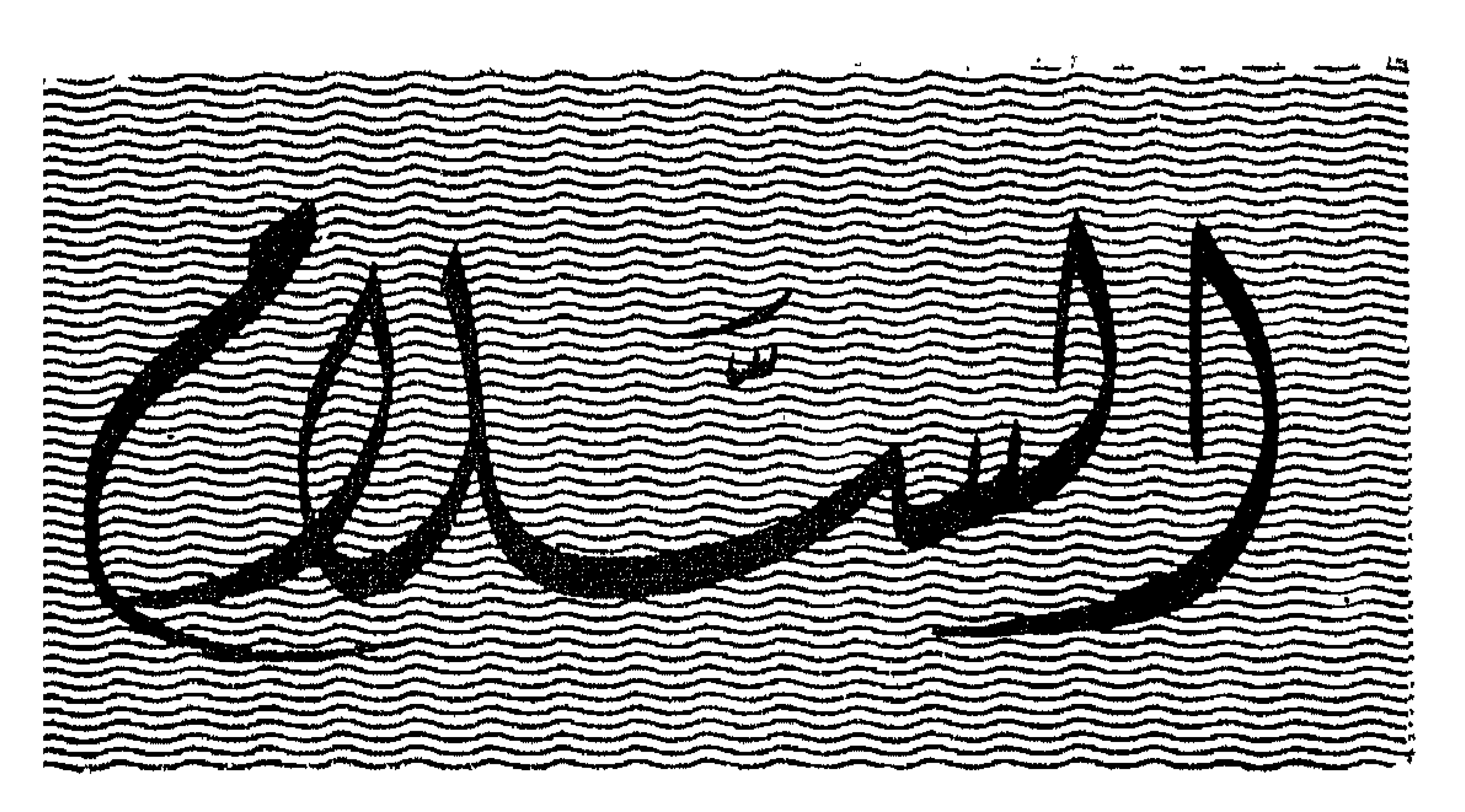
وقد تصل التربية الدينية بالانسان الى حد الاستهانة بالحياة والتضحية بالنفس ، وبكل شىء من أجل انتصار العقيدة ، واحقاق الحق .

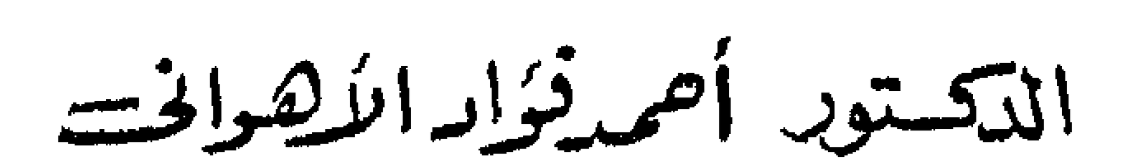
فعن أنس بن النضر — أنه لم يشهد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غزوة بدر ، فشق ذلك عليه ، وقال : ((**أول مشهد شهده رسول الله — صلى الله عليه وسلم — غبت عنه .. لئن أرانى الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ليرين الله تعالى ما أصنع**)) .

فشهد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم أحد . فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس : يا أبا عمرو ، أين واها لريح الجنة . انى أجده دون أحد .. ثم قاتلهم حتى قتل رضى الله عنه . فوجد فى جسده بضع وثمانون بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم .. قالت أخته الربيع : فما عرفت أخى الا ببنانه . وفيه وفى أصحابه نزلت هذه الآية :

((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا)) .

القيم الإسلامية





السلام شعار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهور هذا الدين الكريم حتى اليوم ، وهو شعار يلقيه المسلم على صاحبه كلما لقيه وكلما انصرف عنه ، فيقول له : « السلام عليكم » . ويلقيه المسلم كل يوم خمس مرات حين يصلى ويقرأ التحيات ويختتم صلاته بقوله : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» مرتين: مرة ذات اليمين ، وأخرى ذات الشمال . وهو كذلك يبدأ التحيات بقوله « التحيات لله ... السلام عليك أيها النبى ... ألخ » .

لا بد - اذن - أن يكون هذا الشعار الذى يردده المسلم كل يوم ، وكل ساعة ، من أعظم القيم الدينية .

ولكن هذه القيمة ترتفع وتنخفض حتى تنمحى بمقدار مايعيها حاملها ، وقائلها ، وما يفهمه منها ، وبمقدار ما ينعدم الوعى بها ، وما يترتب على ذلك من عدم فهمها . وأخشى ما نخشاه أن هذا التكرار يجعل من قولة السلام عبارة آلية وتمتمة بالشفاه ، مثلها فى ذلك مثل كل شىء يعتاده المرء ويألفه بعد التكرار .

وهذا لا ينفى أن بعض المسلمين ينفضون عن أنفسهم غبار التقليد ، ويخلعون بين حين وآخر رداء الآلية العادية ، لينعموا النظر فيما ينطقون به من عبارات دينية ، وعندئذ يفهمونها ثم يشعرون بها بعد فهمها ، فتتضح بذلك قيمتها ، وترتفع بعد انخفاض .

ونحن نطالب جميع المسلمين أن ينفضوا عن أنفسهم غبار التقليد ، وأن يخرجوا عن نطاق التقاليد ، وأن يتأملوا سلوكهم الدينى من قراءة للقرآن للتدبر ، ومن صلاة فيها ذكر لله ، وأن يتأملوا بوجه خاص هذه التحية التى تجرى على ألسنتهم صباح مساء ، وهى « السلام عليكم » .

السلام من أسماء الله

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى ، كما جاء فى سورة الحشر : « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ... » فما معنى أنه سبحانه السلام ؟

قال الغزالى فى كتابه : « المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » ما نصه : « السلام ، هو الذى تسلم ذاته عن العيب ، وصفاته عن النقص ، وأفعاله عن الشر ، حتى اذا كان كذلك لم يكن فى الوجود سلامة الا وكانت معزوة اليه ، صادرة منه . وقد فهمت أن أفعاله تعالى سالمة عن الشر ، أعنى الشر المطلق المراد لذاته لا لخير حاصل فى ضمنه أعظم منه . وليس فى الوجود شىء بهذه الصفة كما سبق الايماء اليه » . فالسلام ، باعتباره اسما من أسماء الله ، له قيمة مطلقة ، حتى

اذا نزلنا الى مرتبة البشر كان السلام اضافيا لا مطلقا ، وكانت قيمته الانسانية أقل بطبيعة الحال من قيمته الالهية . والعلة فى ذلك أن الانسان تدفعه شهواته التى ركبت فيه ، ويدفعه بدنه المادى ومصيره الى الفناء والفساد ، يدفعه كل ذلك وغيره الى النقص والى الشر ، فلا يمكن أن يكون سالما من كل شائبة ، ولا بريئا من كل نقص ، أو خالصا من كل شر . **ولذلك أضاف الغزالى بعد شرح اسم السلام الذى هو أحد أسماء الله الحسنى هذا التنبيه، قال: «كل عبد سلم عن الغش والحقد والحسد وارادة الشر قلبه ، وسلم عن الآثام والمحظورات جوارحه ، وسلم عن الانتكاس والانعكاس صفاته ، فهو الذى يأتى الله بقلب سليم . وهو السلام من العباد ، القريب فى وصفه من السلام المطلق الحق الذى لا مثنوية فى صفته . وأعنى بالانتكاس فى صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه ، وهو أن تكون الشهوة والغضب أسير العقل وطوعه . فاذا انعكس فقد انتكس .. »**

فاذا وعينا ذلك ، عرفنا أننا مطالبون بأن نكون فى صفاتنا قريبين من صفات الله وترتفع قيمتنا كلما تدرجنا فى سلم هذه الصفات بحيث نكون أقرب شيء الى الله تعالى . وكلما ابتعدنا عن تلك الصفات هبطت قيمتنا . نحن ــ اذن ــ عندما نلقى بالتحية على الناس ، انما نلقى عليهم اسما من أسماء الله ، يحفظهم ، وكأننا ندعو لهم أن يكونوا فى صفاتهم قريبين من صفة السلام ، وهى السلامة عن العيب والنقص والشر .

السلام والاسلام

ومن هنا تنعقد الصلة بين السلام والاسلام .

لقد قيل فى تعريف الاسلام الشيء الكثير . قيل انه من الانقياد ، ومن الاستسلام ، أى الانقياد الى أوامر الله ونواهيه ، والاستسلام له تعالى . ولكن هذا المعنى تطرف به كثير من المسلمين حتى خرجوا به عن معناه الأصيل ، وقيمته الحقيقية ، وظنوا أن الاستسلام هو هذا السلوك السلبى الذى يهدر معنى الانسانية ، وأصبح الاسلام مجرد خضوع وخنوع .

وقيل ان الاسلام من السلامة ، والخلوص من الشوائب والنقص . وهذه القيمة قريبة ان لم تكن مطابقة للمعنى الذى ذهب اليه الغزالى فى تعريفه لهذا الاسم من أسماء الله.

وقيل ان الاسلام من السلام الذى هو ضد العدوان ، سلام ــ أولا ــ بين العبد وبين نفسه، ثم سلام ــ ثانيا ــ بينه وبين الله تعالى ، ثم سلام ــ ثالثا ــ بينه وبين غيره من الناس .

وهذا المعنى الأخير يلائم المفاهيم الجارية فى العصر الحاضر . فالعالم يعيش فى خوف وهم وقلق خشية الوقوع فى حرب مدمرة تأتى على الحرث والنسل . وهناك أمم تدعو الى الحرب ، وتعد لها العدة ، وأخرى تنادى بالسلم ، وعلى رأسها جمهوريتنا العربية ومن يتفق معها من الدول غير الانحيازية .

والاسلام دين يدعو الى السلام، ويضع هذه القيمة على رأس القيم التى فيها صلاح العالم وخيره والأخذ بيده . واذا كانت قد نشبت حروب فى الاسلام منذ ظهوره ، فانما كانت لدافعين ، الأول : رد العدوان والدفاع عن النفس ، والثانى : محاربة المشركين اقرارا لدين الله والايمان بالواحد القهار .

ولم تكد هذه القيمة الجديدة تلقى فى الميدان الدولى ، ونعنى بها السلام ، حتى لقيت آذانا صاغية ، فقبلتها أولا جميع الشعوب فى سائر الدول ، وقبلتها دول كثيرة لا مصلحة لها فى الحرب . وهكذا نرى أن دعوة السلام ، ومن ورائها الاسلام ، تغزو

العالم كله من جـديد ، وستنتصر باذن الله لأنها الحق .

فمن جاءك مسلما ، مسلما ، فهو آمن ، ولا باس عليه ، وينبغى أن تنعـاون واياه ، وأن توليه ثقتك ، وبهذا التعاون يتم التآلف ويقوم العمران ، ويذهب الاضطراب من النفـوس ، ويرتفع القلق من القلوب .

قال تعالى فى سورة الأنعام : ((واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم)) .

بل أكثر من ذلك ، ينبغى أن تجتهـد فى الصفح والمغفرة لمن اعتدى عليك بغير الحق ، اذا كان من الممكن التجاوز عن هذا العدوان ، وبخاصة اذا صدر عن جهـل . ومن آفاتنـا الشائعة ما يصدر عن بعض الناس من شتائم فى ساعة الغضب أو عن سوء تربية ، وعنـدئذ تنشب المعارك الكلامية أولا والتى تنتهى آخر الأمر بالنزاع والاشتباك والضرب وقد تصـل الى حـد سفك الدماء ثم الأخذ بالثـأر . **فانظر الى هذه السلسلة العجيبة التى تبـدأ بلفظة جارحة نابية ، وتنتهى بالقتل . وقـد حلت فى القـرآن الكريم بشىء بسـيط هو السلام . قال تعـالى فى سورة الفرقان : ((واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)) . ولكن هذا العلاج القرآنى لا ينفـع الا عند من يؤمن بقيمة السلام .**

السلام فى الآخرة

ولما كانت قيمـة السلام عظيمة على النحو الذى رأينا ، فقد جعلها الله جزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وثوابا لهم فى الآخرة ، وفى ذلك آيات كثيرة ، تصور الجنة أولا أنها دار سلام ، وتصور أصحاب الجنة أنهم فى سـلام جزاء على ما فعلوا فى هذه الحياة الدنيا .

فالجنة دار السلام ، وهذه أعظم صـفة توصف بها .

قال تعالى : ((والله يدعو الى دار السلام))

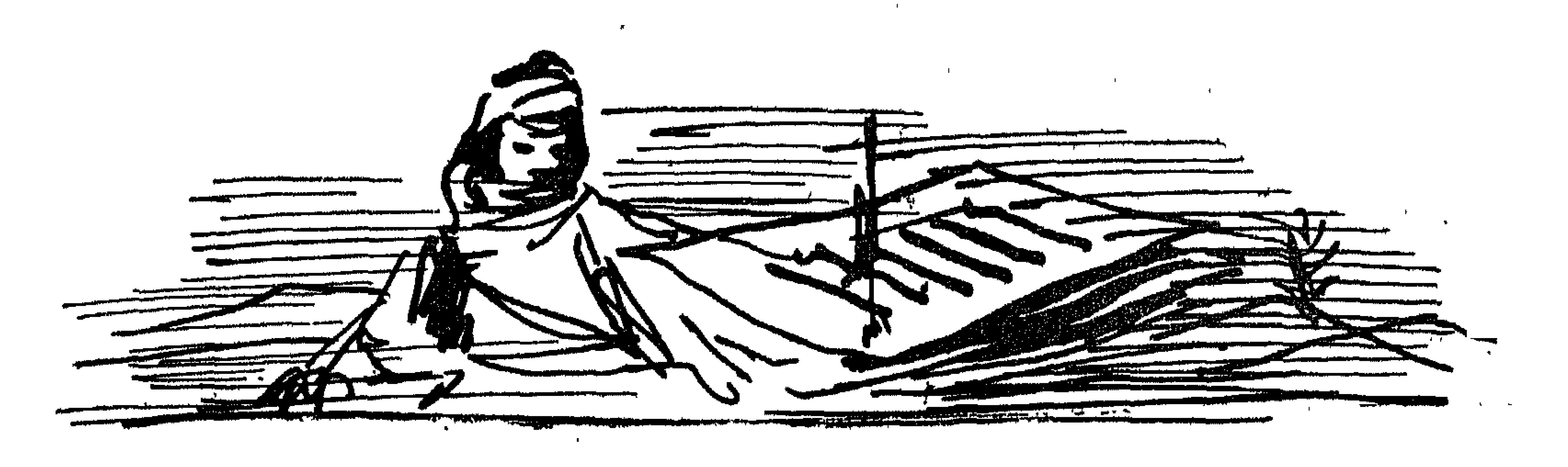
وقال أيضا : ((لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون)) . وكذلك فان السلام ثمرة الصابرين مصداقا لقوله تعالى : ((سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)) .

والسلام عاقبة المهتدين ، كما جاء فى محكم التنزيل فى سورة طه : ((والسلام على من اتبع الهدى)) . وهو كذلك عاقبة الذين يصطفيهم الله . مصداقا لقوله : ((وسلام على عبـاده الذين اصطفى)) . ثم هو جزاء الأنبيـاء والمرسلين فى قوله تعالى : ((سلام على نوح فى العالمين)) و ((سلام على ابراهيم)) و ((سلام على موسى وهارون)) و ((سلام على المرسلين))

واذا كانت تحيتنا فى هذه الحياة وعلى هذه الأرض ((السلام عليكم)) وهى شعارنا الذى نهتدى به ، فهى شـعار أصحاب الجنة فى الآخرة ، لأنها أعظم قيمة ينالها المرء فى دنيـاه وآخرته .

((دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام)) .

فليتدبر المسلمون هذه القيمة ، وليتفكروا فيها ، حتى يعوا منزلتها ويعرفوا أسرارها ، ليهتدوا بها فى حياتهم وسلوكهم .





الدكتور عثمان أمين

رئيس قسم الفلسفة
بجامعة القاهرة

٢ - وعى الحرية والشعور بالمسئولية

المسلمة الثانية

فى حديث سابق ، بينت أن الكرامة الانسانية هى المسلمة الأولى من مسلمات الأخلاق العربية • وأود الآن أن أبين أن المسلمة الثانية لذلك المثل الأعلى هى وعى الحرية والشعور بالمسئولية .

ذلك أن المكانة السامية التى جعلها القرآن للانسان من بين سائر الحيوان قد استتبعت أن يكون ذلك الانسان الممتاز قادرا على الاختيار . مسئولا عما يقوم به من أعمال .

واقرار الحرية واقامة المسئولية ، أمران خطيران منصوص عليهما فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف نصا واضحا صريحا لا يحتاج الى بيان أو تأويل : **قال تعالى فى سورة الرعد : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » وقال فى سورة البقرة : « لها ماكسبت وعليهامااكتسبت » • وقال فى سورة الاسراء : « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها • ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقال فى سورة البقرة : « وأن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »** • وظاهر أن هذه الآيات كلها تقرر أن الانسان ، من حيث هو انسان ، حر مسئول ، لا مجبر مقهور .

من رأى منكم منكرا

أما أحاديث النبى العربى وتوجيهاته ، لبيان هذا المعنى واقراره فى الأذهان ، فكثيرة مشهورة لا حصر لها ، وأكتفى بذكر مثل أو مثلين منها . **قال عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده • فان لم يستطع فبلسانه • فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »** .

وواضح أن أضعف الايمان ، فى نظر الرسول ، هو استنكار المنكر بالقلب فقط ــ أى فى السر دون الجهر ــ وواضح كذلك أن

الاستنكار القلبى ضعيف ان ظل مطويا ، لان فيه قعودا عن العمل ، وفرارا من المسئولية .

للمخطىء أجر

وموقف الرسول العربى من حرية الانسان ومسئوليته ، يعيننا على النفاذ الى المعنى المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام فى مقام آخر : « **للمخطىء أجر وللمصيب أجران** » . **وهذا الحديث الشريف قد روى برواية أخرى فى صحيح البخارى ، قال عليه الصلاة والسلام : « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر ، واذا اجتهد فأصاب فله أجران » .**

واذا تأملنا هذا الحديث تأملا جوانيا وجدناه متضمنا لمعان أخلاقية عديدة :

متضمنات الحديث

١ ــ فى الحديث دعوة الى « الاجتهاد » فى النظر والاستقلال فى الرأى . وبعبارة أخرى فيه تعبير عن معنى أراده النبى العربى للمسلمين ، وهو الاعتزاز بشخصياتهم والاستمساك بحرياتهم . وحرية الارادة نعمة من نعم الله . ويكون شكر هذه النعمة بالتصميم على العمل والتنفيذ ، والسعى الى تحقيق ما يرسمه الوعى المستنير .

٢ ــ وفى الحديث كذلك دعوة الى مجاوزة مجال الاعتقاد والسير الى حيز الفعل ، وفقا لمطالب الايمان الصحيح من « **الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** » : فذلك الايمان شىء أعمق من مجرد الاقرار باللسان . والرسول لا يحب من الكلام الا ما تحته عمل . وبهذا المعنى يقول عليه الصلاة والسلام : « **والذى نفسى بيده ، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا » .. وواضح من هذا الحديث أن المحبة . وهى فى صميمها عمل ايجابى** هى أوثق عرى الايمان . وصحة الايمان مشروطة بفعل من أفعال المحبة

٣ ــ وفى الحديث أيضا دعوة الى التفاؤل والاستبشار والاقدام . والاسلام دين الصراحة والشجاعة والقوة ، ولذلك كان النبى العربى يتعوذ من النفاق والجبن والضعف ، ويقول : « **ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وأريد به وجهه** » . ويقول أيضا : « **المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف** » وكان خالد بن الوليد يقول : « **حضرت كذا وكذا زحفا فى الجاهلية والاسلام ومافى جسدى موضع الا وفيه طعنة برمح أو ضربة بسيف . وهأنا أموت على فراشى .. فلا نامت أعين الجبناء** » .

٤ ــ وفى الحديث كذلك دعوة الى الثقة بالنفس والى الثقة بالله . ومعلوم أن الثقة بالنفس والثقة بالله لا تكونان مع التردد والتخاذل والتراخى عن نصرة الحق ، وانما تكونان فى السعى مع الرضى والاطمئنان ، والاعتقاد بأننا مسئولون عن الحق والخير مسئولية شخصية ، لا مسئولية جماعية فقط . وقد رأينا أن أضعف الايمان هو استنكار الانسان للمنكر بقلبه ، دون سعى الى تغييره بالقول والفعل .

أجر الثقة والاطمئنان

ويتبين مما تقدم أن الانسان اذا اجتهد فأصاب كان له أجران : أجر الاجتهاد ، أى استعمال ملكة الحرية عنده ، وأجر الاصابة ، أى أجر الخير الذى يعود على الناس من اشاعة الثقة والاطمئنان . أما اذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ، هو أجر الاجتهاد . ويمكن ان يقال ان المجتهد الذى يخطىء مأجور على قوته وشجاعته واقدامه ، مأجور على ثقته بنفسه وثقته بالله . وبعبارة أخرى هو مأجور على خطأه ذاته ، لأن هذا الخطأ يفيد أنه آمن فسعى وعمل وصبر ، وأنه لم يكن من المتشككين أو المترددين أو المتواكلين أو المتشائمين .

والايمان ــ كما قال الامام على ــ الايمان الصحيح يقوم على أربعة أمور : على اليقين ، والصبر ، والعدل ، والجهاد . وظاهر أن الأمر الأول نظرى والأمور الثلاثة الأخرى كلها سلوك وعمل ، وكلها تقتضى وعيا للحرية وشعورا بالمسئولية .

السعى ركيزة للأخلاق

وما من شك فى أن مداومة السعى ، وبذل الجهد ، والاقبال على الحياة ، كلها ركائـــز للحياة الأخلاقية فى نظر الاسلام . والقــرآن والحديث حافلان بالحث على العمل والجــد والتشمير ، ونبذ الدعة والاستســـــــلام والاسترخاء • ومن هــذه الجهة نرى الكتاب المجيد يجعل الناس مراتب ودرجات ، ويصرح بتفضيل « المجاهدين » أى العاملين ، عـــلى « القاعدين » **أى المستكينين ، فيقول : ((فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة)) ، ويقول : ((ولكل درجات ممـــــا عملوا)) .**

وأحاديث النبى كثيرة فى الحث عــلى توخى العمل النافع وتحصيل **الرزق الحلال • يقول عليه الصلاة والسلام : ((ما أكل أحــد طعامــا خيرا من كسب يده)) ، ويقــول أيضـــا : « احرص على ماينفعك ، واســتعن بالله ، ولا تعجزن » • ويقول : ((لأن يغدو أحــدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق ويســــتغنى ، خير من أن يسأل)) . وقد امتــــدح بعض الصحابة رفيقا لهم فى السفر كان لاينقطـــع عن تلاوة الأدعية حين ركوبه ، واقامة الصلاة عند نزولـــه • فســألهم النبى : فمن كان يكفيه علف بعيره واصلاح طعامه ؟)) قالوا : ((كلنا •)) قال : ((فكلكم خير منه)) . وكثيرا ما ذم النبى المهملين للمصالح الدنيــــوية ، والمنفقين لأموالهم فى وجــوه البر ، والتاركين ابناءهم عالة على الناس • فقال مســــتنكرا سلوكهم : ((يأتى أحدكم بجميع ماله فيقــول : ((هذه صدقة • ثم يقعد يتكفف الناس)) .**

السيطرة على النفس

ان المثل الأعلى للاخلاق العربية هو الاهتداء بالعقل المستنير فى توجيه الارادة الحازمة التى تقتضى مجاهدة النفس ، والسيطرة عـــلى اهوائها . **قال تعالى فى الكتاب المبين : ((وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى)) . وقال الرسول العربى: « لايؤمن أحـــدكم حتى يكون هـــواه تبعا لما جئت به »** وتعريف الرســـول الكريم للمجاهد وللمهاجر تعريف جوانى ينفذ الى الجوهر واللباب ، ويدل على أهميـــة العنصر النفسى فى تحقق المعانى الدينية تحققـــــــا سليما • قال عليه الصلاة والسلام : « **المجاهد من جاهد نفسه** » • وقال : « **المهاجر من هجر مانهى اللـــه عنه** » • ولا ريب أن جهــــاد النفس — وهو جهاد جوانى — أصـــعب من جهاد الغير ، ولذلك سماه الرسول « الجهاد الأكبر » . لأنه يقتضى جهدا دائبا وعمـــــلا متواصلا لمغالبة الشـــهوات • **ومن خطبـــة للامام على قوله : ((اعلموا أنه ما من طاعة الله شىء الا يأتى فى كره ، وما من معصية الله شىء الا يأتى فى شهوة . فرحم الله رجلا نزع عـن شهوته وقمع نفسه)) .**

وبالتأمل فى آى الذكر الحكيم وفى أحاديث النبى الكريم يتبين لنا أن قوام الدين الحنيف خلق ومعاملة : صدق العزم ، وبذل الجهــد ، واخلاص العمل ، لما يكون لذلك من اثر فعال فى اصلاح النفس واصلاح الجماعة . قال تعالى : « **وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى)) . وقال أيضا : ((لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون)). وقال عليه الصـــــلاة والسلام : ((أفضل الجهاد كلمة حق عنــــد سلطان جائر)) . وقال أيضا : ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه)) .**

فلا ريب أن وراء كل دعوة اصلاحية — فردية كانت أو جماعيـــة — ايمانا راسـخا بالحرية ووعيا واضحا للمسئولية : وهذا هو الأساس المتين للاخلاق العربية ..



الإسلام ونظرية التطور

الأستاذ البهي الخولي

كتب صحفي معروف كلمة في جريدة الأخبار ـ من مدة ـ عرض فيها لنظرية التطور وأصل الانسان والأجناس المعزوة لداروين ، ثم دعا رجال الدين أن يقولوا كلمتهم في ذلك ليوضحوا للناس آراءهم في هذه النظرية ، لما بينها وبين ظاهر نصوص الدين من مباينة ..

ويقتضينا المقام أن نقرر ـ أولا ـ الأمور الآتية :

أ ـ أن عامة المثقفين أو أشباه المثقفين لايحضر في أذهانهم حين يذكر داروين أو نظريته الا أن « الانسان أصله قرد » .. وذلك خطأ محض لأن نظرية داروين لم تقرر ذلك ، بل قررت لونا من المشابهة بين أجناس منقرضة من البشر وبين القردة العليا أمثال : الغول « الغوريلا » والسعلاة وهي أنثى الغول ... وقررت أيضا فروقا واسعة تباعد بين الانسان الحديث الحالي ، والأجناس البشرية المنقرضة ، وبالتالي تباعد أشد المباعدة بين الانسان والقردة .

ويشعر كثير من الناس باشمئزاز كبير من أن يكونوا منحدرين في الأصل من أصلاب القرود ، اما لمحض الكرامة والتعلق بالأصل الطيب ، واما لمخالفة ذلك للمأثور من نصوص الدين ، واما لكليهما معا .. وقد استغل دعاة الانحلال والالحاد هذا الشعور الطيب في نفوس الكرماء والمتدينين فراحوا يشيعون في الناس أن نظرية داروين تقرر أن الانسان أصله قرد ، ليبرهنوا على أن مقررات الدين لا تثبت أمام الحقائق التي استخرجها العلم من الحفريات الدفينة والتاريخ الجيولوجي للأرض ، ليصلوا بذلك في النهاية الى زعزعة اليقين ، وبذر الشك والبلبلة في نفوس المطمئنين ، خدمة لمآربهم الوضيعة .

ب ـ وعلاوة على أن داروين لم يقل ان الانسان أصله قرد ، فان كثيرا من الأحكام التي قررها في النشوء والارتقاء ، وتنازع البقاء ، وأصل الأنواع ، مؤسس على فروض اجتهادية لجأ اليها ليسد ثغرات في البحث بعد أن عجز عن ايجاد حفريات تسدها ، وكثيرا ما نقرأ فيما بين أيدينا من بيانات ودراسات لنظرية التطور أمثال هذه العبارات : « ويظن كذا » « ويغلب على الظن أن يكون كذا » « ومن الراجح .. » « ومن المحتمل .. » « ومن

حقنا أن نفترض .. » الى آخر ما هنالك من عبارات منبئة عن ثغرات فى البحث وخلخلة سببها ايغال العهود فىالقدم الى مئات الملايين من السنين ، وقلة كفاية ما عثر عليه من الحفريات ..

واذن فتلك الثغرات ، والفروض ، والظنون تبعد نظرية التطور عن أن تكون هى القول الأخير الفاصل فى كل ما عرضت له من أحكام ..

وايماننا بحقائق الدين معناه أنها تحل محل التصديق اليقين الذى لا يتطرق اليه الشك بحال من الأحوال ، **وليس من منطق الايمان ، ولا من منطق العقل والانصاف العلمى أن يطلب الينا أن نتحول عن أحكام يقينية ثابتةفىنفوسنا الى أحكام لم تبلغ مرتبة اليقين بعد .. ولا أن يطلب الى المشتغلين بدراسة العقائد الدينية وأحكامها ونصوصها أنيبدوا آراءهم فىنظرية كان لها خصوم مخالفون فى حياة صاحبها** وما زال أتباعها منشقينعلى أنفسهم الى اليوم، مجدين فى البحث عن الحلقات الحفرية المفقودة أو المفروضة .. **وليس من شأنالدينأنيتعقب بحوثا ما تزال فى دور التمحيص واستكمال الحلقات ليبدى رأيه فيها ..**

حـ ـ ذلك الى أن النصوص الدينية انما نزلت لتهدى الى الله ، وتحرر القلب والعقل من الوثنية والسطحية .. وذلك بتقرير العقائد السليمة .. وبعث العقل على التأمل فى الكائنات لاستخراج ما لها من دلالة على الله وما فيها من مختلف المنافع .. وتوجيه الانسان الى الغايات والأهداف الروحية التى تجعله صاحب رسالة فى الأرض تعلو بهمته عن الهوى ، وشهوات الحس والمنافسة البغيضة على العرض الأدنى .. وترسم له أصول التعاون على البر والتقوى فى مجتمع يسوده الاخاء والحب ..

فالكتب السماوية كتب هداية ربانية ، وارشاد الى ماينير القلوب والطباع .. وليست كتبا لتقرير النظريات العلمية فى مختلف ميادين المعرفة فى الفلك ، والطب والجيولوجيا والتشريح ، وعلم الحيوان ، والنبات ، والكيمياء ، والهندسة ، والموسيقى، والفلسفة والنحت والتاريخ .. الخ .. الخ. فان ذلك يخرج الأديان عنطبيعتها ويصرفهاعن أهدافها .. **علاوة على أن جمعالعلوموالفنون كافة فى كتاب واحد بدقائقهاالظاهرة والخافية وتفاصيلها التى لم تنته الأيام من كشفها الى اليوم .. ان جمع تفاصيل العلوم ودقائقها فى كتاب واحد على ما هى عليه فى علم الله تعالى أمر يجافى الحكمة ، فان الكتب السماويةنزلت أول ما نزلت ، ومدارك البشر تخطو خطواتها الأولى فى سبيل المعرفة والترقى ، فلم يكن من الطبيعى أن يواجه الناس أويخاطبوا بما لاتبلغه عقولهم ...**

وقد توزعت الوان المدارك فى البشر بحسب تنوع ألوان العلم والمعرفة بحيث لا تنشط طبيعة الذهن فى انسان ما الا لما يلائمها ، فتقبل على علم أو على طائفة قليلة منه ، وتصد عن أخرى لاتسيغها .. وما يقبل عليه فرد قد يصد عنه آخر .. ذلك أن طاقة العقل ـ مع هذا التخصص ـ تعجز قطعا عن استيعاب تفاصيل العلم الذى خصصت له .. **فاذا أنزل الله كتابا سماويا على النمط الجامع ، لكان من مقتضى الايمان أن يلزمهم باحصاءالتفاصيل فى كافة العلوم ،** ولم يقبل منهم أن يؤمنوا ببعض الكتاب دون بعض .. وذلك ضرب من التكليف بالمحال تنزهت عنه حكمة **الله سبحانه بقولهتعالى : ((لا يكلف الله نفسا الا وسعها)).**

واذا فرضنا جدلا أن الله أنزل هذا الكتاب السماوى الجامع ، وأن مدارك البشر قد أطاقته ، فماذا تكون قيمتنا ، وماذا يكون طعم الحياة فى نفوسنا ..؟

هل يتغير منظر الحياة ، وطعمها ، وأسلوبها بجديد تكشف عنه الأيام ويخترعه العقل، بعد أن لم يترك للعقل شيء يخترعه أو يستكشفه؟. ألا تلزم الحياة نمطا واحدا نسأمه ونضيق به ؟.. أو ليس فى هذا ـ مع ذلك ـ حكم على العقول بالركود والسلبية المتلقية المتلقنة ، وتجريدها من عبقريات الايجاب المتأملة ،

الباحثة المستنبطة ، التى تبدع كل آن طريفا يتجدد به وجه الحياة ، وتكشف كل يوم عن جديد من آيات الله ودلائل معرفته ؟. وحرمان الانسان مايجده من لذة وفرح بتجدد الحياة.. ولذة وفرح بتجدد معرفة الله فى الضمير ، وترادف آيات الايمان ودلائله على العقل والقلب ؟؟..

لذلك ونحوه اقتضت حكمة الله تعالى أن تكل الى الكتب السماوية ترقية الخصائص المعنوية فى الانسان ، ورفعه من حيز الغايات الحسية الى مستوى الأهداف الروحية الكريمة ... وأن تجنبها ما عدا ذلك ، وتدعه للعقل يبدعه على ما شاء الله من سنن وقوانين

على أن النص الدينى كثيرا ما يساق للتأمل فى أحوال الماضين ، أو للنظر فى أسرار النفس الانسانية ، أو للتفكر فى خلق السموات والأرض ، فترد اشارة **ـ غير مقصودة لذاتها ـ** الى قصة تاريخية ، أو أمر كونى لاستخراج العبرة من قدرة القادر ، وحكمة الحكيم ، وتفرد الخالق بالابداع والهيمنة والتصريف فتنفسح آفاق الانسان الروحية ، وترسخ العقيدة على أساس من حسن النظر ، ودقة الاستدلال .. هذه الاشارات التى لم ترد لتقرير حقيقة علمية ، لا يجوز اطلاقا أن نسميها علما بالمعنى المعروف فى مصطلحاتنا الحديثة .. **وكل ما تصلح له بعد تحقيق أغراضها الروحية ، هو استخراج أمثلة جديدة تضاف الى شواهد صدق القرآن الكريم ، يزيد بها ايمان المؤمنين .. وليست هى من قبيل الاعجاز ، لأن شرط الاعجاز أن يقترن بالتحدى ، ولا تحدى هنا فى تلك الاشارات التى ان وافقها العلم القاطع كان لها شاهدا بأنها تنزيل من حكيم حميد ..**

واذن ، فلا معنى لأن نطالب ببيان موقف الدين من أى نظرية علمية ، ولاسيما نظرية مليئة بالثغرات .. فليس الدين موضوعات علمية كيموية أو غير كيموية ، كما أنه ليس خصما متربصا بالعناد للعلم ، يستثيره المستثيرون كلما جد جديد فى أفق الحقائق الكونية .

ان الله هو الحقيقة الأولى فى هذا الكون.. بل هو الحقيقة الأولى والأخيرة فيه .. وكل من لم يصل الى هذه الحقيقة فعلمه مدخول.. والدين فى لبابه منهاج للوصول الى الله ، وما العلم الصحيح الا أحد عناصر هذا المنهاج ، فاذا عرف العلماء سبيلهم الى الله فأولئك هم العلماء حقا ، المؤمنون حقا . «**انما يخشى الله من عباده العلماء**» .. واذا عجز علم العلماء عن أن يهديهم الى الله أى عن أن يوصلهم الى الحقيقة الأولى فى الحياة ، فهو علم الجهلاء .. وليس من الطبيعى أن يطالب الدين ببيان موقفه من هذا الجهل ، ولا أن يشكك الناس فى ايمانهم **ليعبدوا من دون الله ما ليس لهم به علم ، ومع ذلك فماذا فى نظرية التطور ..**

ان تطور الكائنات ـ الحى منها والجماد ـ معناه فى الجملة أنها دائمة التحول والتنقل من طور الى طور بحيث لا تلزم حالة واحدة..

وذلك أمر مشاهد ، وحقيقة واقعة ، التفت اليها كبار المفكرين والعلماء من قبل **داروين بقرون كثيرة ..** اذ تناولها **أرسطو ، ولوكرينيوس ، وعلماء مدرسة الاسكندرية الفلسفية ، كل بما** تيسر له من أسباب البحث والنظر ..

وتناولها فى العصور الحديثة **جان دى لامارك** (١٧٤٤ ــ ١٨٢٩) ففصلها وفرعها ، ومهد أكنافها .. ثم جاء داروين من بعد هؤلاء جميعا فعدل من نظراتهم ما عدل ، واضاف ما اضاف فى نسق علمى يمتاز بكثرة الأمثلة ودقة الشواهد ..

ومما ينبغى التنويه به فى هذا المقام أن علماء المسلمين تناولوا تلك النظرية ، بأوسع ما سمحت به أمكنة البحث فى عصور سميت بالعصور الوسطى ، **فتكلم عنها اخوان الصفا فى رسائلهم المعروفة، وابن مسكويه، والقزوينى فى عجائب المخلوقات ، وابن طفيل فى قصة حي بنى يقظان .**

ومن العجيب ان اخوان الصفا وابن مسكويه لم يفتهم فى ملاحظة ظواهر التطور والتنوع ، ما لاحظه داروين من المشابه الواضحة بين الانسان والقرود ، وقالوا فى ذلك ما لا نطيل بذكره ، الى أن انتهى لواء البحث الى مبدع علم الاجتماع العلامة **ابن خلدون ، فأتى فى بابه** — على قصور الأسباب والوسائل — بالعجب المدهش ، اذ قرر فى **صراحة كثيرا من قوانين التطور والتنوع ، فسبق لامارك ، وداروين .. ولاسيما نظرية تولد الأجناس بعضها من بعض على سنة التطور ، ومن يرجع الى صفحة ٢٥٤** ومابعدها من طبعة لجنة البيان العربى بتحقيق **الدكتور على عبد الواحد وافى ، يجد علامتنا العبقرى أول من كشف ذلك الناموس قبل داروين وغيره بمئات السنين ، حتى ليعلق الأستاذ سلامة موسى على ذلك بقوله : انه . ((لو كان تبسط فى الكلام على الحيوان والنبات لكانت نظرته لا تخالف نظرتنا الآن)) ..**

وابن خلدون وغيره من علماء الاسلام انما يفكرون داخل الاطار الفسيح الذى ترسمه الثقافة الاسلامية ، بوحى عقائدها ، وتعاليمها ، ونصوصها المرنة الرائعة التى لا تقف بالذهن المتحرر عند حد معين من التطور والرقى .. **واذا كان ابن خلدون قد سبق داروين بتقرير قانون تولد الأجناس بعضها من بعض — على ما سنبينه فيما يأتى — فانه لم يقف بالتطور والترقى عند الحد الذى وقف عنده داروين ..** بل تكلم عن تطور الانسان وارتقائه فى خصائصه النفسية ، وتدرجه فى السمو مع المثل العليا حتى بلغ به أفق الملائكة ، وهو الأفق الذى يلى أفق الانسان فى سلسلة تدرج الكائنات نحو الرقى فى سلم التطور .. **ولولا الاسلام وما قرر من عقائد فى الملائكة والنبوة .. وماأحدثت تلك العقائد فى نفوس أتباعه** — فعلا — من نبل فى الطباع ورقى فى الخصائص والصفات ، وتطور أبعدها من ظلمة الحيوانية وأنانية الغرائز الى الاقتراب من أفق الملائكة فى الايثار والحب والتراحم ، والترفع عن التقاتل من أجل العرض الادنى .. لولا ثقافة الاسلام القائمة على تلك العقائد ، ولولا ما أحدثته تلك الثقافة من تطور خصائص الانسان ، لما التفت ابن خلدون الى ذلك اللون من التطور الذى لا يتعلق بتطور الأعضاء فى الكائنات ، بل يتعلق بتطور أهداف الانسان ، وترقى نظرته الى الغاية من الحياة ، وما ينشأ عن ذلك من خصائص كريمة فى النفس .. واذا كان الغرب قد تنبه أخيرا الى وجوب أن يتطور الانسان الحالى الى «سوبرمان» يكبر عقله وتتغير بعض معالم بدنه ، فان ابن خلدون هو السابق — بفضل الاسلام — الى هذا التطور المعنوى ، مع فارق كبير بين تطور يرتقى فيه وجدان المرء من الحياة فى محيط المادة المحدودة ، الى حياة روحية واقعية تجعل المادة فيها نقطة ارتكاز للانسان يطل منها على غير المحدود : كالصديقين والأنبياء .. أقول مع فارق كبير بين ذلك التطور الذى أراده ابن خلدون ، والتطور الذى لايرتقى فيه سوى حجم الدماغ على ما تخيله هؤلاء — ولا يخرج به وجدان صاحبه عن منطق التفكير الحسى ، الذى تحده فى النهاية أوضاع المادة وأحكامها .

— ٣ —

واذا كان التطور هو السنة التى تنتظم كافة ما نرى ونحس من الكائنات ، وتنتقل بها من حال الى حال : حال حسية أو معنوية ، عضوية أو وصفية ، أو روحية ، فانا نستطيع أن نرى وميض هذه الحقيقة فى مثل قول الله — تعالى — : **((يسأله من فى السموات والأرض ، كل يوم هو فى شأن))** .. فكل يوم يمر ، بل كل لحظة ، يتجدد فيها للكائنات شأن جديد ، يصير بها الى حال جديدة غير التى كانت لها بالأمس .. وليس ضروريا أن نرى ذلك التغير ، أو الانتقال واضحا بملامحه الجديدة التى تميزه عن ملامحه السابقة ، فقد يكون التغير ظاهرا ، وقد يكون باطنا .. وقد يتم بسرعة ، وقد يتم ببطء شديد ، فلا تتضح معالم المباينة فيه الا بعد أجيال ، أو بعد ملايين السنين كما يقول علماء التطور أنفسهم ..

والذى يعنينا أن ظاهرة التطور تشمل كل كائنات السموات والأرض على ما تنصه الآية الكريمة وفق ماأراد لها الله من سنن وقوانين .

وقد التفت المسلمون منذ نزول الآية الكريمة الى مضمونها التطورى ، **فسألوا عنه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ولكن الرسول الحكيم لم يكن ليجيب أهل بيئته البدوية الا بما يقر العقيدة ، ويجنبهم البلبلة بمالم يستعدوا لقبوله، فاكتفى ــ عليه السلام ــ** من بيان ذلك الشأن الذى هو الله كل يوم مع خلقه، بقوله : ((**من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع من يشاء ، ويضع من يشاء**)) .. وهو قول دقيق عظيم المرونة والدلالة كما ترى .. **فلما رسخت العقائد ، واستقرت أركان الدولة بعد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ،** واستبحر العمران والعلم ، فسر بعضهم ذلك الشأن بقوله : ((**من شأنه تعالى أن يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، ويخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويشفى سقيما ، ويسقم سليما ، ويبتلى معافى ، ويعافى مبتلى ، ويعز ذليلا ، ويذل عزيزا ، ويفقر غنيا ، ويغنى فقيرا**)) ..

وهو تفسير ــ ان لم يجمع مضمون الآية الكريمة ــ يدل على تطور الأذهان فى فهم مدلول النص الكريم ، حتى يشمل تبدل الليل والنهار ، والتطور بالجامد الى حى .. وتتسع دائرة الثقافة ، وتتسع معها دائرة العقول فى البحث والتأمل حتى يصل شأن **التطور الى ما انتهى اليه ابن خلدون ..**

***

والتطور ــ على ما يبدو من ظاهر الآية ــ يشمل ثلاث حقائق أساسية ، لم يعرض لها ((لامارك)) ولا ((داروين)) فى بحوثهما ..

الأولى : أن التطور ليس مجرد قانون أو سنة كونية فحسب ، بل هو الى ذلك ضرورة ذاتية بالنسبة للكائنات وحاجة فطرية لها .. وذلك واضح من قوله تعالى : ((**يسأله من فى السموات والأرض .. الآية**)) فان فعل السؤال وارد بصيغة المضارعة التى تفيد الاستمرار والتجدد .. والسؤال المستمر المتجدد انما يكون عن اضطرار دائم ، وحاجة متجددة فى نفس السائل .. فالكائنات فى سؤال دائم لله تعالى ، كلما قضيت لها حاجة ، نشأت لها فى المزيد حاجة أخرى ، لجأت فى طلبها لله سبحانه ، فاذا تحقق لها المزيد الذى انتقل بها من حال الى حال ، أحست ضرورة التحول من تلك الحال الى سواها ، فلجأت الى الله تسأله ضرورة ذلك التحول ، فاذا تحولت الى ما تريد ، جد فى كيانها باعث آخر الى التحول، كأنما يفزعها البقاء على حالة واحدة **فتضرع الى الله أن ينجيها من عطبه بتحويلها الى حال أفضل** .. وهكذا : فالسكون مهلكة لا ينجى منها الا الحركة .. والنقص ــ أيا كان نوعه ــ فساد لا يعالجه الا طلب الكمال .. والجهل ظلمة وموت ، لا يشفيه الا العلم .. والسقم والاختلال علة دواؤها الصحة والاستواء على النمط الأمثل .. والعزلة شقوة وقحط روحى لا يزيله الا الترابط ، والتجاذب ، والحب ، والرحمة .. والخلو والجوع ــ على اختلاف ألوانها ــ مفسدة لا يصلحها الاكفاء ما تطلبه فطرة الكائن من الزاد والامتلاء ..

ومن البديهى أن الكائنات اذ تفزع الى الله فى هذا لا تسأله بلسان المقال ــ فلسان المقال لدى من يملكونه أضعف وسائل البيان حين الفزع اليه ــ سبحانه ــ بل هى تسأله بمحض فطرتها ، وطبيعة حاجتها اليه ، وأن لم تنطق بكلمة واحدة ، وما برح لسان الحال أبين من كل دلالة .. وذلك من قبيل ما خاطبنا به الله سبحانه : ((**وآتاكم من كل ماسألتموه**)) فان هناك أمورا كثيرة ونعما شتى لم نسأله اياها ، ومع ذلك فقد من بها سبحانه ، لأننا سألناه اياها بمحض فطرتنا ولسان حاجتنا اليها فى الحياة .. **وقد نظر الامام البيضاوى الى هذا المعنى فقال : ((انهم مفتقرون اليه فى ذواتهم ، وصفاتهم ، وسائر ما يهمهم ، ويعن لهم ..** والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشىء فى ذواتهم وصفاتهم ، نطقا كان أو غير نطق)) .

فالآية الكريمة ــ على هذا ــ تعلن تطور الكائنات على أنه ضرورة فطرية لها ، الى جانب أنه سنة كونية ، وهو شأو نود لو تطور علماء العلم الطبيعى فى طرائق بحثهم ، ومناهج نظرهم لكى يدركوه ، ويجلوا لنا سر حقيقته .

والحقيقة الثانية هى أن التطور سنة تشمل كل كائنات السماوات والأرض من جماد، ونبات، وحيوان، وانسان، وملك ..

وحين ننظر فى نص الآية الكريمة نراها شاملة لكائنات السماوات والأرض، وكائنات السماوات والأرض فى مفاهيم الدين واللغة تشمل الأنواع التى ذكرناها .. وقد كان العلماء الى عهد قريب لا يدخلون الجماد فى زمرة الكائنات المنظورة، ولكن ما أسفرت عنه الجهود من الكشف عن سنن الله، جعلهم يدركون من دقائق التطور فى الجماد ما يدهش العقل ويشهد بقدرة الخالق سبحانه، فأضافوه الى الأحياء المنظورة .

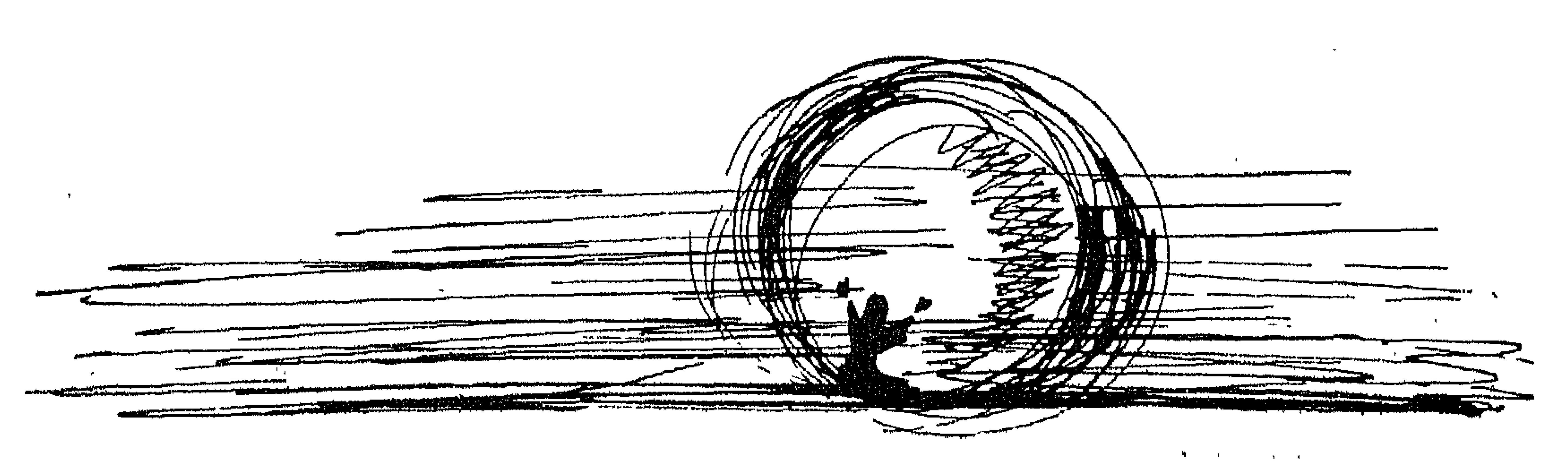
أما الملائكة فحاجتهم متجددة الى فضل الله وعلمه ودوام تسبيحه وتقديسه، وفى ذلك زكاة حقائقهم ورقى مراتبهم لا يستغنون عن ذلك طرفة عين : ((**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**)) ((**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**)) .

واذا كنا لا نطمع الآن فى أن يؤمن علماء العلم الطبيعى بأن للملائكة فى عالمها الروحى تطورها الملائم لها، فانا على يقين بأن ما تأتى به الأيام من حقائق غيب الله سيضيف جديدا الى معارفهم يقنعهم بتطور الملائكة، كما آمنوا من قبل بتطور الجماد ..

والحقيقة الثالثة : هى أن زمام قوانين التطور بيد الله سبحانه، وهو الواضح من قوله تعالى : ((يسأله من فى السموات والأرض .. الآية)) على ما أشرنا اليه من قبل .. وقبل أن يخلق الله الكائنات قدر لكل كائن سنة وجوده، ونظام حياته، ثم سواه على المثال الذى يحقق المنفعة المنوطة به، وهداه الى النهج الذى يتطور به ويترقى على نحو ما قال سبحانه : ((**ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**))، اذ ليس التطور مجرد ((عمليات)) عشوائية تتنوع بها الكائنات، وتتغير بها أعضاؤها وصفاتها على ما تسوقه المصادفة المحضة، بل مرد الأمر الى أسباب، ومقدمات، وعوامل تتجه بالتطور الى أهداف معينة، وغايات مقدورة .. وكل ذلك لا بد له من اعداد وتدبير، أو قوانين مرتبة تنتهى بكل نوع، وكل كائن الى ما يراد له ..

على أن القوانين ليست كائنات حية تدبر للتطور ما تريد بل هى قواعد أرادها الله ليتم لكل نوع، ولكل كائن ما أراد له فى علمه القديم من أطوار .. وليست قواعد تلقائية نشأت من غير شىء لتهيمن على مبادىء الأنواع ومصائرها فى كافة البيئات على مدى العصور الى آخر ما يهرف به من لا يريدون الاذعان لحكم العقل ومنطق الواقع ..

ان المصادفة العشوائية تفسير يلجأ اليه اللاجئون حين يعز عليهم أن يؤمنوا بالخالق المدبر لكل شىء من وراء الطبيعة .. وان القوانين التلقائية التى وجدت من لا شىء فحكمت الكائنات، وسلكت كلا منها فى منهاج تطوره، أهون قبولا فى منطقهم من أن تكون سننا كونية فصلها الله على علم لينتظم فيها كل كائن على ما أراده له .. وما أحسن مايقول الدكتور الفندى وزميله فى قصة السماوات والأرض : ((انهم يقولون عن قانون التطور هو الفعال، ونحن نقول : انه مجرد أداة فى يد الفعال)) وهو كلام جميل فيه فصل المقال ..



دراسة الفضاء طريق للإيمان

بقلم الأستاذ عبد الرزاق نوفل

بدأت البشرية تعيش عهـدا جديدا فى حياتها الأرضية بانطلاق الانسان فى أول رحلة خارج الأرض نحو الفضاء ، فقد ظل التاريخ منذ أن عرفه الانسان يسجل ما أمكن للعلماء معرفته بأبحاثهم التى ظلت تتصـل بالأرض أو بدراساتهم للكواكب والنجوم . وهم على بعد ساحق منها ، هو بعدها عن الأرض التى لم يغادرها الى خارجها من قبل انسان فيما يقرره التاريخ . وجدير بأن يسمى هذا العصر الذى نعيش فيه الآن عصر الفضاء ، فان النجـاح المتلاحق الذى صادف الانسان فى رحلاته خارج الأرض انما يبشر بمزيد من النجاح فى اكتشاف مجهول الفضاء بالقدر الذى تسمح به امكانيات الانسان العلمية والى الحد الذى لا يمكن للمادة بتركيبها المعروف أن تتجاوزه . فهل سـيكون عصر الفضاء عصر الحـاد أم لا بد أن يكون طابعه الايمان ؟

ان من أهم ما تتميز به العصور العلمية : الايمان المطلق بالله ـ جل شأنه ـ اذ أن العلم هو طريق الايمان ، وما انتشر الالحـاد الا فى عصور تفشى فيها الجهل أو قل فيها البحث العلمى . فالعلم والالحاد نقيضان لا يجتمعان وخصمان لا يتفقان فهل ينطبق ذلك على عصرنا هذا بعد أن وصل العلم الى طفرة لم يكن يظن الانسان أنه سيصل اليها بهذه السرعة والى هذا القدر ؟

ان الأدلة كلها تؤكد تأكيدا قاطعا أن العالم فى طريقه الى عهد سيكون أهم مايميزه ، الايمان الكامل المطلق بالله ـ سبحانه وتعالى .

فهذا جاجارين «أول رائد للفضاء» لم يتمالك نفسه وهو فى أول مرحلة من مراحل الفضاء أن يصيح وهو ما زال فى مركبته « يا للروعة .. انه منظر لا أستطيع وصفه .. انه شىء جميل .. ألوان لا يمكن أن أصفها .. ليت الشعراء معى ليروا هذا الجمال » ! لقد أدهشه ما رآه من ابداع ، ولابد أنه سأل نفسه : من أبدع هذا ؟ فياترى ماذا كان جواب نفسه عليه ؟ .. وهل مازال ينتظر الاجابة ، وهل يمكن أن تكون غير ما أجاب به القرآن الكريم فى آياته الشريفة « **بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كـل شىء وهو بكل شىء عليم . ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل** » .

ثم **انطلق تيتـوف** الذى جاوز بمـركبته ما وصل اليه من سبقه ، وظل يدور حول الأرض عدة مرات ويرى طلوع الشمس وغروبها فى يوم واحد أكثر من عشر مرات . لقد رأى ايضا من جمال الصورة وروعة اختلاف الليل والنهار ماجعله يصرح بقوله وهو مازال فى رحلته بأنه لشىء فوق الوصف أو التخيل وحقا انها لآيات ناطقة وقاطعة تدل على وجود الله سبحانه وتعالى ـ وفى ذلك يقول القرآن الكريم : «**ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** » وبعد ذلك يعتـرف تيتوف بعد عودته من الفضاء اعترافا واضحا صريحا لا لبس فيه ولا غموض أمام مؤتمره الصحفى الذى ضم مندوبين عن صحافة العالم

فيقول بأنه عندما رأى الأرض فوق رأسه فى الفضاء وهى تسبح وتدور ، سأل نفسه ، ترى ماذا يمسك الأرض فيجعلها معلقة فى هذا الفضاء ٠٠ فهل هناك جواب على سؤاله هذا الذى يعتبر بداية طريق الايمان غير ما تقرره الآيات الشريفة فى القرآن الكريم ؟ مثل (**ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا** » **وقوله تعالى :**

« **ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه** »

أليست هذه الاعترافات التى اعترفها رواد الفضاء تعتبر بداية الطريق الى ايمانهم بالله سبحانه وتعالى الذى خلق فأتقن وصور فأبدع وأراد فهدى ٠ ؟

لقد آن لهم بعد ما شاهدوا ولغيرهم اذا ما نقل اليهم وصفه أن يتفكروا ٠٠ واذا ماتفكروا فقد وضح لهم الأمر وظهرت أيات الله ساطعة لهم بعد أن كان يحجبها عنهم ستر المادية الكثيفة التى ماكانوا يرواسواها ويشعروا بغيرها ، ولم يعد الأمر يحتاج بعد ذلك الى دليل ، اذ يقول الله جل شأنه « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** » ٠٠ فان العين المبصرة التى لا يحجب عنها الضلال حقائق الحياة ترى فى كل ماحولها ـ لا سيما فى الفضاء ـ آيات وجود الله كما يقرر القرآن الكريم فى مثل الآية الشريفة « **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** » ٠

فاذا كان هذا هو حال هؤلاء الذين لم يتجاوزوا الاقدار يكاد لا يذكر فى الفضاء الخارجى ، فكيف اذا ماتوغلوا فيه وشاهدوا بأنفسهم ما فى الآفاق من آيات بينات ؟ ألا يعودون وقد آمنوا بالله كامل الايمان ، فاذا اتجهوا بعد ذلك الى دراسة الأديان ووجدوا أن آيات القرآن الكريم قد سبقت العلم بما قررته ، ووصلوا هم اليه . بعد قرون وقرون من البحث العلمى الدقيق ، ألا تتأكد لديهم رسالة نبى الاسلام ، ويتبين لهم أن هذا الدين هو الحق المبين وأنه دين الله رب العالمين الذى ارتضاه ليكون خاتمة الأديان ، فبعث به سيدنا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون آخر الرسل وخاتم النبيين ، وهذا ما قرره القرآن الكريم صراحة فى الآية الشريفة « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** »٠

ان العالم فى طريقه الى الايمان بالله ٠٠ وان عصر الفضاء سيتميز بأنه عصر الايمان ، فان النهضة العلمية التى تتنافس فى ميدانها الدول وتتسابق اليها الأمم ستكون سبيل الايمان بالله ، اذ أن العلماء هم أول البشر شهادة لله وايمانا به اذ يقول سبحانه وتعالى: (**شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط**) ٠كما أن كل تقدم علمى سيحمل أدلة جديدة على أن القرآن الكريم هو كتاب الله ، وذلك من آياته العلمية التى نطق بها النبى الأمى منذ أربعة عشر قرنا ، وسبق بها مايكتشفه العلم والعلماء فى عصرنا الحاضر ، فلا يمكن بذلك اطلاقا الا أن يكون وحيا من الله العليم الخبير ، وهذا ماتقوله الآية الشريفة (**ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق**)

فلنستعد لتبليغ دعوة الاسلام الى هؤلاء الذين أصبحوا على أول الطريق الى الايمان بالله، ولتكن دعوتنا اليهم باظهار اعجاز القرآن الكريم العلمى ، وبيان الحقائق العلمية التى تضمنتها آياته الشريفة ، والتى لم يسبق أن عرفها البشر الا بعد أن اكتشفت فى عصرنا الحديث ، وقال بها القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا ٠٠ فهذا هو سبيل الاقناع فى عهد العلم بلغة العلم ٠٠ المعلم الذى لا يكذب ولا يضلل ولا يحتاج الى دليل ٠٠ وسنرى دخول الناس فى الاسلام أفواجا ، وسبحان الله والحمد لله الذى يقول (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)٠



في النظام الاشتراكي

بقلم الدكتور محمد سعاد جلال

أساس الأخلاق الاشتراكية فى كل نظام اشتراكى حقيقى فضيلتان : الايثار ، والاهتمام بأمر الغير ، ان هاتين الصفتين هما الطابع المميز للحقيقة الاشتراكية أينما وجدت : فى أى عصر وجدت فيه ، وفى أى مجتمع تفاعلت مع حياته وفكره .

وحيثما استطاعت المكابدات الجادة ، بفعل الرسالات الهادية أو بفعل الثورات المصلحة البناءة أن تنشىء مجتمعا راشدا ـ وجدنا الحقيقة الاشتراكية فىصورة من الصور عنوانا لهذا المجتمع ، وأداته الناشطة المعبرة عنه فى سبيل الفلاح والخير ، وذلك ما سبق القرآن الكريم الى بيانه ـ وهو بازاء تكوين مجتمع سعيد متضامن ترفرف على جنباته ألوية الطمأنينة ، والعزة والطموح ، قال تعالى فى وصف عناصر هذا المجتمع الرشيد :

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فىصدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

فىهذه الآية الكريمةجماع الخلقالاشتراكى طلب الايثار والنهى عن الشح ، واعتبار التوقى من الشح ، واستنقاذ النفس من براثنه سبيل الفلاح ، والشح امساك النفس عن فعل الخير للناس ، ومن المستحيل أن نجد امرأ طوى الشح ذات نفسه يعنى بأحد غيره ـ وقد زاد هذا المعنى وضوحا وتأكيدا ، ما روى من قوله عليه السلام :

((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم))

اذن فالسلوك الأخلاقى الذى تفرضه الحقيقة الاشتراكية على المواطنين فى المجتمع الجديد الذى صاغته الثورة الرشيدة ، هو ما يفرضه القرآن الكريم عليهم ، وتلزمهم بالعمل به السنة المطهرة .

***

ودور الأسرة فى نطاق هذا النظام الاشتراكى دور جد خطير ..

ذلك أن أى نظام لا يأخذ طريقه الى الحياة الحقيقية ، والوجود الكامل ، الا اذا مد جذوره فى أعماق المجتمع الذى يعيش فيه ، وتفلفل فى كل نواحيه وابعاده ، وما طريق الوصول بالنظام الاشتراكى الى هذه الغاية المحتمة الا الأسرة .

الأسرة هي الوعاء الأول الذي تتم فيه التجربة الجديدة • فاذن يجب أن تقوم حياة الأسرة في مجتمعنا الجديد على « السيكلوجية» الاشتراكية من ناحية ، وعلى السلوك العملي الاشتراكي من ناحية أخرى •

كان من ميراث التربية الرأسمالية في بلادنا اعتبار رأس الاسرة نفسه أمرأ منفردا يملى رأيه ولا يناقش في شيء ، وكان ذلك يشل قوى جميع أفراد الأسرة ، ويعطل مواهبهم عن الظهور والعمل فترة طويلة من العمر ، وكانت المرأة بتأثير تلك التربية تحرم من كثير من حقوقها الأصلية المشروعة ، ولا أعنى حقوقها التى تدعيها ، وكانت كل أسرة صغيرة أو كبيرة ، عالية أو نازلة ، على قدر حظها ، ونسبتها فى سلم الاعتبارات الرأسمالية ، تحمل فى نفسها الكبر ، والمنافسة ، وعدم التعاون بالنسبة للأسر التى تلتقى معها بعلاقات الجوار ، أو العمل ، وسائر أسباب الأخذ والعطاء وعند كل مواضع الالتقاء •

***

ذلك أن مظهر انعكاس النظام الرأسمالى على تربية الانسان ، انما هو الصراع المحتدم ، والمنافسة المسعورة ، التى لا تتزود بها النفس بغير الحقد والمرارة ، والشح والأنانية •

عمل الأسرة اذن فى النظام الاشتراكى الجديد ، هو التخلص من هذه الرواسب الضارة ، الشريرة التى يعود ضررها أخيرا على كل مواطن بجزء مقسوم صغر أو كبر ، فواجب الأب ، وواجب الأم ، معا أن يقررا فى حياة المنزل بينهما وفيما بين أولادهم ، سلوكا يقوم على الايثار ، والتعاون الفكرى والعملى ، كما يقوم على مبدأ الاهتمام بأمور الغير فى مواطن الخير والابتلاء ومحاربة رذائل التراث الأخلاقى الرأسمالى ، التى تتجه بروح المجتمع الى التفاوت الطبقى والكبرياء ، وجمود العواطف نحو آلام المتألمين ، وكف الأيدى الناعمة عن التعاون مع سائر المواطنين ، وأن تنشىء كل أسرة بنيها وبناتها على الفهم الاشتراكى ، والسلوك الاشتراكى ، وذلك انما يكون ببيان محاسن النظام الاشتراكى ، ومميزاته الجوهرية التى تعود على كل فرد بالخير والتنمية فى حياته الأدبية والمادية ، ويكون أيضا ببيان أن النظم الاقتصادية المضادة للنظام الاشتراكى من الرأسمالية وغيرها لا تؤدى للانسانية خدماتها الصادقة ، ولا تحقق لها حاجاتها المطلوبة ، ولا تهيىء لها أسباب السعادة والرخاء ، واليسر التى تنشدها •

وان أى نظام آخر يضاد الاشتراكية انما هو نظام دخيل على بيئتنا ، وموروثاتنا الفكرية والاقتصادية ، وانه لا يمكن أن يلائم حياتنا ، ولا أن يلائم اتجاهات نفوسنا ، واستقرار أوضاعنا ، ثم يعنى بوجه خاص ببيان أن هذا النظام الاشتراكى الجديد انما هو نظام عادل أمين تنبثق جذوره ، واستمداداته من الدين الاسلامى الحنيف ، وأن الاسلام دين انسانى يتمشى بمبادئه وتشريعاته مع كل نظام اشتراكى سليم ، يحقق للانسان حاجته ويوفر له على جهة العدالة والمساواة أسباب معيشته •

وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن » وأن أفضل الأدب وأنفعه أن يتلقى الناشىء فى احضان الأسر الواعية تربية اشتراكية سليمة وتوعية وطنية ثابتة عميقة الجذور كبيرة التأثير • ان نشر الوعى الاشتراكى وحماية الأسس الاشتراكية من جانب الأسرة أكبر عملها وأقدس واجباتها •

وبذلك يتاح لنا أن ننشىء مجتمعا اشتراكيا أصيلا ، وثيق البناء ، عميق الجذور يبشر ظهوره بمصير أفضل ، ومستقبل زاهر الثمرات وافر الخيرات •

لسن من طراز

مونيك .. لاجرسون

الأستاذ احمد محمد بريرى

قال صاحبى :

انها لنماذج شاذة .. تلك النسوة اللاتى عرضت لهن على صفحات « منبر الاسلام » فليس من طبائع الأشـيـاء أن ترى المرأة فى ميدان القتال تبقر البطون ، وتلوك الكبود ، وتتخذ من آذان القتلى ومناخرها مساخر أو **ملاعب تعبث بها .**

واذا كان قد قيل بحق :

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جر الذيول

فكيف ترى تلك التى خلعت زيها النسائى، وتزيت بزى المقاتلة من الرجال ، معلنة أنها سئمت غسل رأسها ودهنه .. وانه أولى لها ثم أولى أن تناضل الرجال فتقطع رءوسهم ، عسى أن يقيض الله لها رجلا حديد الساعد يقطع رأسها هذا الذى كرهت ثقل حمله .

انه للون من ألوان السادية التى مثلتها « مونيك » الفتاة التى حدثنا عنها الكاتب الفرنسى الأستاذ « فيكتور مرجريت » فى قصته « لاجارسون » أو « الفتاة المسترجلة التى مشت فى الأسواق واتجرت فنافست الرجال وكانت رجل أعمال ناجحا .

قلت :

ـ على رسلك .. فانه لا قياس حتى مع الفارق ـ كما يقولون ـ الا اذا أردت اللفظ ووازنت بين لفظ جرسون الفرنسى وبين لفظ « غلام » **العربى .**

فنحن نعلم أن العرب لم تؤنث لفظ غلام فتقول غلامة . وكذلك فعل الفرنسيون فلم يؤنثوا «غلام» ـ جرسون ـ فالواضع الفرنسى والواضع العربى سلكا سلوكا واحدا من حيث اللفظ ، قال كلاهما « غلام » ولم يقل « غلامة » .

ولكن الكاتب الفرنسى « فيكتور مرجريت » قال « غلامة » اذ أضاف علامة التأنيث الى اللفظ محققا النون من « جرسون) فكذلك تؤنث عندهم لو كان مما يؤنث .

وهو انما فعل هذا لأن « مونيك » سارت سيرة الفلمان فى حياتها الخاصة : ذلك بأنها خدعت ، خدعها خطيبها الذى كشفت بفتة انه خدين أخرى غيرها ، فكان لهذا الكشف أسوأ أثر فى نفسها .. لماذا يغفر المجتمع للشباب من الرجال خطيئاتهم اذا هم عدلوا عن سواء السبيل ، واقترفوا ما شاء الشيطان أن يقترفوا من الفواحش ..؟ انه لا عار ولا شنار يجره الفتى على نفسه ولا على أسرته اذا هو اتصل صلة غير مشروعة بفتاة أو امرأة ، سواء أكان هو زوجا أم لم يكنه . فى حين يدعى بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، اذا اتصلت المرأة ـ ولو غير متزوجة ـ تلك الصلة نفسها برجل ؟

لقد فضل الرجال على النساء بما انفقوا من أموالهم عليهن. فلقدقامت الحياةالانسانية على أن يعول الرجل المرأة . وبهذا ـ وحده ـ كان له عليها درجة .

ان « مونيك » لن تكون عيالا على أحد من الرجال .. لا أب ولا أخ ولا زوج ينفق عليها ، ستتولى هى أمور عيشها ، فتكون قوامة على نفسها .. انها لا تحلم حلم يقظة ، بل تباشر العمل بالفعل فتكون من رجالات الأعمال .. وتتعثر أعمالها حينا من الدهر الا أنها لا تلبث أن تستقيم ويطرد لها النجاح .

وتختلط بطوائف مختلفة من الناس وبخاصة « أهل الفن » لأن عملها يمد اليهم بسبب ، وكذلك تتيسر لها سبل الغواية فتمضى فيها على غير استحياء . لقد انتقمت من خطيبها فى الليلة نفسها التى رأته فيها مع معشوقته ، اذ استسلمت لأول رجل صادفته فى الطريق وقالت لأبيها وأمها وخطيبها : انها فعلت فعلتها هذه النكراء .

وخرجت من بيت الأسرة الى حيث استقلت بعيشها ، تصنع بحياتها ما تشاء ، لا يحدها حد ، ولا يرد عليها قيد من قيود العرف والعادات والسنن الموروثة التى حجرت على غرائز الأنثى وأطلقت للرجل عنان غرائزه .. وتنطلق « مونيك » انطلاقتها طوع غريزتها ، تخادن هذا وذاك .. وهذه وتلك .. فقد عرفت فيما عرفت ـ الشذوذ الجنسى ، حتى يهيىء الله لها سبيل الرشاد عن طريق رجل شريف كريم « واسع الأفق » يستطيع أن يدرك أنها طيبة العنصر ، سليمة الفطرة التوت بها طرق الحياة على غير قصد منها والقت بها آخر المطاف بين يدى صديقه الشاعر الغيور الى درجة الجنون فقد كاد يرديها برصاص مسدسه لولا أنه تلقاه هو ، اذ جعل جسمه درعا حال بينها وبين الموت .

ويأبى لطف الله الا أن يكون جرحه غير قاتل وهكذا تتهيأ فرصة التفاهم والتحاب والزواج .

وتحيا «مونيك» وزوجها الأستاذ«ملاشيه» حياة هادئة هانئة سعيدة .

لقد عرض الاستاذ فيكتور مرجريت فى قصته تلك لبعض الآثار السيئة التى انجلت عنها الحرب العالمية الأولى وبخاصة عند الفئة التى أثرت وأترفت ، وماكانت «مونيك» الا بنت احدى تلك الاسر التى اطلق عليها اسم « اغنياء الحرب » ، فما العلاقة بينها وبين النماذج النسائية العربية التى عرضتها على صفحات منبر الاسلام ؟

أنه لا علاقة البتة . فان مسألة « مونيك » مسألة فردية لشخصية لا تمت بسبب الى السياسة أو الشئون العامة ، فى حين أنى لم أعرض لما عرضت له من شئون السيدات اللواتى تحدثت عنهن الا من حيث اتصاله بالحياة العربية العامة .

ان واحدة ممن عرضت لهن لم تشذ فتوصم بالسادية أو الماشوسية أو غيرهما مما يوصم به السلوك الفردى ، وانما هن سيدات عربيات كريمات ، جاهليات كن أو اسلاميات ، مواليات للدولة الاسلامية أو خارجيات . ان الصفة العامة المشتركة بينهن جميعا لهى الاخلاص فى الشرك والايمان سواء .

لقد كانت هند بنت ربيعة ترى أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان ، وأن أمور العرب لا تصلح الا أن تظل كما كانت أيام الجاهلية .. **ولكن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد أن يقلب الدنيا رأسا على عقب : يريد أن يرفع العبيد والاماء والقطين ـ الذين لا يجوز الا أن يكونوا هملا وتبعا ـ الى المنزلة الرفيعة منزلة السادة الأعلين .**

وهل يتأتى ذلك الا بنزول أولئك الى درك السفلة الأرذلين ؟

كلا ، فدون ذلك خرط القتاد وركوب الأهوال . ولكن محمدا وأصحابه من المهاجرين ، وأنصاره من الأوس والخزرج ، ينتصرون على سادة مكة، ويقتل عميدالأبطحين كليهما وابنه وأخوه وبنو عمه وبنو خاله ،

وكثيرون غيرهم من الذين يشار اليهم بالبنان، فهل تخضع هند راضية بالدنية أو مقـــرة الأمر الواقـــع على ما تكره ؟ لا وحق اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ..

بل لابد أن تلم قريش شـــعثها وشعث أحلافها وأحابيشها ، والحرب ــعادةــ سجال كانت علينا مرة وستكون لنا كرة أخرى ، ولن يطول صدى هامات الأشياخ الذين هلـــكوا يوم بدر . ويمضى عام ويلتقى المسلمـــــون والمشركون لقاء آخر ، ويشاء الله أن يمتحن المسلمين ويمحص قلوب المؤمنين، فتثأر قريش لقتلاها ويتغنى أمثال ابن الزبعرى بمثـــل قوله :

ليت أشياخي ببـــدر شهدوا
جزع الخزرج من وقع الأســل

ويقـــر قرار هام الألى قتـــلوا منـــذ عام الضرم ، وترضى هند ، الا أن رضاها الى أجل ، فان العاقبة للمسلمين الذين لا يلبثـــون أن تتفرق كلمتهم وتنقلب خلافتهم ملكيـــــــة استبدادية باغية مسرفة فى البغى والعدوان ، وتقوم الدعوات المعارضة ويتحزب الأحـزاب ويخرج الخوارج . وتجد من الخارجيـــات نساء ذوات عزمات صادقات ، مثل أم حكيم ، التى تحمل رأسا سئمت حمله ، وكـــرهت غسله ودهنه ، فعسى أن يقيض الله لها فتى يحمل عنها ثقله ، انهـــا ليست ذات خطيب خدعها مع أخرى . بل ان حياتها الخاصـــة بعيدة كل البعد عما هى بصدده . انها بصدد اقامة دعائم الاسلام الحق .. فان الملـــوك والأمراء ومن والاهم كلهم فسقوا عن أمر الله فيما نرى .

فالكلمات التى سلفت لم تتناول ــ عـلى سبيل الحصر لا المثال ــ الا واحدة من ثلاث : امــرأة جاهليـــــة أصرت اصرارا على خلـق جاهلى هو فى الأصل فضـيلة أسرف فيهـا فانقلب الى ضدها من باب ((اذا زاد الشيء عن حده أنقلب الى ضده)) أو كمـا قيـل : الفضيلة حال وسط بين طرفين كلاهمـــــا رذيلة .

ثانية : سارت سير أختها فى طريق الضلال حتى شرح الله صدرها للاسلام فعدلت الى طريق الرشاد .

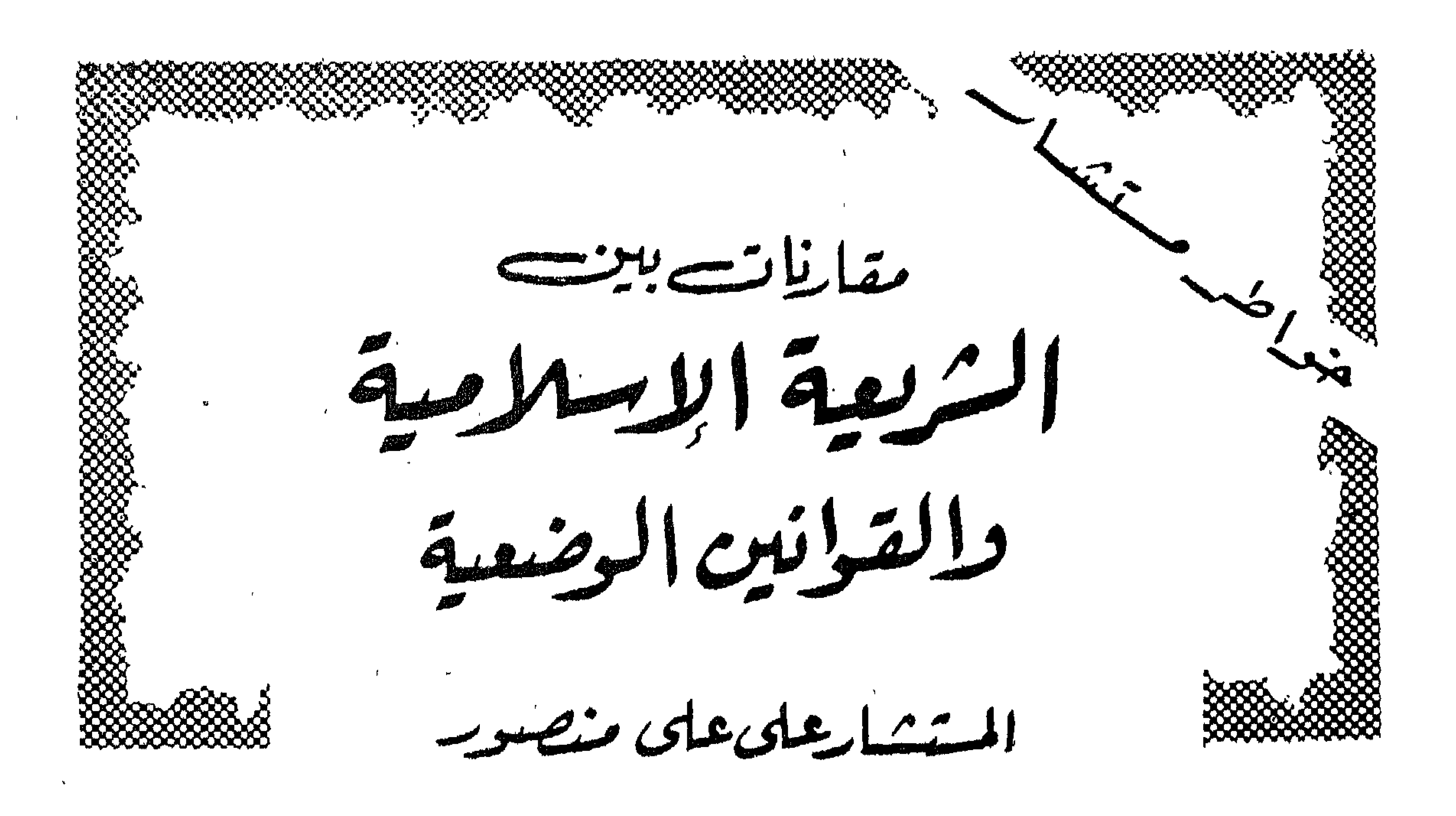
ثالثة : مسلمة رأت الدولة الاسلامية تنحرف عن الاسلام فآثرت أن تناضـــل وتجاهد فى سبيل الله حتى تموت أو يرجع الحـق الى سبيله ، فهى لن يصيبها الا احدى الحسنين .

قال معاوية ــ رضى الله عنه ــ :

الفرصة خلسة ، والحيـاء يمنـــع الرزق ، والكلمة من الحكمة ضالة المؤمن .

وقال المعتمر بن سليمان : ــ

كان يقال عليك بدينك ، ففيه معادك، وعليك بما لك ، ففيه معاشك . وعليك بالعلم ففيه زينك



– ١ –

فتح مكة :

نقضت قريش هدنة الحديبية على ما أسلفنا، فعادت بذلك حالة الحرب التى كانت قائمة بين الرسول والمسلمين ، وبين قريش وكانت قريش هى التى بدأتها وأعلنتها فى مكة وأكدتها بذهابها الى المدينة ، حيث كانت غزوات بدر وأحد والخندق ، فسار النبى – عليه الصلاة والسلام – الى مكة فى عشرة آلاف مقاتل لم تر الجزيرة مثل عتادهم من قبل حين أنهم كانوا لا ترى منهم الا الحدق « حدقات العيون » وعلى الرغم من توكيد ربه له بالنصر فى سورة الفتح ، وعلى الرغم من أن الجيش كان على أحسن حال من التسلح والايمان والرغبة فى الاستشهاد .

ولكن محمدا الداعية الى السلام، كان يرجو أن لا تقع بينه وبين قريش معركة يذهب ضحيتها الكثير من المشركين ، ونذكر فى هذا المقام أن **أحد قواد فرق المسلمين فى ذلك اليوم قال عندما اقترب الجيش اللجب الزاحف الى مكة قال : « هذا يوم الملحمة » فسمعه الرسول فغضب من قالته ورد عليه « بل هذا يوم المرحمة » ولم يتعجل الرسول بدخول الجيش مكة ، بل عسكر فى خارجها ، وأمر من دعى اليه أشرافها ومنهم أبو سفيان بن حرب الذى أخذه العباس ليلا وسار يطوف به على فرق الجيش ليوقن أن النصر حليف المسلمين فيكف قومه عن الحرب ، وأمر رسول الله بابلاغ أبى سفيان وأهل مكة يوم الزحف ، بأنه لا يريد حربا وانما يريد أن يخلص بيت الله الحرام من الأوثان التى احتلته وأرجسته وقضت على الحنيفية والوحدانية دين ابراهيم ونودى فى أهل مكة : أن من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل بيت أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ، ودخل مكة من غير حرب ودون ان يريق دما ، دخلها من ثلاث جهات بثلاثة جيوش قادرة قاهرة ، ولو كان يريد تشفيا وانتقاما كما يرجف المرجفون ، لأمعن فيهم قتلا ، ودخلها دخولا ما دخله أحد من قبله ولا من بعده ، كما قال ابن القيم الجوزية : دخل وذقنه يمس قربوس سرجه خضوعا وشكرا لله الذى ألبسه ثوب هذا النصر والفتح المبين بغير حرب ولاقتال حتى أتى الكعبة ، فأمر بما فيها وما حولها من الأصنام فكسرت ، وعلا كعب بلال فوق الكعبة بأمر الرسول ليؤذن فى الناس .**

بلال الذى كان يجر فى الرمضاء على جمر الفتنة بذى طوى ، ولما رفع صوته بالأذان

أجابته القبائل ودخلوا فى دين الله أفواجا ، فاجتمع أهل مكة ممن كان فى دار أبى سفيان ومن كان مغلقا بابه عليه وازدحم الحرم بهذا الحشد الجامع والحفل الحافل ، وكلهم وجل مما عساه نازل بهم على ماقدمت أيديهم للمسلمين ورسولهم من أذى وقتل وطرد وحرمان وحصار وحرب دامت عشرين عاما ، فوقف الرسول البر الكريم المسالم العفو ، يخطب فى الناس ويقول « **ما تظنون أنى فاعل بكم ؟** » قالوا : أخ كريم ، افعل مابدا لك فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لم يفرض عليهم غرامات حرب كما يفعل القواد المنتصرون اليوم باذن من القانون الدولى ، ولم يستول على أملاكهم ولم يطالبهم بدية من قتلوه من المسلمين ، فكان اليوم كما قال : يوم المرحمة لا يوم الملحمة وقف الرسول بين عضادتى باب الكعبة وخطب الناس ومما قال : ((**ألا كل دم ومال ومأثره فى الجاهلية فانه موضوع الا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فانهما مردودان الى أهلهما الا وان مكة محرمة بحرمة الله لم تحل لأحد من قبلى ولا تحل لأحد من بعدى الا ساعة من نهار أحلت لى فيها وقال : من كان فى بيته صنم فليكسره ودعا بالنساء فبايعنه ، وأخذ عليهن العهد والميثاق فاذا أقررن بألسنتهن قال بايعتكن ولايمس أيديهن فأقر بذلك بوجود المرأة ومساواتها للرجل الا فيما أمر الله به له عليها من طاعة .**

أفبعد هذا يسوغ لمتقول أو مفتر أن يتهم الاسلام ورسوله بما أرجفوا به ؟

غزوة حنين وغطفان .

أما غزوة حنين ، فسببها أن ثقيف وهوازن وقبائل الطائف لما علموا بفتح مكة ، جمعوا جموعهم وقالوا : لقد فرغ محمد من قريش ، ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا ، فالتقى الجمعان فى حنين ، بقرب مكة ولما علم الرسول بتجمهرهم ، **خرج اليهم فى ثلاثة عشر ألف مقاتل** ، وأما غطفان فمر القول أنها كانت على حرب مع الرسول منذ غزوة الخندق ، ولم تحصل بينهم وبين المسلمين هدنة كهدنة الحديبية ، بل بقيت حالة الحرب قائمة ، **فلو بدأ الرسول بغزوهم ، لحق له ذلك ، ولكنه لم يفعل وبلغه أن غطفان ـ بعد الفتح ـ جمعت** جموعها مع بنى ثعلبة ومحارب ، بذى الكتف فسير اليهم **جيشا هزمهم ، ثم سار هذا الجيش الى نجد لما علم بحشد جيوشها .**

وفود الجزيرة الى الرسول :

قال ابن اسحاق : لما أسلمت ثقيف وبايعت بعد فتح مكة ، انصرف الى رسول الله وفود العرب من كل جهة ، **فدخلوا فى دين الله أفواجا حتى سمى العام التاسع عام الوفود وبايعوا الرسول ، ومنهم وفد الأشعريين ، وأهل اليمن ، جاءوا عن رضى لا عن خوف ، حيث دخلوا المدينة يرتجزون .**

غدا نلقى الأحبة ..

محمدا وحزبه

وكذا وفد الأزد وهم قبائل فى اليمن ، ووفد بنى كعب بنجران ووفد همدان ووفد دوس ووفد نجران ، ووفد بنى سعد ووفد بنى سعيد .

بعوث الرسول وكتبه

بعد أن تكونت الدولة الاسلامية العربية فى الجزيرة ولم يبق فيها الا دين واحد بعث ـ عليه الصلاة والسلام ـ سنة سبع للهجرة بكتبه ورسله الى أمراء العرب على تخوم الجزيرة ممن كانوا تحت سلطان الفرس والى أمراء نصارى العرب ممن كانوا تحت سلطان الروم ، بل كتب الى الملوك والأباطرة ، كتب الى هرقل عظيم الروم والى كسرى عظيم فارس والى النجاشى ملك الحبشة والى المقوقس رئيس القبط بمصر والى المنذر بن ساوى ، والى ملك عمان والى صاحب اليمامة .

وهذه الكتب فضلا عن أنها دعوة للايمان بالله وعبادته وحده **فانها اعلان من جانب الدولة الاسلامية بقيامها ووجودها ، وهو أمر متبع فى القانون الدولى الحالى فاذا ما قامت دولة ولو بالانفصال عن غيرها أو بأية وسيلة أخرى فانها تخطر الدولة الأخرى بقيامها ، وكأنها تسأل الاعتراف بها .**

تطور الخط العربى فى الاسلام

الدكتور حسن الباشا

على الرغم مما أورده المؤلفون من أخبار وآراء بخصوص نشأة الخط العربى وتطوره ، فان تاريخ هذا الخط لا يزال مشكلة تحتاج الى كثير من الدراسة والتمحيص ، ولا سيما فيما يتعلق بتطوره قبل الاسلام • والحق أنه لم يصلنا من الكتابات العربية التى ترجع الى عصر ما قبل الاسلام غير بضع كتابات أثرية بعضها مكتوب بلغة غير عربية وبخط غير عربى •

ولكن بظهور الاسلام أخذ شأن الخط العربى فى الازدياد : اذ لم يلبث العرب أن انتشروا فى كثير من أجزاء العالم المتحضر فى ذلك الوقت ، وامتد النفوذ العربى الاسلامى فى نحو قرن من الزمان من حدود الهند شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، ومن ثم أخذوا يمكنون للغة العربية التى أصبحت ذات قيمة دينية وأدبية الى جانب أهميتها السياسية •• وتبع ذلك بطبيعة الحال التمكين للكتابة العربية التى لم يقتصر استعمالها على اللغة العربية ، بل صارت تكتب بها فيما بعد لغات أخرى غير عربية •

ولقد كان من الأسباب الرئيسية فى انتشار الكتابة العربية تعريب الدواوين فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان •

وبالاضافة الى ما أحرزته الكتابة العربية من انتشار واسع فان الخط العربى قد حظى منذ ظهور الاسلام بعناية موضوعية من حيث التجويد والتطوير نحو الجمال والاتقان •

ويتضح جانب من جوانب العناية بالكتابة العربية فيما أدخله علماء اللغة على الحروف العربية من علامات الاعجام والحركة حتى يمكن تفادى الخطأ واللحن خصوصا فى تلاوة القرآن الكريم •

ومن المعروف أن الخط العربى كان الوسيلة الأساسية التى حفظ بها القرآن ، اذ اتخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — كتابا يدونون الآيات القرآنية بخط عربى •

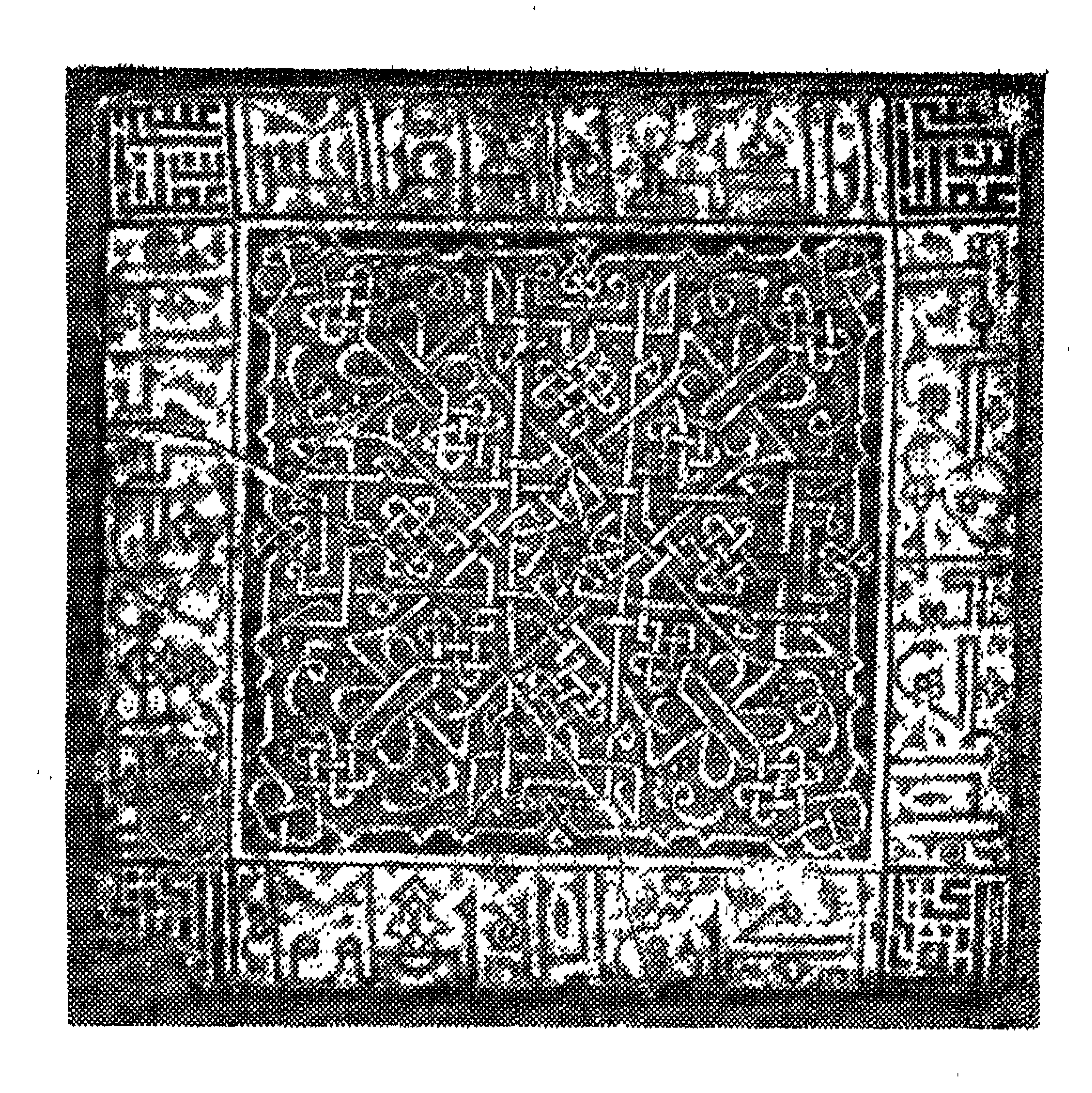
وفى عهد عمر تم جمع القرآن الكريم بعد أن استشهد كثير من حفظته فى ميادين الجهاد ، وفى عهد عثمان كتبت المصاحف وأرسلت الى الأقطار الاسلامية المختلفة • وهكذا كان للخط العربى دوره المهم فى حفظ القرآن، وفى تداوله وانتشاره ، وفى التعبد بتلاوته •

وليس من شك فى أنه كان لكتابة القرآن **وتلاوته فى المصاحف فضل كبير فى اعزاز شأن الخط العربى ، والرغبة فى تجويده وتحسينه ، وفى نظر المسلمين اليه باكبار وتقديس ، وتأملهم له بلذة دينية ، وتذوقهم لجماله بمتعة روحية • وقد أدى هذا كله بدوره الى المبالغة فى تزويقه ، والتطور به تطورا زخرفيا فنيا •**

ولقد ساعد على العناية بالخط العربى أيضا ما تشتمل عليه تعاليم الاسلام من تقدير للكتابة اذ أقسم بها الله سبحانه ، فقال جل شأنه :

« ن والقلم وما يسطرون • »

كما أشير اليها فى أول الآيات التى نزلت على النبى — صلى الله عليه وسلم — : « اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » •



بلاطة من الخزف من عمــل غيبى الفنان المصرى فى عصر المماليك ترجع الى القرن الثامن الهجرى (١٤ م) . وهى محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة رقم ٢٠٧٧ . وقوام زخارفها كتابات كوفية ونسخية تقرأ كما يلى :

فى الأركان الاربعة بالخــط الكوفى المربع « عمل غيبى بن التـــوريزى »

فى الاطار بالخط الكوفى المزهر « ان الصــلاة تنهى عن الفحشــاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون صدق الله » .

فى الوسط بخــط نسخى مجدول ومتقابل « توكل على خير معــين ؟ »

وفضلا عن ذلك فان العناية بالكتابة تعتبر مظهرا من مظاهر العلم والتحضر والمدنية التى عمل الاسلام على انمائها ونشرها ، والكتابة فى الوقت نفسه من أهم وسائلها ، ولأمر ما قرن بين العلم والكتابة في الآيات الكريمة السابقة .

ومن جهة أخرى يلاحظ أن طبيعة الخــط العربى واشكال حروفه ، وما تمتـــاز به من الموافقة والمرونة قد هيأت الفرص المناسـبة للتحسين والتنويع . وليس أدل على ما تحمله أشكال الحروف العربيــة من بذور الخصب والابتكار من أن الحروف العربيــة قد كتبت بأكثر من ثلاثة آلاف هيئة ، بل ان حرف الهاء وحده قد ورد له نحو تسعمائة شكل مختلف .

والحق أن هذه الظروف كانت مما هيأ المجال لأن يحتل الخط العربى ومزاولوه من الخطاطين أعلا درجة من التقدير والاعزاز بالنسبة للفنون الاسلامية الأخرى .

ولاعجب أن رأينا الخطاطين وحدهم دون غيرهم من الفنانين المسلمين قد حظوا بأكبــر قسط من عناية المؤلفين العرب : فصنفت عنهم المقالات والكتب التى تناولت الكلام عنهم وعن أخبارهم ، وأشادت ببراعتهم ومواهبهـــم ، وبما وهبهم الله من ذوق راق وفن جميل .

أما الخط العربى نفسه فقــد احتــل مكان الصدارة بين الفنون الأخرى ، ولم يقف دوره عند حد استخدامه كوسيلة لتدوين المصاحف أو التعليم ، أو فى المكاتبات العادية أوالرسمية بل استخدم أيضا كعنصر زخــرفى وأثرى : اذ زينت به المبانى سواء أكانت دينية كالمساجد والأضرحة ، أم مدنيــة كالقصور والمؤسسات العامة ، وزوقت به منتجات من جميع الفنــون التطبيقية كالمنسوجات والخــزف والتحف الخشبية والعاجيــة والمعــدنية والأدوات الزجاجيــة وغيرها ، كما اقبــل المسلمون على اقتناء نماذجـــه الجميـــلة ، والواقع أن الخط العــربى قد لعب فى عالم الفــن والزخرفة دورا لم يلعبه غيره من الخطوط فى أى عصر من العصور أو قطر من الأقطار .

وربما كان من أهم مظاهر العناية بالخــط العربى تفريعه الى عدد من الخطوط يتميز كل منها بخصائص معينة . **وأهم هذه الخطــوط نوعان رئيسيان : هما الخط الكوفى المزوى ، والخط النسخ المقوس .**

وقد كانت نشأة هذين الخطين وتطورهما مثار آراء مختلفة . وكان الرأى الشــائع أن

الكوفى أسبق فى الظهور ، وان الخط النسخ قد تطور منه ، وربما كانت روايات المؤلفين الأقدمين توحى بذلك عند الوهلة الأولى ٠

والواقع أن المؤلفين المحدثين – ولا سيما المستشرقين منهم – قد فهموا الروايات القديمة على هذا النحو ، ومن ثم انبروا الى تفنيدها على أساس دراسة ما تبقى من الكتابات الأثرية ، والكتابات على العملة والصنج ، وفى أوراق البردى والمخطوطات القديمة وغيرها : ذلك أنهم لاحظوا أن الخط العربى كان يحمل منذ البداية بذور الطابعين المزوى والمقوس ، وأن الخطين المزوى والمقوس قد وجدا معا فى وقت مبكر ٠

ولكن بدراسة ما أورده المؤلفون العرب عن الخط العربى فى ضوء القرائن المادية التى تتمثل فى نماذج الكتابة العربية التى وصلتنا **ينسبون الى على – رضى الله عنه – الفضل فى بداية العناية بالخط وتحسينه ٠**

ولقد كان هذا الخط الكوفى أو العربى على نوعين : هما المبسوط ، وهو خط جامد يتألف فى الغالب من مستقيمات وزوايا ، والمقور : وهو خط لين تقل فيه المستقيمات ، وتحل الأقواس محل الزوايا ٠

ولما كان الخط يتألف – كما قدمنا – من مستقيمات تتقابل فى زوايا صار من السهل التوصل الى تنسيقه وترتيب حروفه فى وقت قصير . **وأقدم ما وصلنا من الخط المبسوط المنسق كتابات ترجع الى بداية العقد الثامن من القرن الأول الهجرى ، وأهمها كتابة بالفسيفساء فى قبة الصخرة بالقدس ترجع الى سنة ٧٢ هـ ٠**



نموذج من خط على بن هلال المشهور بابن البواب . وهو منقول من نسخة ((شعر سلامة بن جندل)) فى خزانة كتب قصر بغداد فى متحف سراى طوب قبو فى استنبول رقم ١٢٥ (عن كتاب الخطاط البغدادى على بن هلال المشهور بابن البواب تاليف الدكتور ا . سهيل انور وترجمة محمد بهجة الأثرى وعزيز سامى)

يمكن أن نوضح بعض الحقائق بخصوص هذا الموضوع ٠

فمن الملاحظ أن المؤلفين القدامى كانوا يطلقون على الخط العربى بصفة عامة اسم الكوفى ٠ **وربما كان من أسباب هذه التسمية** غلبة العناية بالكتابة العربية فى مدينة الكوفة منذ أن اتخذها على بن أبى طالب مركز الخلافة الاسلامية . **ومن المعروف ان بعض المؤلفين**

ولقد فطن الفنانون المسلمون منذ عصر مبكر الى ما فى هيئة الكتابة المبسوطة من طابع زخرفى : ذلك أنها تتألف من قاعدة مستقيمة تمتد أفقيا ، وتتقابل معها مستقيمات فى زوايا ، مما جعل الكتابة تتخذ هيئة شريط زخرفى ، ومن ثم عملوا على انماء هذا الطابع الزخرفى ، فأدخلوا عليه كثيرا من التحويرات الزخرفية **حتى صار هذا الخط المبسوط بحق وحدة**

أساسية من الوحدات الزخرفية فى الفن الاسلامى .

ولقد أدت سهولة تنسيق هذا الخط المبسوط وتجويده وزخرفته الى أن أصبح أشبه بخط رسمى طوال القرون الخمسة الأولى حتى كاد أن يقتصر عليه وحده فى تدوين المصاحف ، وفى الكتابات الأثرية ، وفى النقوش الزخرفية ، وفى الكتابة على العملة وعلى الصنج .

ويجب أن نقرر هنا أن هذا الخط المبسوط قد انفرد وحده أخيرا باسم الخط الكوفى ، ولا يزال يطلق عليه هذا الاسم حتى الآن . وأعتقد أن هذه التسمية هى السبب فى الخطأ الذى وقع فيه بعض المؤلفين المحدثين فى معارضتهم لما جاء فى الكتب العربية القديمة عن تطور الخط النسخ من الخط الكوفى : ذلك انهم حملوا المصطلح القديم مدلول المصطلح الحديث : أى أنهم لم يفرقوا بين معنى « الخط الكوفى » فى المؤلفات القديمة ويقصد به الخط العربى القديم بنوعيه : المبسوط والمقور ، وبين اصطلاح « الخط الكوفى » فى المؤلفات المتأخرة ، ويقصد به الخط المزوى وحده .

*

واذا كان النوع المبسوط من الخط الكوفى ــ أو الخط الكوفى حسب المصطلح الحديث ــ أسهل من حيث التنسيق والتزويق بحيث صار فى الامكان تطويره وتجميله فى وقت قصير نسبيا فان النوع المقور كان من جهة أخرى أسهل تناولا بصفة عامة ، وذلك لما يمتاز به من ليونة ، ومن ثم صار هذا النوع المقور هو الخط الشائع أو العادى الذى كان يستخدم فى المكاتبات المدنية والمعاملات اليومية ، والمؤلفات المختلفة سواء أكانت فى البردى أم فى الورق أم غير ذلك .

ويتمثل أقدم ما وصلنا من نماذج الخط المقور فى وثيقة من البردى : عبارة عن مكاتبة صادرة من أحد عمال عمرو بن العاص على أهناسية فى مصر ، وهى مكتوبة باللغة العربية واليونانية . وهذه الكتابة خالية من العناية والتنسيق ــ شأنها فى ذلك شأن غيرها من الكتابات المقورة المبكرة .

على أن الخطاطين المسلمين قد تذرعوا بالصبر والمثابرة ، وأخذوا يبذلون جهدهم فى سبيل العناية بهذا النوع من الخط منذ أواخر العصر الأموى ، ولا سيما بعد استخدام الورق فى العالم الاسلامى فى أواخر القرن الثانى من الهجرة ، واستعمال الخط المقور على نطاق واسع .

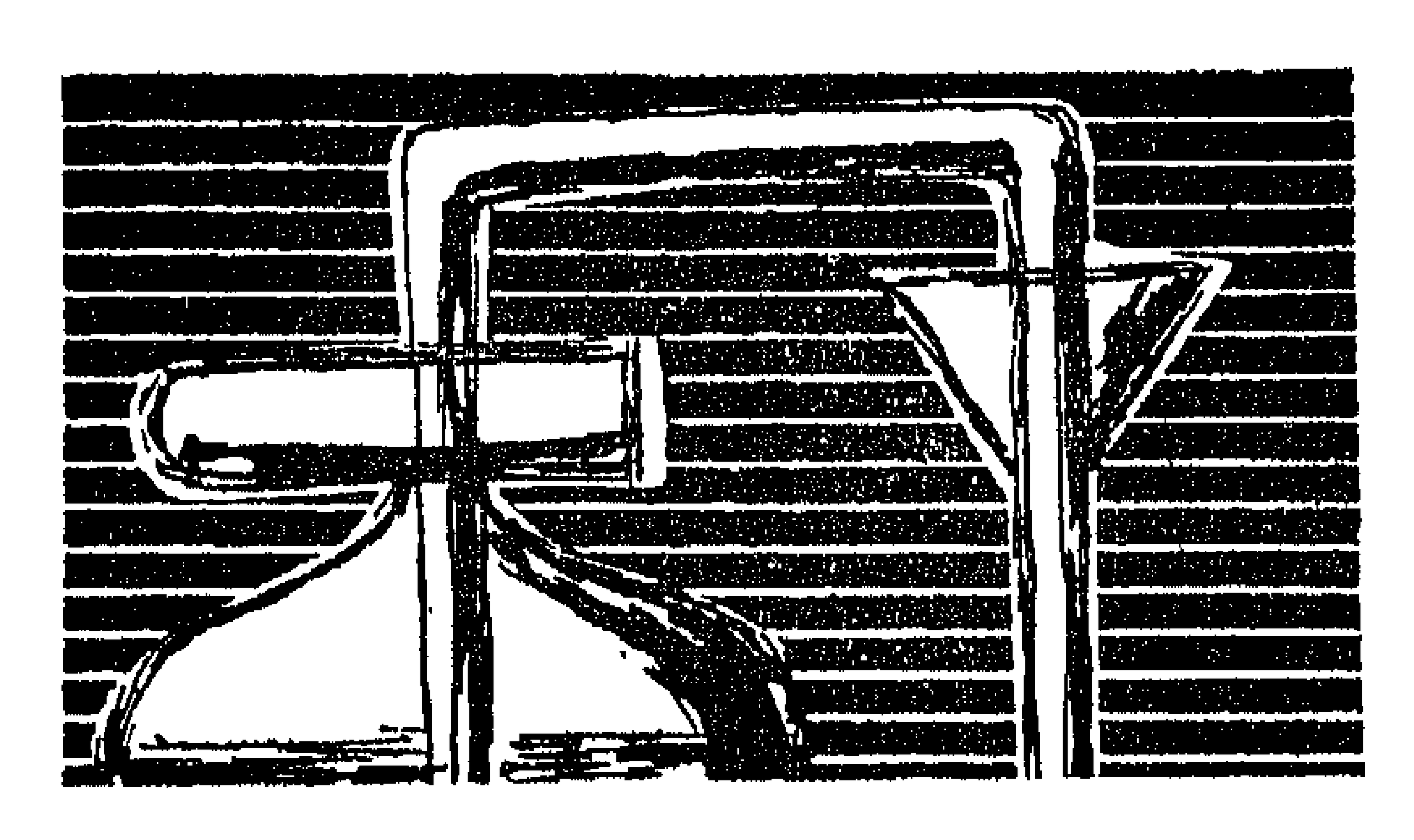
ويرجع الفضل فى تطوير هذا النوع من الخط وتجميله الى سلسلة من الخطاطين الأفذاذ الذين عاشوا فى القرون الخمسة الأولى ، وربما كان أهمهم الخطاط الذائع الصيت على بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ . وقد كان هؤلاء الخطاطون الكبار يتوارثون الخط المقور ، ويضيف كل منهم من فنه الى تراث سلفه حتى استطاعوا أن يطوروا خطا جميلا قليل الزوايا كثير الاستدارة : هو الخط المنسوب الذى صارت أجزاؤه تخضع لمقاييس ونسب معينة تضفى عليه جمالا ورونقا وبهاء . وقد صار هذا الخط يطلق عليه اسم الخط النسخ .

وما أن وصل الخط المقور أو النسخ درجة مناسبة من التجويد والتنسيق حتى أخذ ينافس الخط المبسوط أو الكوفى كخط رسمى وزخرفى الى جانب استخدامه فى الكتابة العادية وفى المؤلفات والكتب .

وقد حقق الخط النسخ انتصاره التام منذ عصر السلاجقة والأيوبيين ، اذ صار تدون به المصاحف الفخمة ، واحتل الصدارة فى الكتابات الأثرية والزخرفية على المبانى والتحف الفنيـة .

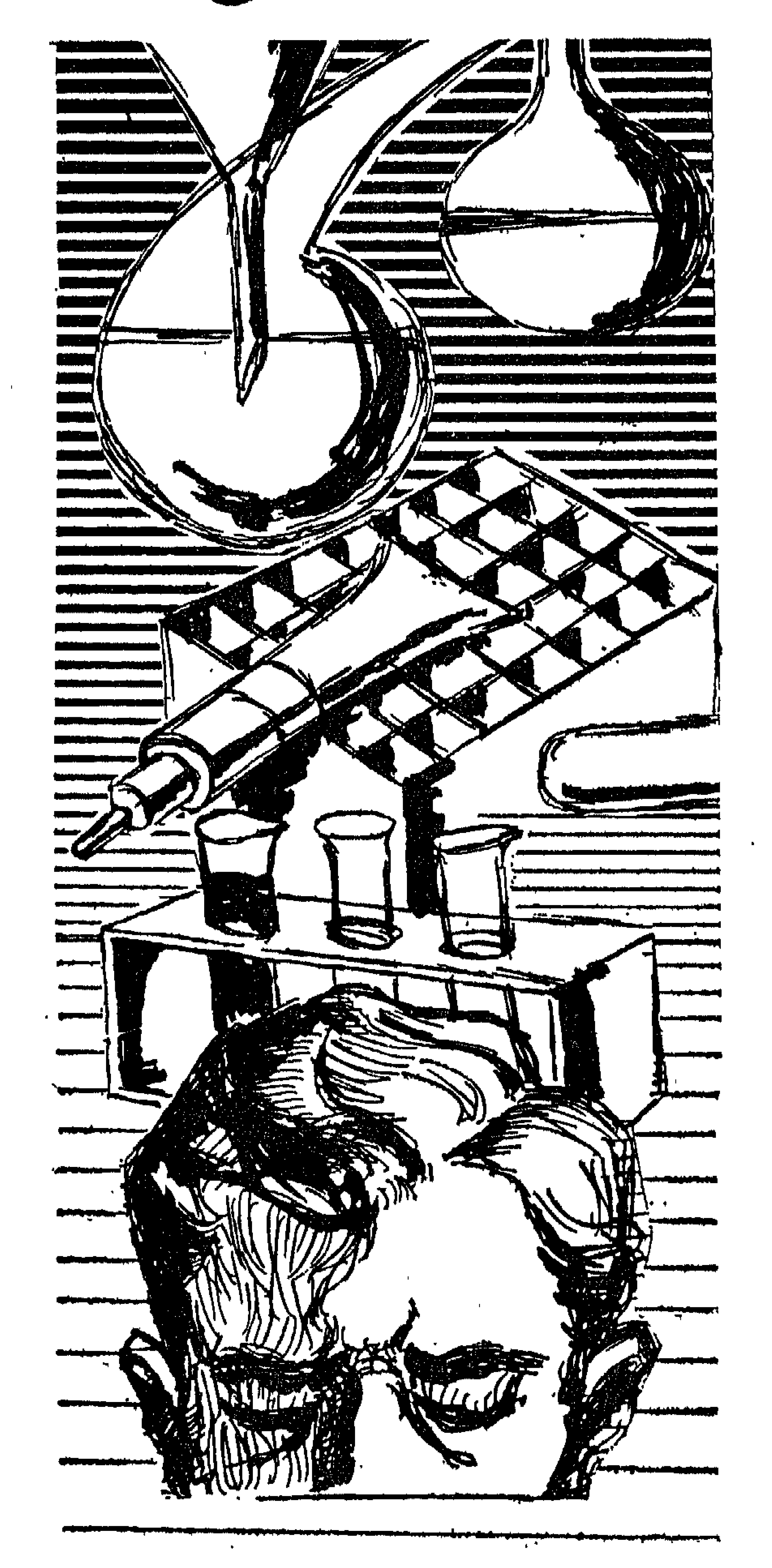
ومع ذلك لم يفقد الخط الكوفى قيمته الزخرفية : فقد ظل يستخدم ــ ولو على نطاق ضيق ــ الى جانب الخط النسخ فى الكتابات الأثرية والزخرفية .

ولا يزال الخطان محتفظين بهذه المكانة حتى عصرنا الحاضر .



الناس أجدر بالايمان في عصر العلم

الدكتور محمد جمال الدين الفندي



عندما نشر مقالي الأول بهذا العنوان ، أقبل الى زميل كريم يجادلني بقوله : « ما هذا الذى تدعى ؟ ألا ترى أن الايمان الذى تتحدث عنه مكانه القلب ، وأما العلم فيعتمد على العقل ؟ وحتى القرآن الكريم انما يستثير الشعور والوجدان ، ولا يدخل في المقدمات المنطقية ، والمقاييس الحسية ! ليس من شك أن كل شخص من البشر يمكن أن توجه الحديث الى قلبه ، ولكن لا يصلح كل فرد لأن توجه الحديث الى عقله » .

قلت : اعلم يا سيدى ، أنه كما أغلقت عقول بعض أفراد البشر لسبب من الأسباب ، قد يكون الجهل أولها ، أغلقت قلوب البعض الآخر ، وتحجرت حتى صارت لا ترى الحقائق بحال من الأحوال ، ولا تلين ، ولا تعرف للخير سبيلا وكأن على قلوب أقفالها ٠

والقرآن لم يخاطب القلوب السليمة ولم ينفذ الى الضمائر الحية فحسب ، بل هو أيضا الى جانب ذلك أقنع ذوى العقول المفكرة، وأهل البصيرة النيرة ٠ وانك لتجد كثيرا من الآيات تعلى قيمة العلم ، والعلماء ، وتتناول المقدمات المنطقية ، والقيم الجدلية ، مثل قوله تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » ٠

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ٠

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » ٠

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن ٠٠٠ » ٠

الى آخر ذلك من عديد الآيات التى تدور حول هذا المعنى ٠

وليس من شك أن العلم يخدم العقيدة ، وقد يبعثها اذا خلصت النية ٠ والعلم الحديث وان كان قد تباعد فى ظاهره عن فكرة الدين، وحقيقة الخالق ، الا أن علة ذلك خطأ أساسى فى التوجيه ، وعدم صواب جوهرى فى المقصد ، شأنه في ذلك شأن امكان توجيهه الى دمار الأرض وما عليها بدلا من تعميرها واصلاحها ٠

ولم يتعرض العلم الحديث لمسائل الايمان بشكل مباشر ، بل غلبت عليه النواحى التطبيقية التى تهدف الى استغلال ما يكمن بين ثنايا الكون من مادة وطاقات ، دون الخوض فى حقيقة أمرها وكيفية خلقها ، الا أن ذلك لم يكن حائلا يحول دون مشاهدة تلك النظم الرائعة ، ومتابعة تلك العناية العظمى التى تسيطر على كل ما فى هذا الوجود من جماد ، أو كائن حى ، مما يكشف عنه العلماء كل يوم ، كلما تقدم ركب العلم واتسعت آفاقه ٠

ونحن عندما نسلم بأن الايمان مكانه القلب نتساءل :

لم لا نتيح لهذا القلب فرصة تثبيت الايمان ، والاطمئنان اليه بما يقرره العقل عن طريق العلم ؟ وعلى غرار ما فعله ابراهيم عليه السلام عندما أقر ايمانه وطلب أن يطمئن قلبه عن طريق رؤية الأحياء ٠٠ « بلى ، ولكن ليطمئن قلبى » ، والناس جميعا يؤمنون بالعلم فى هذا العصر ؟ » ٠٠

لقد عالج كثير من كتاب هذا الزمان تلك المسألة ، وخاضوا فيها من وجهات نظر مختلفة ، ولعل أقرب ما نسوقه مثلا حيا فى هذا الصدد ، ودليلا على خدمة العلم للدين ، أن الاسلام الذى نادى بالتوحيد وحارب العقائد الفاسدة ، والأوهام كمعرفة الغيب ، أو التنجيم ، ووجود الأرواح الشريرة التى تتسلط على البشر الخ ٠٠ فتح هذه الميادين التى هى ذاتها الميادين التى عالجها العلم الحديث ، وخلص البشرية من أوزارها ، وأضرارها ٠

والى جانب ذلك ، يحاول العلم أن يكسب الانسان جانبا من الرفاهية ،والسعادة المادية، كما حاول الدين أن يكسبه السعادة الروحية، وهو لا يعدو أنه جسد وروح ، لا غنى لأحدهما عن الآخر فى حياته الدنيوية ٠

وانك لتجد كثيرا من رجال الدين فى الخارج ، علماء مبرزين فى ميادين العلم المختلفة ، وهذا هو الوضع الطبيعى ، ولكن عندما ينبرى أحد من المشتغلين بالعلم

الحديث عنـــدنا للكتابة الدينيـة ، لا يقره الكثير منا على عمله ، رغم ما بين الحقلين من صلة وثيقة ، وتقارب تام . فمتى يجيء الوقت الذى نسلم فيه بالتقاء العلم بالدين ؟!

تتميز مظاهر هذا العصر باهتمام النـــاس بالمسائل المادية الدنيوية وتكالبهم عليها فمنهم من لا هم له الا التمتع بلذة جمع المال ، أو المأكل والمشرب ... ومنهم من يتصارع لنيل الجاه والسلطان .. الى غير ذلك من أنـــواع الملذات التى تبعد طلابها والباحثين عنهـــا بعيدا عن الانسانية ومعانيها . وهكذا ازدادت القيم المادية الدنيوية ، وباتت كل الأعمـــال تقاس بمقاييس المادة دون سواها لدى الأفراد والجماعات .

نقول ذلك ونحن لانحتاج لضرب الامثـــال :
فليس منا من يجهل معايير هذا العصر التى نقلناها عن الغرب . متجاهلين تراثنا الروحى القديم ومبتعدين عن الايمان ، ذلك الترياق الساحر الذى طالما أسبغ على أبائنا واجدادنا ثوب السعادةوالرحمة والهناء والمحبةوالتسامح والتراحم والتواد .. وتتجلى كل هـــذه المعانى فى قوله تعالى :

((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين))

أو ليس النجاح اليوم من جمع الدنيـــا بصرف النظر عن الحلال أو الحرام ؟ أو ليس الحسن والجمال هو العرى والخلاعة ؟ أوليس التقى الورع من المتأخرين الرجعيين ؟ ثم أين الأمانة ؟ وأين الاخلاص ؟ وأين الرحمـــة بالفقير والضعيف ؟

يدعى البعض أن هذه المشاكل كلها يمكن أن تحل بالطرق العلمية ، ولكن فات هـؤلاء أن العلم وحده لا ينفع ، فأمامنا الدول العريقة فى العلم تتفكك فيها الأسرة ، ويتزايـــد فيها القلق ، فتهرع الى معدات الحـــرب والدمار تتفنن فى صنعها . استعـــدادا للمجازر البشرية والقضاء على معالم الانسانية ، بل وعلى حضارة الانسان بأسرها .

والحـــق أنه لا ســـبيل الى تـلافى تلك الكوارث التى يمكن أن تحل بأهـل الأرض بين لحظة وأخرى الا بالرجوع الى الايـــمان ودستور السماء ، ان العلم لا يغنى عن الايمان فى هذه الميادين كلها ، خصوصا اذا ماستغل فى أعمال الارهاب والتدامير ووجه توجيهـــا خاطئا على النحو الذى نرى بوادره اليوم .

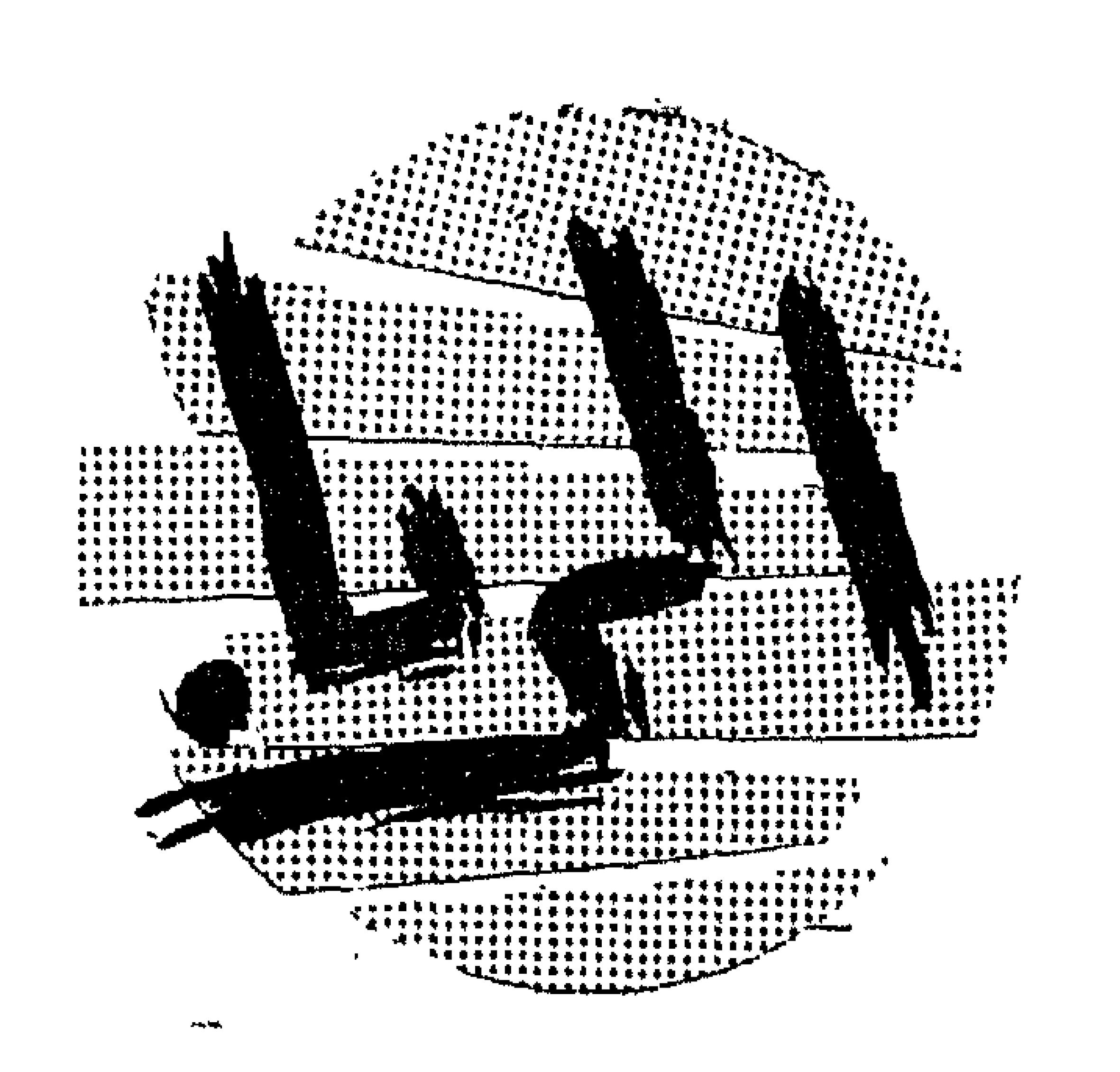
ان الايمان يجعلنا نبصر الدنيا على حقيقتها ، ونسبغ على الانسانية معانيها الصائبة ، ونقيس الأمور بمقايسها السليمة ..بينما يهييءلنا العلم فرصة استغلال مافى الكون من قـــوى وطاقات ويكشف لنا عما انطوى بين أركانه من اسرار هى قبل شىء آيات بينات يتجـــلى فيها الخالق . ويظهر جانبا من قدرته ورحمته

وهكذا نرى أن السعادةالبشرية التى يوفرها العلم لاتستقيم ولاتكتمل الا بالمزيد من الايمان والتسليم لوحى السماء .

((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين .))

هنا يجدر بنا أن نقف قليلا نتأمـــل تلك المعانى العظيمة التى تتضمنها هذه الآية : اننا ولاشك يجب أن نستمد من القرآن ضـــوء الحياة فى موكب الحضارة التى بهرت أبصارنا وما أحوج الناس الى ذلك فى عصرنا هـــذا وهم فى اضطراب يتطلعون الى مرفأ يـؤوى وهم فى حيرة والحاد وحروب وأحـــقاد ، يبحثون عن بلسم يشفى ، ولكن لاسبيـــل لهم الى ذلك الا بالرجوع الى حظيرة الايمان ، والى القانون السماوى الذى أنزله الله عـــلى رسوله فى صورة كتاب عربى مبين ، يرسى أسس الانسانية الفاضلة ، ويقرر مبادىءالعدل والمساواة ، ويصرف الأذهان الى ثواب الآخرة وحسن ثواب الدنيا .

لمـــاذا حـــرّم الله



الأستاذ عيسى عبده ابراهيم

مناط البحث :

يبدو أن معرفة الانسان بتـــاريخ آبائه الأولين تقف عند حد قريب نسبيا ، يتراوح بين ستة آلاف عام وسبعة آلاف ٠٠ لأن الآثار التى تركها هؤلاء شاهدة على نمط المعيشـــة وصور المعاملات والقواعد المرعية فيها ٠٠ لا ترقى فى التاريخ أكثـــر من ذلك ٠ ولا نريد الحفائر والبحوث الجيولوجية التى تقـــدر لبعض الهياكل البشرية أعمـارا تعد بالألوف وبالملايين من السنين ٠٠ ولكن نريد المجتمع القريب من ظهور الأديان تباعا ، أو ما يعرف بالتاريخ المرصود ٠ وفى هذه الآلاف القريبـة من السنين التى قدرها العلماء بمـا تقـدم بيانه ٠٠ شواهد على أن الربا كان معروفا بين الناس ، لأنهم مارسوه من جيل الى جيـــل ٠ وحين جاءت الأديان بنصوص تحرمه كف عنه قليل من الأولين وقليل من الآخرين ، وبقيت الكثرة تمارسه فى صور شتى : بعضها جـلى وبعضها يتوارى من وراء حجاب ٠

وبنزول القرآن الكريم استقر التحـــريم بنصوص صريحة ٠٠ ولكن الانسان لا يعـدم الحيلة ، اذ هى ميزة له على سائر الخلائق ٠٠ ولذلك تحول الجدل فى ظل الاسلام الى سؤال تقليدى بدأ من فجر الاسلام وظل بغير جواب شاف الى يومنا هذا ٠٠ ذلك قولهم : اننا لا نجادل فى تحريم الربا ، ولكن ما هو الربا ؟

اذن نحن الآن نواجه سؤالا محددا ، اذا وصلنا فى مناقشته الى اجـــابة يطمئن اليها المنطق السليم ، زال بعض الغمـــوض الذى اكتنف هذه المشكلة قبل الرسالات وبعدها ٠٠ بل فى يومنا هذا وفى الغد القريب ٠

أساليب البحث :

بالرجوع الى الآثار العلمية فى هذا الموضوع نجد خلافا واضحا بين الآراء ، ولكن صاحب الرأى ـ أيا كان ـ يدعى أنه لا يهـــدف الا لتحقيق الصالح العام ، ممثـلا فى تيســـير المعاملات ـ وتنشيط الأحـــداث الاقتصادية الجارية حتى لا تعود أرزاق الناس ضيقة ٠٠ يستوى فى ذلك القائلون بالتشدد والقائلون بالتسامح ، فنحن لا نريد اذن أن نناقش أقوال الملحدين ، وانما نعرض لأهم المحاولات التى تشف عن اتجاه خير ، سواء فى ذلك أوصلت المحاولة الى تقرير قاعدة سليمة أم الى مجرد فروض ينقصها الدليل ٠

ومن أســـاليب البحث المألوفة : جمـــع النصوص ومعارضة بعضها ببعض آخر ، وفى هذا ـ طال الجدل قرونا عديدة ولم يجمـــع الناس على رأى موحد ٠ وأسلوب آخر (هو الأسلوب الغربى الحديث خلال القرنين التاسع عشر والعشرين) يعمد الى تحليل المشـــكلة تحليلا علميا خالصا لا يتقيد فيه بنص مروى ولا بخلاف حول النصوص ٠٠ ولكن هـــذا الأسلوب بدوره لم يصل الى تقرير قـاعدة واحدة تفوز بالاجماع أو ما يقرب منه ٠ وظلت

المشكلة قائمة رغم الجهود الضخمة التى بذلها العلماء المتخصصون • فمنهم - على سبيل المثال - من يقصر الربا فى صورته الحديثة على فائدة رأس المال النقدى ، على أساس أن الربا فى عروض التجارة والأموال العينية قد توقف فى ظل النظم النقدية • ومن أشهر هؤلاء الأستاذ « ألفريد مارشال » الذى يعرف الفائدة بأنها « **الثمن الذى يدفعه الانسان بالنقود نظير استعماله لمبلغ من النقود** » كأن النقود من العروض النافعة التى يجوز لصاحبها أن يؤجرها لغيره من الناس• وقد تلقف كتاب آخرون هذه الفكرة وبنوا عليها قولهم بأن فائدة رأس المال (المعروفة فى زمننا هذا) هى ظاهرة لصيقة بالنظم النقدية • بمعنى أنه ما دام المجتمع يعرف النظام النقدى فان الفائدة على رأس المال الحاضر أو السائل (بمعنى النقود) تكون جزءا متمما لهذا النظام ، ولكنها لا تتعداه الى غيره •

ومن الكتاب فى علم الاقتصاد من يذهب بعيدا جدا حين يقرر بأن الأساس العلمى للايراد فى جميع صوره هو « الفائدة » ومن هؤلاء « بول صامولصون » الذى يقول : « **اذا أمكن اعتبار الانسان سلعة يجوز عليها البيع والشراء بنص تشريعى ، فان مالك الرقبة يملك الثمرات التى تؤتيها •• ومن ثم تكون جهود الرقيق طوال حياته من حق مالكه ، وعندئذ يمكن تقديرها بطريق التمويل، وتعتبر الأجور عندئذ نوعا من الفائدة •• ومن ثم يجوز لنا أن نعتبر مصادر الايراد القومى كله من قبيل الفوائد على رأس المال** » ذلك أن « صامولصون » هذا ، يعتبر نظام الفائدة أساسا حتميا لكل ايراد ولا يستثنى الا الأجور التى تدخل فى نطاق الفائدة بشرط واحد هو اقرار القوانين الوضعية لبيع الانسان بيع السوائم •

ومع أن القلق فى دراسة الربا وفائدة رأس المال بالأسلوب العلمى الخالص (البعيد عن مناقشة نصوص التحريم والتحايل على الاباحة) لا يزال شديدا •• فان الأبحاث التى تجمعت بهذا الأسلوب قد أمدتنا بأضواء فاحصة كشفت عن كثير من الغموض ومهدت لمزيد من تعمق النظرية العلمية وفهم النصوص التى لا يرقى اليها الشك وأولها وأهمها آيات القرآن الكريم •

أهمية البحث :

تعارفت سوق رأس المال المنظمة على سعر الفائدة التى تستحق على الودائع وما فى حكمها، وأصدر البنك المركزى (استنادا للمادة ٣٧ فقرة د من قانون البنوك والائتمان) قرارا فى ٢٤ من يونية سنة ١٩٥٨ بتعيين الحدود القصوى لأسعار الفائدة التى تدفعها البنوك التجارية لأصحاب الودائع من عملائها •• وتراوحت هذه الأسعار بين ١ ¼ ٪ و ٣ ٪ على تفصيل يعنى به المشتغلون بتنظيم الائتمان • ولكن هذا النص التشريعى لم يزد على تقنين ما كان العمل جاريا به فى ظل اتفاقية اتحاد البنوك • واذا تتبعنا الاحصاءات لوجدنا أن معظم الفوائد التى يحصل عليها المودعون تدور حول ٢ ٪ أو تقل عن ذلك ، ونادرا ما يصل البنك الى الحد الأقصى المسموح به • هذا فى السوق العربية •

واذا أخذنا صورة أخرى من سوق عالمية هى السوق الأمريكية لدلتنا الاحصاءات على أن الفوائد الدائنة لا تخرج عن الحدود التى تقدم بيانها ، وبالمثل فى سوق لندن • وأما الأرباح التى توزعها المصارف الأهلية فى أسواق الغرب فقد دلت الاحصاءات الحديثة لفترة طويلة من عام ١٩٢٩ الى عام ١٩٥٥ •• على أن تناقصت من ٦ ٪ الى ٣ ½ ٪ على حين أن أرباح المشروعات التجارية والصناعية تحقق أرباحا تزيد على هذا القدر أضعافا ، وفى هذا

معنى ضمنى هام يتلخص فى أن توظيف رءوس الأموال فى أسهم المصارف لا يهدف الى الحصول على ربح مناسب يجىء صاحب رأس المال من الفائدة ٠٠ بل يهدف الى ما هو أبعد من ذلك كالتحكم فى السيولة والهيمنة على المشروعات عن طريق التمويل ٠

واذا رجعنا الى القوانين الوضيعة التى تقر ما يسمى بالفائدة القانونية لوجدناها تجربة قريبة العهد بدأت مع أوائل القرن التاسع عشر حول عام ١٨٣٣ ولا تزال الى الآن مجرد تجربة يسودها التخبط والفوضى ٠٠ بدليل أن السعر القانونى يتراوح بين ٦ ٪ فى السنة و ½ ٣ ٪ فى الشهر الواحد (أى ما يقرب من ٤٤ ٪ فى السنة) وتظل الفائدة ـ مع ذلك ـ قانونية ٠ ونجد أيضا أنه فى حالات معينة نصت عليها التشريعات الغربية ٠٠ لا يمكن الدفع فى مواجهة المقرض بأنه يتعامل بالربا مهما ارتفع سعر الفائدة ٠٠ على تفصيل يجىء فى موضعه من حلقات تالية ان شاء الله تعالى ٠

وجملة القول : أن المعاملات الربوية وما يعرف بالفائدة القانونية قد خضعت جميعا لدراسات كثيرة من القرون الوسطى الى يومنا هذا ٠٠ ولا يزال الكتاب يختلفون كما أن التشريعات الحديثة المعمول بها فى أكثر البلاد تقدما هى نوع من الفوضى المذهلة ٠٠

ولكن ما هى أهمية البحث للقارىء العادى ؟ أفلا يجدر بمثله أن يظل فى محيط دراسات التخصص بالمعاهد والجامعات ؟

ثم ما هى مصلحة القارىء المسلم فى أن يعنى بدراسة كهذه وقد علم بأن فى الدين سماحة وفى بعض الآراء التى نشرت ما يفرق بين الربا والفائدة ، فيحرم الأول ويجيز الثانية للضرورة ؟

هذا سؤال تنبغى الاجابة عليه كتقديم بين يدى بحث عسير مطول ٠٠

قيل بأن فائدة رأس المال مسألة فيها نظر ، اذ هى صورة مستحدثة لا شأن لها بربا العهد ، وهى فوق ذلك ضرورة ملزمة لتحقيق مصالح الناس ٠٠ هكذا قيل ٠ وقيل أيضا بأن فى كتاب الله آيات تسمح بمثل هذا التضييق فى مجال التحريم كقوله تعالى « **وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه** » ٠ وبقيت فائدة رأس المال موضع الشك والارتياب فى نفوس الكثرة الغالبة ٠٠ يدعوهم الايمان الى طلب مزيد من الايضاح ان كان التحليل صوابا ، أو مزيدا من الحجج الدامغة على أنه لا مصلحة ولا اضطرار ٠٠ ولا أريد أن أتعجل الحكم ، ولكنى سأبدأ بسؤال يبين لنا أهمية البحث بل خطورته البالغة على سلامة المعاملات ، وبيان ذلك :

لنفرض جدلا (ومؤقتا) أن فى الحكم على نظام الفائدة شكا يسمح لنا بالابقاء عليه ٠٠ فهل فى الزكاة شك أيضا ؟

سأجيب بما يرضى كل وجوه الرأى المتعارضة فأقول :

فلنسلم (مؤقتا أيضا) بأن اقتضاء الفائدة على الودائع ضعيف التحريم أو فلنفرض ان الفائدة حلال ٠٠ ثم نتابع النظر ونضرب الأمثال ٠٠أودع زيد من الناس ألف جنيه لدى بعض المصارف وحصل على فائدة مقدارها ٢٥ جنيها فى آخر العام ٠٠ بنسبة ½ ٢ ٪ وهى نسبة معتدلة رقيقة لا تشبه تضعيف الربا وجسامته ٠٠ فهل سيدفع زيد هذا زكاة المال عن الألف والخمسة والعشرين (بعد استبعاد النصاب أم لا يدفع ؟ فان أخرج الزكاة (وهى فريضة بالاجماع) فكم يبقى له من ماله ؟

الجواب واضح وهو يكل ببساطة أقل من الف جنيه ٠

يترتب على ذلك أن القائلين بمشروعية فائدة رأس المال على ودائع البنوك وصناديق

التوفير والسندات .. قد فاتهم أن يقرنوا بين نظام الفائدة الذى يريدونه حلالا للضرورة والمصلحة .. وبين أحكام الزكاة .

وفاتهم أنهم بقولهم هذا يصمون الاسلام بأنه دين يدعو للتبلد وتفتيت الثروة ، مع أن تجميع الطاقات والموارد شرط للنماء الذى يواجه رفع مستوى المعيشة وتزايد السكان .. فاتهم أن حكمة تحريم الربا المحدد بجميع صوره وان كان مقطوعا سلفا أو عند الأجل.. لا تفهم الا اذا جمعنا بين تحريم الربا وفرض الزكاة لتقدير المستوى الرفيع الذى يريده الاسلام للنشاط الاقتصادى .

***

اذن هذا الافتاء فى دين الله بمشروعية فائدة رأس المال يؤدى بأموال زيد وعمرو حال ايداعها فى المصارف وتوظيفها بالسندات .. الى التناقص بقدر ما تزيد الزكاة على ثمرة المال . وهذه صورة بالغة الهوان فى النظم الاقتصادية التى لا يتخذها الناس الا لدفع عجلة الانتاج وتنمية الموارد ورفع مستوى المعيشة .

والاسلام لا يشجع الفقر والمسكنة ، وانما يضع للمؤمنين به تخطيطا رائعا يجمع بين الاجتهاد والكسب .. كما يجمع بين التراحم وتنزيه المعاملات عن التظالم .

فان بقى ريب عند صاحب المال من أمر الفائدة التى أحلها بعض الناس .. فليسأل نفسه ما هى الثمرة ؟ اذا استمر على توظيف ماله بالفائدة الثابتة وأتت الزكاة على الثمرة وبعض رأس المال ؟

أهو تثمير اذن ما يدعو اليه الاسلام أم هو الركود والتفتيت ؟

ولهذا قلت بأن البحث جد خطير ، ويمس حياة كل منا فى ثروته وايراده وهذه عروض زائلة ولكنها مقومات الحياة الدنيا .. كما يمس دينه وموقفه يوم الحساب « **يوم لا ينفع مال ولا بنون** » .

ولكى نقدر التخطيط الاقتصادى الرفيع (بل المنقطع النظير) الذى جاء به الاسلام لتنظيم شئون الناس حال تدبير المعاش ... لا بد لنا أن نفهم الثروة والدخل . والنظم النقدية وأثرها فى الرواج والكساد . لا بد لنا أن نفهم الكسب المشروع ، ما هو ؟ وهل الانتظار صورة منه ، والانتظار هو بعض مسوغات نظام الفائدة ، ولا بد لنا أن نعلم ما اذا كان بعض علماء الاقتصاد قد وصل بالتحليل العلمى الدقيق الى توهين الفكرة الشائعة عن أهمية نظام الفائدة .

وهذه فروع لبحث واحد ، ولا يمكن تقدير الحكمة من تحريم الربا قليله وكثيره الا بالمامة سريعة بكل ما تقدم .

لهذا يتعين عرض الموضوع تباعا ، وفى كل حلقة سنبين صلة القضية الجزئية بالمشكلة الرئيسية .

وفى متابعة هذه الحلقات ، ما يلقى بعض الضوء على حكمة التحريم ، لتحقيق المصلحة فى ارفع المستويات .



باحثة البادية

الرائدة المسلمة

بقلم

الأستاذ على الجمبلاطى

باحثة البادية رائدة من رائدات نهضة المرأة المصرية ، بل المرأة العربية والمرأة المسلمة ، وجدير بنا أن نحيى ذكراها بعد ثلاث وأربعين سنة مضت على وفاتها ، فنذكر كفاحها حينما نرى عشرات الألوف من بنات جنسها ، ينعمن بنعمة العلم والثقافة التى كانت ميزة نادرة لها ، وحينما نرى مئات من جنسها يؤدين فى الدولة أعمالا كانت أشبه بالأحلام للمرأة فى عصرها ، وخليق بنا ـ ونحن نرى البذرة الطيبة التى بذرتها فى حقل الاصلاح ، تكافح فى سبيل النماء ، حتى قدر لها « أن تخلع يبسها ، وتظهر قوتها ، وتطلع فوق الأرض بزهرتها وريعها ونضرتها ونمائها » ـ أن نقول « أيها الرجال قولوا للنساء : اننا نكرم النساء العالمات كما نكرم أعظم الرجال » .

ولقد كان اسمها عنوان نهضتنا النسائية الجديدة ، واسمها « ملك » كريمة الأديب الشاعر المعروف ، واللغوى المحقق « حفنى ناصف » ، أما باحثة البادية فقد غلب عليها، حين أخذت تنشر مقالاتها « النسائيات » فى الصحف ، وتوقعها بهذا اللقب . وقد ولدت بالقاهرة فى الاثنين من ديسمبر عام ١٨٨٦ ، وقد ورثت « ملك » من أبيها صفاته وجده ، وأعجبت بأدبه ، ووجدت فى بيتها مكتبة زاخرة بنفائس كتب الأدب والقانون ولقد أدخلها والدها مدرسة من المدارس الأولية « كتابا » فتلقت فيها مبادىء العلوم ، ثم دخلت المدرسة السنية الابتدائية فى أكتوبر ١٨٩٣ ، وكان أبوها مضطرا ـ بحكم وظيفته ـ للانتقال فى الريف ، فأدخلها القسم الداخلى بتلك المدرسة، ووصلت «ملك» الى السنة الرابعة. وهنا بدا لنظارة المعارف أن تجرب مساواة البنات بالبنين فى دخول امتحان الشهادة الابتدائية، فسمح لها بدخول هذا الامتحان . وكانت فى الرابعة عشرة من عمرها فحصلت على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠ ، وكانت أولى الناجحات ، وشاء لها الحظ أن تسير فى الشوط الى نهايته ، فأعدت النظارة قسما للمعلمات مدته خمس سنوات ، فانتقلت اليه ونالت دبلومه ، وكانت أولى زميلاتها ، فاشتغلت بعد ذلك بالتعليم فى مدارس البنات الأميرية ، ومنحت نفسها لمهنتها . وفى ٢٨ من مارس ١٩٠٧ ، اقترن بها العربى الصميم وجيه قبيلة الرماح بالفيوم « عبد الستار الباسل » . وكانت قد بلغت العشرين . وفى تلك الحياة الجديدة تلقت دروسا شاء القدر أن تكون دروسا عنيفة ، جربت فيها الرجل وقسوته واستبداده بالمرأة، وجربت فيها ما يمكن أن تصنعه المرأة العاقلة لرد رجلها الجامح ، وتستهين بالضرة والضر والاهمال . وبينما الحرب العالمية الأولى مشتعلة ، والمحتل يشدد قبضته على البلاد ، كانت تفكر فيما يجب أن تعمل حين تزول شدة هذه الحرب ، ولكنها أصيبت بالحمى الأسبانية ، فأتت الى القاهرة من الفيوم ، ولكن القضاء حم ، فوافاها الأجل فى مساء الخميس ١٧ من أكتوبر عام ١٩١٨ ، ولم تكن جاوزت أكثر من اثنين وثلاثين عاما مليئة بالعمل والجهاد ، **ولقد كان للباحثة مركز فريد فى الحركة الفكرية عندنا ، بعد أن قام قاسم أمين بتحرير المرأة ، وباعطائها ما لها من حقوق أدبية واجتماعية ، قامت هى تؤيد كلامه ، مظهرة أهلية المرأة وكرامتها ، ودرجة ارتقائها العليا التى يمكنها تسنمها ، قامت**

هذه المرأة العبقرية ابنة الرجل الكبير تدرس أحوال البيئة المصرية ، فكان لها من ذكائها الفطرى ، ومن شعورها العميق ، ومن قلمها العربى الصميم ما جعلها الرائدة الصادقة ، وقد رأت حاجة قومها الى الاصلاح ، فصاحت صيحة لا يزال يرن صداها ، وظلت تكتب وتخطب ناشدة الاصلاح ، وهى المرأة المسلمة الواحدة التى فعلت ذلك فى وسط ما يزال رجعيا فى ميوله ، بشجاعة وكفاية وتفوق لم ينل منها شيئا انتقاد الناقدين وتعنت المتحزبين ، كانت شديدة الحب لقومها ، شديدة الغيرة على دينها ، شديدة الألم لما تراه من سماة التخلف والتأخر فى البيئة المصرية • ومجموع هذه العواطف ، من حب وغيرة وألم كان يتخلل كل ما تكتبه كأنين ينقلب زئيرا عند الآلام الموجعة • وكذلك يتألم صاحب العقل والقلب الكبيرين ، كأنما هو يتألم عن أمة بأسرها ، **ولقد كانت باحثة البادية ، هذا المزاج النسائى ، وهذه الذاتية الأدبية ، وهذه الكاتبة التى لم تدون أفكارها الا تحت التأثير فى ساعة الانفعال ، تمثل المرأة المسلمة ، والمصرية ، والزعيمة ، والناقدة ، والمربية ، والمصلحة ، وهى تبرز قيمة عليا فى كل دور من هذه الأدوار** • فيمكننا أن نقدرها ، ونحب من وراء حجب الموت تلك الذاتية النادرة ، التى اختبرت البيئة المصرية، ودرست المرأة المصرية فى جميع أطوارها ، وأصابت فى لمس مواضع النقص ، وتشخيص العلل القومية، وكذلك رأت ببصيرتها النقية أكثر طرق الاصلاح اعتدالا ، وأقربها اتفاقا مع سير الارتقاء الطبيعى • وقارىء مقالاتها « النسائيات » يقف على خطتها الاصلاحية الرشيدة ، حيث لا يكون الرجل جائرا مستبدا ، ولا المرأة ساقطة متمردة ، بل يتصافى الاثنان فيسيران فى سبيل الحياة ، وقد جعلهما التفاهم متغلبين على المصاعب ، متعاونين على تبادل المنفعة والسعادة •

ولقد توافرت فى الباحثة مقومات الرياسة والزعامة ، توفر فيها الذكاء ، والعقل ، وانكار الذات ، والعلم ، كما توفرت فيها الجرأة والاعتزاز بالنفس ، ومحبتها لقومها ، وبنات جنسها ، فقامت ترتاد الميدان بعد قاسم كما قدمنا فى تؤدة وملاينة ، حتى لا تقف أمام التيار الذى رمى قاسما بالكفر والالحاد ، ولا سيما أن الشك فيها يكون أكثر ، لأنها امرأة تدعو لبنات جنسها ، وهكذا نجحت كرائدة لا تتحيز اذا حكمت ، ولا تميل اذا واجهت ، هى للجميع ، ورائدها صالح الجميع ، فاستهدفت من حركتها اصلاح المرأة ، واصلاح الرجل معا ، وكانت مقتنعة برسالتها ، مؤمنة بها، وبذلك الايمان تجردت للاصلاح • ولذلك يقول عنها فضيلة الشيخ عبد الكريم سلمان : « **أى بنية أخى انى أراك قد نبغت بين قريناتك ، واتخذت لك طريقا لم يسلكه قبلك منهن ولا واحدة ، فكنت لهن قدوة صالحة ، فكثر بوجودك بينهن عدد الكاتبات القارئات المتعلمات** » •

والذى يعنينا هنا فى الحديث عن باحثة البادية ، التى برزت شخصيتها ، فأعلت شأن بنات جنسها ، وشغلت فى حياتنا الأدبية ، وفى حياة المرأة الشرقية ، مركزا ساميا جليلا ، انما هو الجانب الاسلامى ، ولذا نستمع أولا الى رأى أستاذين جليلين فيها أولهما الشيخ عبد العزيز جاويش « **واذا شئنا أن نضرب مثلا للمجاهدات ، والصالحات ، فاننا لا نجد أحسن من تلك السيدة الفاضلة ، التى بنت نصائحها على الاسلام ، وحرصت على تقاليد المسلمين** » وثانيهما أستاذ الجيل « **لطفى السيد** » « **ولو صح نظرى ، لكانت قاعدة بحثها فى تحرير المرأة ، قاعدة الاعتدال ، ورائدها فى ذلك هو الشرع الاسلامى** » •

وقصارى القول أن باحثة البادية ، قد أجادت كل الاجادة فى أن جعلت أساس بحثها تقرير المساواة ، لا على جهة الاطلاق ، بل فى حدود الاعتدال والدين •

وباحثة البادية مسلمة الى الحد الذى تجعل فيه الدين الامام فى كل شىء ، هى مسلمة شغوف بدينها ، تغار عليه ، والاسلام ظاهر فى كتاباتها ظهورا جليا ، وقد كانت كما قالت عنها رفيقتها فى الدراسة السيدة نبوية موسى — معروفة بالورع بين أخواتها المسلمات ، هى مسلمة لحد ادخال الدين فى كل أمر من

الأمور ، سياسيا كان ، او اجتماعيا ، أو أخلاقيا ، حتى مسائل الأزياء والزينة ، وأسلوب المحادثة ، ومما قالته فى هذا الأسلوب بين الزوجين : « **وهناك أخرى تقول لزوجها : (حضرتك أو سعادتك) فما هذا التكلف البارد ؟ اننا بتسميتنا فلانا بصاحب العزة ، وتلقيبنا أحد الملوك بصاحب الجلالة ، لنكفر ونلحد ، فما صاحب العزة ، وذو الجلالة : الا الله الواحد القهار ، ولو أنصف كتابنا ، لحذفوا تلك الألفاظ الدالة على الشرك من كتاباتهم وأقوالهم** » واذا ما وقفت على بدعة مستحدثة ، ورات أمرا جديدا ، سارعت الى استجواب نفسها : هل فى ذلك ما يغاير الأوامر الدينية ؟ واذا ساد نظام بين القوم ، دون أن يكون مقررا فى نصوص الشريعة السمحاء ، فهى لا تحفل به ، وقد حملت بسلاح الدين على ما اتجه اليه الأغلبية حينذاك ، من تعليم بناتهن الرقص ، والتمثيل ، وذلك لأنه مناف للدين الاسلامى ، هادم للفضيلة وأوجبت محاربته ، واظهار الاحتقار لمن تفعله من المسلمات فقالت : « **لا أعلم عند الفرنجة عادة تساوى الزاد ، الا مخاصرة الرجال فى الرقص ، وما يتبع تلك العادة من التهتك ، والتصنع ، والميل عن جادة الصواب ، وما ينشأ من اباحتها المطلقة بلا قيد ، ولا وازع من الضرر البليغ ، والاخلال بالشرف ، وأدهى من ذلك أن ينشر مذهب حرية الاعتقاد ، وهو مذهب من لا يصدق بالله ، ولا باليوم الآخر ، فيزعمن أنهن يجتنبن الرذائل بمحض ارادتهن ، وتربيتهن ، ولكن هل اذا منعت الفضيلة امرأة عن اتيان ما لا يرضى ، فهل يصح أن تطبق هذه النظرية على كل امرأة ؟ « ان النفس لأمارة بالسوء » ولقد تقدم على كثير من الموبقات ، لولا الضمير الحى ، وهو ثمرة الوازع الدينى ، أفلا يعقلون ؟ أرانا لا نتمسك شديدا بديننا ، وهذا بدعة ، وعدوى أتتنا من الغرب ، أو كلما رأينا انسانا يفعل شيئا حاكيناه ، وان كان فى ذلك خسارة ديننا ودنيانا ؟** كما احتكمت الى الدين فى مسألة الحجاب ، والسفور فقالت :

أما السفور فحكمة فى الشرع ليس بمعضل
ذهب الأئمة فيه بين محرم ومحلل
ويجوز بالاجماع منهم عند قصد تأهل
لبس النقاب هو الحجاب فقصرى أو طولى
فاذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألى
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لمقولى
لا أبتغى غير الفضيلة للنساء فأجملى

واذا نادت بالاصلاح العائلى ، استشهدت بالله متهددة الظالمين وقالت « **ألا فلينتبه الرجال لذلك ، وليتقوا الله فى نسائهم ، وأعراضهم ، وليعلموا أن التقوى مطلوبة فى السر والعلن ، وأن الله يرى . ياقوم : تداركوا الأمر قبل فواته ، فان كنتم ترضون لنظام بيوتكم بالاختلال ، وللثقة بينكم وبين ازواجكم بالضياع ، ولأمتكم بالتأخر ، فاستمروا على فسادكم ، وان كانت فيكم بقية غيرة وحمية ، وتحبون وطنكم كما تدعون ، فأصلحوا أحوالكم تصلح حال نسائكم ، وسنوا سنة صالحة لأبنائكم ، وبناتكم ، من بعدكم ، يكن لكم أجرها الى يوم الدين ، ولله عاقبة الأمور** » .

وترى هى فى رسالتها : أنها التوجيه والارشاد للمرأة ، فتصنع لها المقطوعات ، التى تساير تعاليم الدين من الاعتصام بالصبر ، والرضا بالقدر ، وأن سعادتها فى العطف على البائس ، والمحروم فتقول :

اصرفى ما استطعت عنك الهموم
وأحذرى الحزن والأسى أن يقيما
قدرى ان أصابك الشر يوما
أن ما زال عنك كان عظيما
واذا ما أصبت فى الدهر مالا
فاذكرى فاقدا له محروما
فتعيشى بغبطة وهناء
ويكون الشقا لديك نعيما

وقالت فى اصلاح طريقة الزواج ووجوب اجتماع الخطيبين ، بحضور محرم قبل عقد الخطبة ، استنادا الى ما كان يعمل به فى عهد

رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصحابته « **يرى أكثر عقلاء الأمة : أن لا بد للخطيبين من الاجتماع ، والتكلم قبل الزواج ، وهو رأى سديد ، لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة يفعلون غيره ، وهو متبع عند جميع الأمم بأسرها، وأن يتراءى العروسان ، ويتكلما بعد خطبة النساء المتبعة ، وقبل العقد ، ويجب ألا تظهر العروس الا مع محارمها ، وتكون فى أبسط لباسها** » .

وتستمد نصائحها للمرأة ، من المبادىء السامية للدين القيم من الحياء ، والايمان بالله ، والصلاح ، والتدين ، والوفاء ، ففى ذلك خيرها ، وما يرجوه الناس منها فتقول :

ان الفتاة حديقة وحياؤها
كالماء موقوفا عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسى
حللا يروق الناظرات رواؤها
ايمانها بالله أحسن حلية
فيها فاما ضاع ضاع بهاؤها
لا خير فى حسن الفتاة وعلمها
ان كان فى غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها . انما
للناس منها دينها ووفاؤها

وآمنت بما آمن به أرسطو من « **أن عقل الطفل كالشمع اللين ، يكيفه المعلم كيفما أراد** » فجهرت برأيها فى مدارس الراهبات ، وقالت : « **وهذه الفئة الجاهلة الدعية بالعلم ، هى ولا شك فئة خريجات مدارس الراهبات ، وان احداهن لتسمعك تاريخ فرنسا ، ولا تكاد تأخذ نفسها من سرعة الالقاء ، واذا سألتها عن عمر بن الخطاب ، أو صلاح الدين الأيوبى ، وأضرابهما من حماة الاسلام ، قالت لك لا أدرى** » .

وموضوع تعدد الزوجات ، التى ترى فيه الظلم البحت ، والاستبداد الأقصى ، ولا تبرره الا اذا تعذر عيش الرجل هنيئا مع زوجته الأولى ، تتحدث عنه بتقديم صورة للضرتين فى كتابها « النسائيات ص ٢٨ » واذا قالت بوجوب الطلاق ، فما ذلك الا لأنها ترى فيه ما يخفف شقاء المرأة ، وتخرج من ذلك بدروس أخلاقية فى « ص ٢٩ من كتاب النسائيات » وقد قالت بتعليم المرأة أصول الدين مرة بعد مرة ، فجهرت بمطالبها فى الخطبة الأولى ، التى ألقتها فى نادى حزب الأمة ، ثم جعلتها أساسا لاقتراحات قدمتها الى المؤتمر الاسلامى المصرى ، فقالت فى المبادىء التى تختص بتعليم الدين « **١ ـ وجوب تعليم البنات الدين الصحيح ، أى تعاليم القرآن والسنة الصحيحة ٢ ـ تعويد البنات من صغرهن الصدق ، والجد فى العمل ، والصبر ، وغير ذلك من الفضائل ٣ ـ اتباع الطريقة الشرعية فى الخطبة ، فلا يتزوج اثنان قبل أن يجتمعا بحضور محرم** » **ثم جاء فى اقتراحاتها للمؤتمر ما يأتى** : « **١ ـ وجوب ذهاب النساء فى المدن والقرى ، لحضور الصلاة ، وسماع الوعظ فى المساجد ، تربية للوازع الدينى ٢ ـ تلزم جميع مدارس البنات ـ أميرية ، وأهلية ـ بتعليم الدين الاسلامى تعليما صحيحا ، لأنه وان كانت تعطى بها بعض الدروس فى الديانة، الا أنها كالعدم ، مع أن الديانة من ألزم ما يكون للبنات ، لما تغرسه فى نفوسهن من الأخلاق القويمة ٣ ـ يحسن أن يكون فى كل مدرسة للبنات سيدة ، مسلمة عاقلة ، وظيفتها أن تراقب الفتيات فى أخلاقهن ، وسيرهن ، واتباع أمور دينهن ، وتكون لهن اماما فعليا، ومرشدا حكيما فى أحوالهن ٤ ـ السعى فى تقليل تعدد الزوجات لغير داع ماس ، بقدر الاستطاعة ، فان شقاء النساء ، واختلاف الأخوة الناشئين من هذه العادة ، وما يتبع ذلك من الشقاق ، كل ذلك يهوى بالأمة فى مهاوى الفناء الأدبى. ٥ ـ الا يتزوج الرجل على امرأته ، ولا يطلقها الا باذن من المحكمة الشرعية ، كما ذهب اليه فريق من السلف ، والأولى أن يعمل بقاعدة التحكيم المنصوص عليها فى قوله تعالى « وان خفتم شقاق بينهما ، فابعثوا حكما من أهله ، وحكما من أهلها ، ان يريدا أصلاحا يوفق الله**

بينهما » أما النصوص الزائدة الآن فى الزواج والطلاق ، فضررها لا يخفى على أحـــد من المسلمين ، وحاشا للاسلام أن يكون قصد من الطلاق تبديد شمل الأسر ، وتخريب البيوت العامرة ٦ ـ منع النساء من المشى فى الجنازات البته ، ومن الاجتماع للندب ، واللطـــم ، والصراخ ، والتعديد بالطريقة القبيحة ، التى لا وجود لها الا فى مصر » ٠

وهذه الاقتراحات وضعتها باحثة البادية ، وهى أفكار تقدمية ، بعضها أخذ به ، وبعضها لا يزال ينتظر ، ولقد كانت العاطفة الدينيــة مختلطة عندها بالمعانى القومية ، والاجتماعية ، فاذا تكلمت عن الوطنية تكلمت أحيانا باسم الاسلام ، وتارة باسم الشرق « ولقد رمتها الأديبة (مى) بالتعصب ، وقالت « وذلك مما لا ريب فيه ، وكيف ينتظر أن تكون غيـــر متعصبة ؟ اليست بشرا ؟ أو ليس التعصب من أشد العواطف ملاصقة للنفس ؟ » ويظهر تعصبها ، بوجوب انطباق كل اصـــلاح على التعاليم الاسلامية ، ولقد كانت ترى أن التربية الاسلامية أفضل ألوان التربية ، التى تحفظ علينا قوميتنا وعزتنا ، فلاذت بها ، فى نثرها وشعرها ، وأوجبتها للفتى والفتاة ، فقالت فى رثاء الامام الشيخ محمد عبده :

ليبكك العلم والاسلام ما سـلما
وليذرفا الدمع أو فليخرجاه دما
والعلم والدين للجنسين مطلبنــا
فليس يختص جنس واحد بهمـا

ولقد كانت الباحثة تظن أنها ستجـــد ثمرة سريعة لجهادها ، ولكنها وجدت من تصدى لها ، وأولت مقالاتها تأويلات لا تقصـــدها ، فصاحت فى ألم :

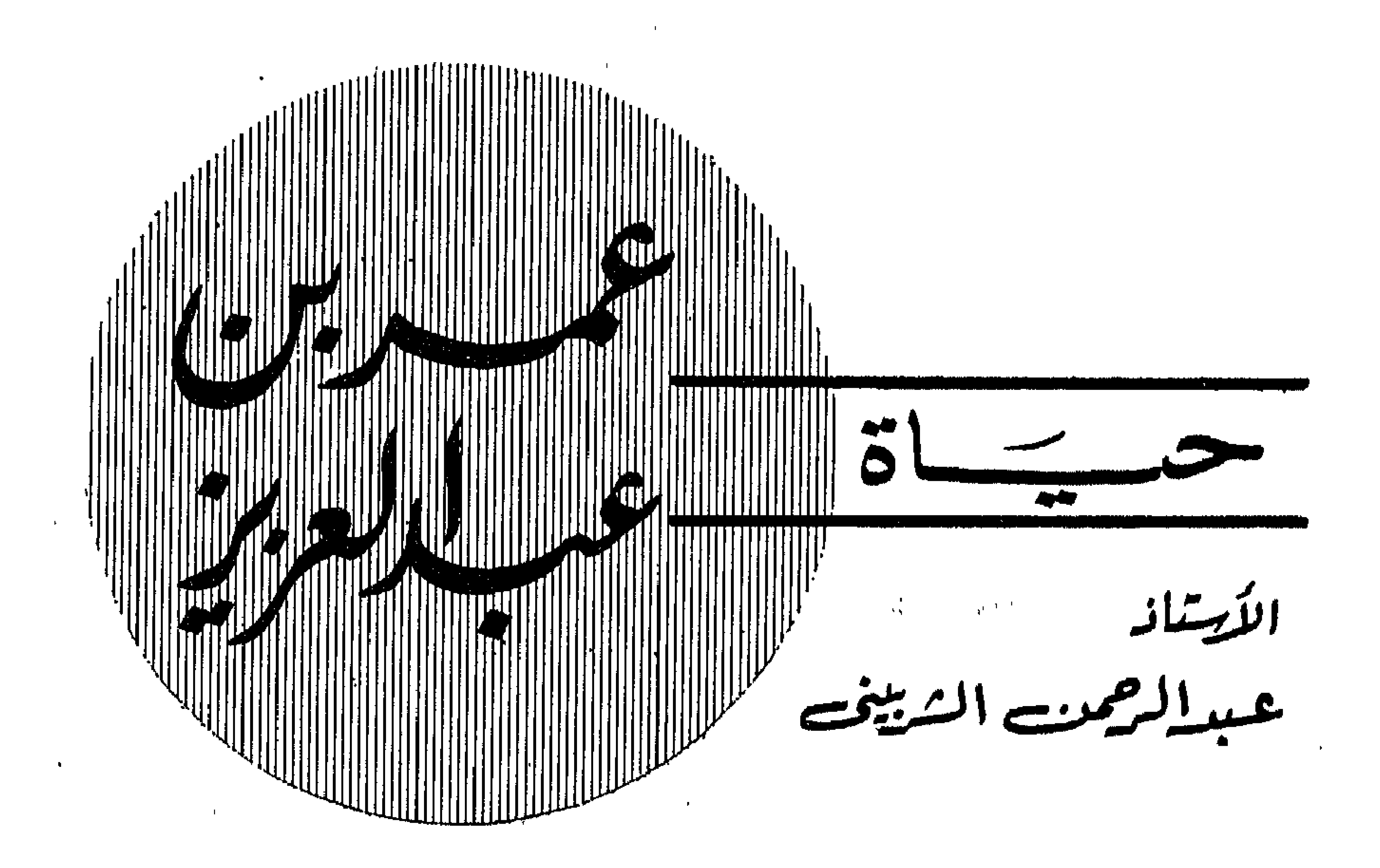
أعملت أقلامى وحينـــا منطقى
فى النصح والمأمـول لم يتحقـــق
وحسبت صدقى فى النصـــيحة عـائدا
بردا على اذا بصـــــدقى محرقى

ولكنها طردت اليأس قائلة :

أيردنى عما رأيت معـــــاند
ومقال حاسدة وكذب ملفـــق
لعدمت آدابى وحسن تجلـــدى
ان صدنى قول البغيض المحنـق

وشرعت فى كتاب أسمته (حقوق النساء) وأنجزت منه ثلاث مقالات : الأولى فى المقارنة بين المرأة المسلمة الشرقية ، والمرأة المتمدينة الغربية ، فى الحقوق المالية ٠ والثانية فى حقوق المرأة المسلمة ، من جهة ادارة الأعمـــال ٠ والثالثة فى حقوق المرأة المسلمة من جهـــة الانتخابات ٠ رأت أن تعرض على المرأة حياة بعض النساء ممن لهن أثر محمود ، ليكن مثالا يحتذى ، فشرعت فى ترجمة حياة أم المؤمنين السيدة خديجة شعرا ، ونظمت منها نحـــو ثمانية أبيات ، ثم وافاها الأجل ولحق بهـا والدها بعدها بأيام فجزعت مصر لفقدهمـا ٠ **واليوم ، وقد تحقق كل ما أرادت الباحثـــة فرضه من البنود ، وما اقترحته على المؤتمر من اقتراحات ، لصالح المرأة ، وصالح الأسرة، وخير الوطن : فاننا ننظر بعد ثلاثة وأربعين عاما ، فنرى نفسا كانت تعيش فى تلك الأيام بآراء اليوم ، وأفكار اليوم ٠ فلتهنأ الروح الطيبة بجهادها ، ولتستقر نفس تلك الرائدة المسلمة ، فلقد عرفنا حقها ، وخلـــدناها فى قلوبنا ٠**





سير العظماء دروس

وما أحوجنا ، ونحن نمضى فى ركب الاشتراكية ، الى أن نستفيد من هذه الدروس ..

نتعلم ...

ثم نطبق ...

واذا كنا قد عشنا فترة من الزمن ، نستورد فيها المبادىء من شرق وغرب .

فعجيب أمر ذلك ، وفينا معين لاينضب من سير عظمائنا ..

الزهد ...

الخلق ...

النفسية المضيئة ..

الاشتراكية الأصيلة ..

قليل من كثير فى سير خامس الخلفاء ، عمر بن عبد العزيز .

لقد بدأت جمعية الفرقان الاسلامية ، المشرفة على مسجد عمر بن عبد العزيز بمصر الجديدة ، موسمها الثقافى ، بندوة عن حياة : عمر بن عبد العزيز ..

أقيمت الندوة بقاعة المحاضرات ، بكلية المعلمين بجامعة عين شمس وتحدث فيها :

١ ـ السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ، ووزير الأوقاف ، والشئون الاجتماعية ، والأزهر .

٢ ـ الشيخ محمد الغزالى ، مدير المساجد بوزارة الأوقاف .

٣ ـ الشيخ أحمد الشرباصى ، المدرس بالجامعة الأزهرية .

٤ ـ الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى ، وكيل الوزارة للشئون الدينية سابقا .

٥ ـ الأستاذ محمد كامل البنا المحامى .

٦ ـ الشيخ منصور رجب ، الأستاذ بكلية أصول الدين .

قدم للندوة ، وأدارها الوزير السابق السيد عبد العزيز على .

وبدأ الندوة الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى ، فتحدث عن الوراثة ، والبيئة فى حياة عمر بن عبد العزيز .

فعرض للوراثة ، وما ينطبق عليها من تفسير الآية الكريمة ، فى قوله تعالى « يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك ، فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك »

وقال .. ان بعض المفسرين يقصدون أن النطفة اذا مااستقرت فى الرحم ، أحضرلها الله صور آبائها ، واجدادها ، واختار لها صورة مناسبة ، وبذا يكون الولد شبيها بجده أو أبيه ..

ولما نزلت تلك الآية ، استانس أحد المفسرين، بما يقال من أن الانسان يتخير لنطفه .. ((تخيروا لنطفكم فان العرق دساس)) وكان الرسول – عليه الصلاة والسلام – يقول ((اياكم وخضراء الدمن)) – وفسرها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله ((المرأة الحسناء فى المنبت السوء)) .

واستطرد يقول ..

جاء رجل الى رسول الله يقول له .. ان ابنى لا يشبه لونى ، ولا يشبه لون أمه .. فقال الرسول ((أرأيت الناقة السوداء ، والجمل الأبيض ، يلدان الأورق ((أى الرمادى)) .. لعله نزع الى عرق من جدوده ..))

ثم قال ..

لقد كان جد عمر بن عبدالعزيز ، هو عاصم ابن عمر بن الخطاب .. ولا شك أن هذا كان له أثره فى تكوينه ، وسلوكه المسلك الخطابى ..

بعث عمر بن الخطاب يوما مناديا ينادى يا أهل المدينة لا تمذقوا اللبن بالماء ..

وكان من عادة عمر أن يتجسس على أحوال الرعية . . فخرج فى ليلة ، فسمع امرأة فى كوخ صغير ، تقول لابنتها .. ألم تمذقى اللبن بالماء ؟ فقالت الابنة كيف ! ومنادى عمر ينادى: لا تمذقوا اللبن بالماء !

قالت الأم : امذقى كما يمذق الناس ، فهل معنا عمر أو منادى عمر ؟

فقالت البنت : يا أماه .. اذا كان عمر غائبا عنا ، فان اله عمر مطلع علينا ..

وسمع ابن الخطاب هذا القول ، فوضع علامة على الكوخ ، وفى الصباح ، بعث من يستطلع أمر هذه الفتاة ، فعلم أنها فتاة من بنى هلال ، تعيش مع أمها ، بعد أن توفى أبوها ..

فقال عمر .. اذا بنت هذه البنت بأحد سادة قريش ، انجبت سيدا لقريش .. ودعا بابنه عاصم فتزوجها .

وولدت هذه الفتاة بنتا لعاصم ، ما أن كبرت حتى تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز .

واستطرد بمثل من حياة عمر فقال ..

جرد عمر كل أقاربه من الأمويين من أموالهم ، وامر بها أن ترد الى بيت المال ..

فاجتمع سادة الأمويين ، وفكروا فى أن يرسلوا له عمته .. وكانت سيدة مهيبة الجانب ، رفيعة القدر ..

وانتظروها خارج بيت عمر ، حتى تفرغ من مقابلته ..

قالت له عمته .. أتريد أن تجرد أسرتنا ؟!، الا تعطينى قدرى من المال ؟

فدعا عمر بدينار ذهب ، وقربه من النار حتى توهج .. ثم قربه من خده ، وقال لعمته .. « أتريدين أن أكوى بهذا يوم الجزاء ؟! أعطيك من مالى .. دنانير ورثتها عن أبى »

فخرجت عمته من عنده ، لتستقبل المنتظرين من بنى أمية ، وتقول لهم .. « بنى أمية .. أنتم عليكم الحق .. زوجتم عبد العزيز بابنة الخطاب ، فولدت لكم عمر » .

واعقبه فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، فتحدث عن الجانب الاشتراكى فى حياة عمربن عبد العزيز فقال :

الخلافة زعامة روحية .. واذا كانت الخلافة قد ورثت فى بعض العهود ، فان الزعامة

لا تورث .. والكفايات والمواهب لا تنحصر فى بيت ، ولا تحتكر على صفوة من الناس

واستطرد يقول ..

لقد كان حريا بالنبوة أن تورث .. ولكن ذلك لم تجربه ارادة الله ..

فهذا نوح النبى قد ولد له ابن كافر .. وعلى قدر اصرار نوح فى تبليغ الرسالة ، كان اصرار ابنه على الكفر ..

والنبى ابراهيم .. طلب من ربه ، أن يجعل ولاية العهد فى ذريته .. ((ومن ذريتى .. قال لا ينال عهدى الظالمين))

اذن فقيادة الشعوب لا تورث .. وليست حكرا على أسرة دون سائر الأسر .. وليست سلعة يتملكها هذا من ذاك ، الى درجة أن تقدم منحة ، لمن يسمونه صاحب سمو ، وهو مازال فى لفائف الطفولة ..

ولذلك عندما أرادمعاوية ، مبايعة ابنه يزيد بالحكم ، وقصر الخلافة عليه ، وعلى من بعده .. اهتزت مثل الاسلام اهتزازا كبيرا ، بعد **أن كان أمر الحاكم موكولا للاختيار ..**

ولما جاء عمر بن عبد العزيز ، كان همه أن يعيد للمثل الاسلامية الكرامة التى ضاعت فى عهد بنى أمية .. فجعل سياسة الحكم والمال، تعود للقاعدة الاسلامية .. وخلع الحكم الذى أتاه بالتكليف..وقال : لقد جاءنى الحكم وأنا كاره له . .وطلب من الناس الاستفتاء على بيعته ، فبايعوه .. لأن الاسلام لا يعرف الملك الا على هذا الأساس .

وأما سياسة المال ، فالاسلام لا يعرفها ، الا على أساس صدقة تؤخذ ، أو ضريبة تؤدى ، لتنفق على مصالح الناس .. وجعل ما دون ذلك غلولا .. **((ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة)) .**

لقد كان تصرف الملوك فى المال شائنا .. فمن خاصة ملكية .. الى حاشية ملكية .. الى أوقاف ملكية .. وكان هذا من أموال المسلمين ..

وجاء عمر بن عبد العزيز فكان همه ، أن يرد سياسة المال الى قواعدها الاسلامية .. فلا مال ، ولا انفاق ، الا بحق الله ، وفى سبيل الله .

بلغه يوما ، أن أحد أولاده اشترى خاتما ، له فص بألف درهم ، فكتب يقول له .. ((بعه وأشبع بثمنه ألف جائع .. واشتر بدلا منه خاتما من حديد .. واكتب عليه : رحم الله امرءا عرف قدر نفسه)) .

وكان عمر يقول .. ((أنا فى مال المسلمين، كولى اليتيم.. اذااستغنى ، استعف .. واذا احتاج ، أكل بالمعروف)) ..

حقا .

لقد كان عمر بن عبد العزيز ، أول من رد الحكم ، والمال الى قواعد الاسلام .. ولذلك اعتبر بحق ، الخليفة الخامس ، بعد الخلفاء الأربعة الراشدين .

ثم تحدث الشيخ أحمد الشرباصى ، عن نفسية عمر فقال :

أتمنى لو اتخذه المسلمون مثلا أعلى لهم .. وقديما قال ابن حنبل : ((اذا رأيت الرجل يعمل على نشر سيرة عمر بن العزيز ، فاعلم أن وراء ذلك خيرا)) .. وما أحوجنا أن نبسط سيرته ، ونيسرها فى يد كل خطيب ، أو باحث اجتماعى ..

وأخذ بعد ذلك ، يوجز الحديث عن نفسية عمر ، فقسمها الى ثلاثة أقسام ..

نفس بدأت ذواقة .. ثم تواقة .. ثم لوامة ..

بدأ عمر فى الشطر الأول من حياته ، شابا مترفا ، يرفل فى اليسار والغنى .. يأخذ من أطايب الحياة ، ما ينعم به ويلذ له .. كان يلبس الرقيق من الثياب .. كان يتفنن فى التطيب بالعطور ، فيعرفه الناس من بعيد .. كان يمشى مشية كلها خيلاء ، فقلدها الجوارى من حسنها ..

وهنا نقف قليلا ، وقفة تعجب !!

شاب نشأ فى هذا الترف ، الى حد أن يؤتى له بحلة من الصوف ، فيقول :((**آتونى بأحسن**

منها)) ، هو نفسه ، الذى أصبح فيما بعد ، منطويا على الكثير من الحرمان ، الى حد أن يرد الخيـــل المطهمة ، والكثير من مظاهر الترف ..

ولو أن هذا الحرمان ، جاء وليدا لحرمانه فى نشأته لقيل : انه انعكاس ، لما لقيته فى هذه النشأة .. ولكن الحرمان ، الذى لبس نفس عمر ، كان بعد فترة من القناعة ، والترف ، والنعيم ، بأطايب الحياة .. وهنا موضع العجب !! وماذا يدل ذلك ، الا عن دافع قوى وراء شخصية عمر بن عبد العزيز !!

ثم تأتى فترة النفس التواقة فى حياة عمر كان يتوق الى العلم .. وكان يتوق الى الدين .. كان يتوق الى الشوق .. والتزوج من فاطمة بنت عبد الملك .. ثم تاق الى الملك .. وأخيرا تاق الى حب الله وحب الآخرة .

ثم انتقل بنفس عمر من هذه المرحلة الى مرحلة النفس اللوامة حيث قال :

عندما كان عمر أميرا على المدينة ، جاءه أمر من الوليد بأن يضرب خبيب بن عبد الله بن الزبير ، مائة سوط ، لأنه شتم الأمويين .. وبعد ضربه أمر بصب قرب الماء البارد عليه ، فتقلصت أعضاؤه ، وانكمش جسمه .. وحملوه الى بيته ، بين الموت والحياة ..

ورجع عمر الى بيته ، وهو يحس اللوم فى قرارة نفسه .. يتعلل أمام الناس ، بأن هذا هو أمر الخليفة .. ولكن كيف به أمام الله ؟!

وأرسل رسولا يستنبىء خبيبا ، فوجده فارق الحياة .. فعاد لينبىء عمر ، فقال الرجل .. « وجدته كالمرأة أدركها المخاض ، يدور فى البيت كأنه لا يجد الأمان .. فما أن حملت اليه نبأ وفاة خبيب ، حتى أخلد الى الأرض ، يئن على ما اقترفت يداه .. »

كانت هذه الحادثة هى مفتاح التحول فى حياته .. نسى الترف ، وبدأ يشعر بالاثم ، وبأنه لا تغسله الا الحسنات .. فجعل يصلح، ويقدم الكثير من الحسنات .. ورغم هذا كان كلما ذكر بالجنة ، يقول كيف ، وخبيب على الطريق !!

وتحدث الأستاذ محمد كامل البنا عن زهد عمر بن عبد العزيز فقال :

لقد تولى عمـــر بن عبد العزيز الخلافة ، لا عن استعداد .. ولكن عن قدر ..

فقد دعا سليمان بن عبد الملك مستشاره يوما ، فقال له .. اذا أردت أن تأخذ طريقك الى الجنة ، فاستخلف ابن عبد العزيز ، لأنه يرى الله ، ويرقبه .. فلما مات سليمان ، أعلنت وصيته بخلافة عمر بن عبد العزيز .. **فجمع عمر الناس وقال لهم ((انى زاهد فى الملك .. ولقد نقضت البيعـــة عنكم)) ..** ولكنهم أصروا على مبايعته فكان ذلك انتخابا لا تعيينا ..

ويروى أنه من أسباب زهد عمر ، أن جده عمر بن الخطاب ، كان قد عين جابيا للأموال فى العراق .. فلما عاد من العراق ، استأذن من الخليفة فى الذهاب الى بيته .. فبعث الخليفة وراءه ، من يتجسس عليه ، ليرى ان كان أحضر شيئا معه من العراق أم لا .. فان وجده لم يحضر شيئا ، دفع اليه ثلاثمائة دينار ، منحة من الخليفة ..

فلما دخل رسول الخليفة على الرجل ، وجده يأكل خبزا جافا ، فأعطاه منحة الخليفة فأخذ الرجل يمزق قميصه البالى ، الذى يستر جسمه ، ويضع فى كل قطعة منه بعض الدنانير ، ويرسلها الى جار له محتاج .. فعاد الرسول يقول للخليفة : ((**لقد جئتك من عند أزهد الناس))**

فذهب عمر بن الخطاب الى قبر الرسول ، يناجيه قائلا .. ((أيحق لعمر أن يكون خليفة على هؤلاء ..)) ؟

وكانت هذه الواقعة ، من أسباب الزهد فى حياة عمر بن عبد العزيز . جعلته يحس أن أفضل ما يعمله الخليفة ، أن يتحرى الدقة والعدل ، والزهد ، وأن يكون مثلا أعلى للمسلمين ..

وذات مرة ..

اشتهت نفسه العسل ، فجىء له به .. فقال لزوجته : رديه لبيت المال ، وهو يردد :

زهد الخليفة والدنيا بقبضته
فى الزهد منزلة سبحان باريها

وعند منيته .. وجدوه يردد قول الله تعالى ..

((تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين))

وتحدث الشيخ منصور رجب عن أخلاق عمر فقال :

ان ثروة الأخلاق ، تنحصر فى الارادة .. والنية اذا اقترنت بالعمل ، كانت الارادة .. فالأخلاق عمل يعمل ، لا كلام يقال ..

ولأمر ما حينما سئلت عائشة عن أخلاق الرسول ، قالت : ((خلقه القرآن)) .. لأنه كان يعمل بالقرآن .

ولقد كان عمر مثلا أعلى للأخلاق ، لأنه عاشها فعلا وعملا .. حتى قيل : ان خلفاء العمل خمسة ، خامسهم عمر بن عبد العزيز .

جىء له مرة بهدية ، فأمر ببيعها لحساب بيت المال ..

وكان يعمل على رد المظالم .. فبدأ بنفسه حين رد خاتما من حديد ، كان قد أخذه قبل الخلافة ، من أحد الناس ..

كان ينفق من ماله الخاص ، حتى أفناه .. **وقد قيل : انه دخل الخلافة ، وثروته أربعون ألف دينار ، وعند موته ، كانت أربعين دينارا .**

وكان يرحم حتى الحيوان .. كان له دابة تعمل كل يوم بدينار ، وذات يوم عملت بدينار ونصف .. فقال لمن يقوم عليها .. ((لقد أجهدتها فأرحها) ..

وعلى الجملة ..

كانت أخلاقه فى اطار كلمته الخالدة ..
((القناعة كنز لا يفنى))

وفى ختام الندوة تحدث السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والشئون الاجتماعية والأزهر فقال :

لقد سمعت بهذه الندوة .. وأشكر جمعية الفرقان الاسلامية الخيرية ، على بدء موسمها الثقافى بسيرة الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز .. واعتبرها ندوة موفقة لاختيارها موضوعا يتفاعل مع الأحداث .

اننا نعيش فى فترة من التاريخ ، نريد أن نتقيد فيها بما كان قائما فى عهد عمر بن عبدالعزيز .. وان كلمةالفرقان التى جعلت منها هذه الجمعية شعارا لها ، انما هى اسم ضخم يوجب عليها الكثير من التكاليف لأنه فرق بين الحق والباطل .. وان الذى يريد أن يتخذ هذا شعارا له ، يجب أن يعرف ما ينبغى أن يتخلق به ، ليفرق بين الحق والباطل .

لقد كان الاسلام يعتبر كل ما قبله جاهلية .. ولم يقصد بذلك أن يتجاهل ما قبله من حضارات .. وانما ليشعر المجتمع وليشعر كل فرد أن ما قبله كان رجعية وردة ... وكذلك كان ايماننا ، حين أطلقنا اسم رجعى ، على كل من لا يتجاوب مع العدالة الاجتماعية ، وهكذا يجب أن يكون هذا الاسم شعارا لكل من لا يدرك معنى الثورة التى نعيشها ..

يجب أن يكون هذا الشعار هو أسلوبنا العملى ، فى مجال التطبيق ليهز المجتمع ، هذا يشعر المجتمع معه انه انتقل من مجال الى مجال .. وبهذه الصورة نعبر تعبيرا صادقا عن أنفسنا ، ونحن نسير فترة يتقرر فيها مستقبل شعب .. الكل يحس فيه أنه مواطن له حق العمل .. حق الحياة حق الصحة .. لا يشعر أنه على هامش الحياة .. بل يشعر بالتقديس لوطنه ، حين يجد حقه فى العمل وحقه فى الحياة الكريمة .

ان دراسة السير هى من أكبر الدروس .. نأخذ منها أسس التطبيق العملى السليم ، ونجعلها نبراسا نهتدى به فى مجالنا التطبيقى .

قد يقال : لدينا القرآن الكريم ، وهو كتاب جامع شامل .. ولكن نحن بجانبه فى حاجة الى مزيد من أسلوب التطبيق العملى ، لما فى الكتاب من آيات بينات .. هذا الأسلوب بما

فيه من اجتهاد فى التطبيق تبرزه السير التى قامت على نجاح وتوفيق ورشاد ..

وحسبك من تطبيق عملى رائع ، لآيات هذا الكتاب ، ما كانت عليه سيرة النبى الكريم الذى كان يطبق القرآن آية فآية متمشيا مع الأحداث ، والتاريخ ، والمجتمع فى كل تصرف من التصرفات .

وأعلق تعليقا موجزا على نقطتين :

ففى مجال التوريث ، وما سمعتم من أثره فى حياة عمر بن عبد العزيز ، أذكر لكم حديث رسول الله الكريم « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

ان الذين يتشدقون بالأنساب ، والأحساب ، لا يمكن أن يقبل منهم ذلك الآن .. فان كان عمله متفقا مع نسبه قبلناه .. وان كان عمله غير متفق مع نسبه ، فلا نعتد ، ولا نعترف به وانما حسبناه عليه .

وفى مجال البيعة وما قيل عنها فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، أذكر لكم أن الزعامة لا تورث لأن الاسلام لا يعترف الا بالبيعة .. وقد كان دستورنا فى سنة ١٩٥٦ ، حريصا على تأكيد هذا المعنى .. وان رئيس الجمهورية ، مسئول على أن يحافظ على نظام الدولة جمهورية رئاسية ، ولا يمكن أن تكون الزعامة فيها موروثة .. وانما بيعة وانتخاب حر ، يضع على عاتق الحكم مسئولية كبرى .

وطالما بويع الخليفة من شعبه ، فعليه أن يستشير هذا الشعب فى العمل الذى يريد أن يقوم به .. ثم ليحزم أمره بعد ذلك فى التنفيذ ، لأن الاسلام قد أعطاه الحزم بعد أن يستشير ويتخذ القرار .. وهو ما يحدد مسئولية العمل فى الاسلام ..

« فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

شورى .. ثم عزم .. ثم توكل على الله وتنفيذ .. بعكس ما تفرضه الديمقراطية الغربية على الحاكم من قيود فى تصرف الحاكم حتى بعد بيعته وانتخابه ..

ان هناك أمورا ثلاثة أراد الاستعمار أن يتحكم بها حين عمل على اضعافها فينا .. الجندية ، العقيدة ، واحترام العمل .

وها نحن أولاء نسير الى تصحيح كل ما أراده لنا الاستعمار .

أما الجندية .. فقد أعدنا لها كرامتها حين أصبح لكل مواطن حق الدفاع عن الوطن .. ولم نبق على نظام الطبقية الذى كان سائدا يوم كان لا يدخل الجندية الا من لا يملكون البدل .

وأما العقيدة فكان قائما عليها دائما الأزهر الشريف .. ولقد أردنا له مزيدا من القوة ومزيدا من الانطلاق حتى يشعر ان القوة مهما بلغت فلابد من عقيدة تدفعها .. وان العقيدة مهما تحررت فلابد من قوة تحميها .

ثم يأتى دور العمل .. ولقد أرادنا الاستعمار فى الماضى أن نعيش عالة عليه حينما حطم فينا حتى الرغبة فى العمل اليدوى وأراد لنا من التعليم مجرد الاحتفاظ بالوظيفة .. ولكننا اليوم نؤمن أن انطلاقنا الكامل انما يكون فى تقديس العمل .. العمل المقرون بالعقيدة المحررة .. وحب الدفاع القوى لنصون للأمة ما حققناه لها من نصر وأمجاد .

وبعد ...

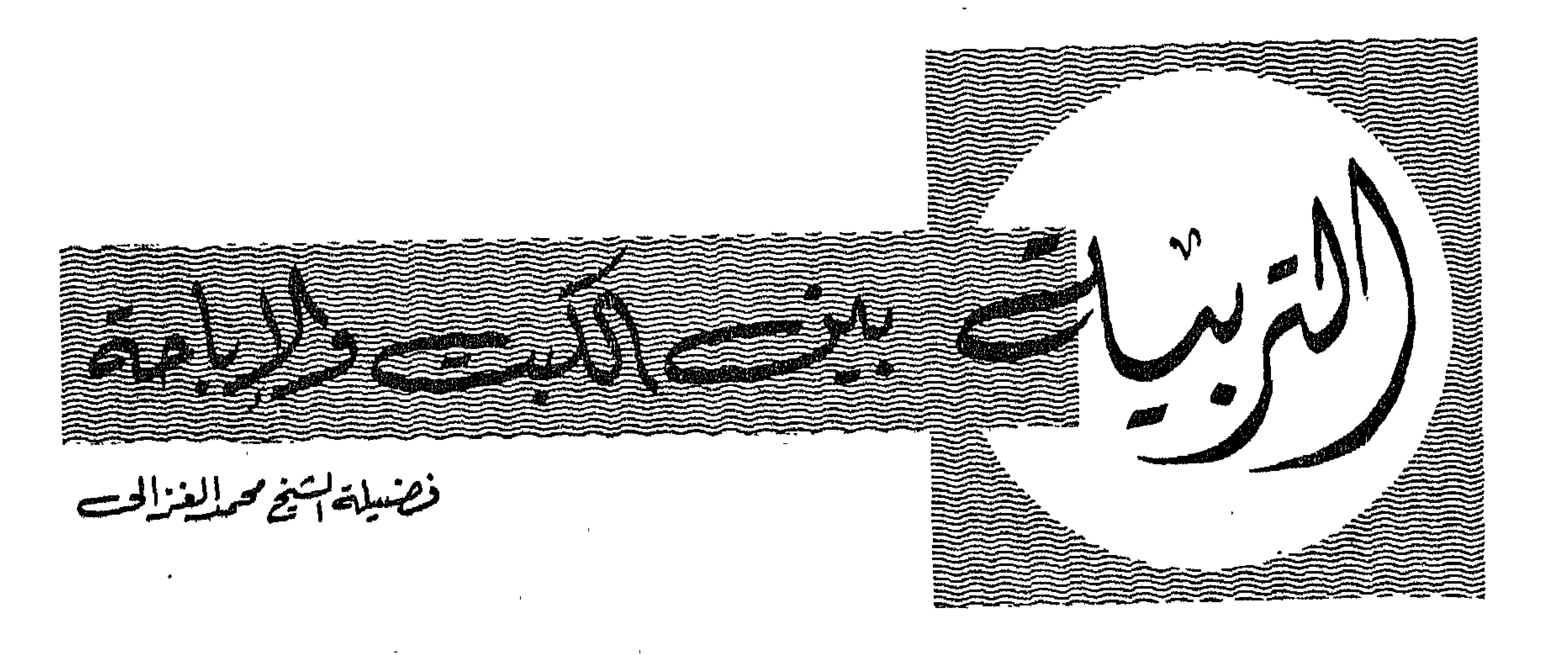
فيوم مات عمر بن عبد العزيز كان قد ترك أحد عشر ولدا ولم يترك لهم من المال شيئا ..

فلما سئل وهو يحتضر هل من مال تركه لأولاده ؟

« قال : لا ..

وبماذا ينفعهم المال اذا لم أترك لهم الصلاح »

فماذا يمكن أن تكون سيرة هذا الخليفة العظيم الا قبسا وهدى للذين يريدون الهدى !!



كان من أثر انتشار المذاهب المادية فى عصرنا الحاضر أن تغيرت القيم الخلقية تغيرا كبيرا ، وأصبحت الفضائل النفسية عند كثير من الناس عبئا لا ضرورة له ، بل عبئا ينبغى الخلاص منه ، وترك النفوس تسترسل مع هواها دون معاناة لكبته ..

واستوعر الشباب ارتقاء المعالى وتسنم الكمال ، وليتهم — لما أخلدت بهم أهواؤهم الى الأرض — اعترفوا بالقصور ، وتواروا بخزيهم .

لا ، انهم شرعوا يهونون من شأن الخلال الكريمة التى عجزوا عن تحصيلها ، وراحوا يصفونها بأنها قيود على الطبيعة البشرية تورث الضر والاكتئاب .. !!

ومن هنا كانت السمة البارزة فى عصرنا المسارعة فى اشباع الهوى ، واسترضاء الغرائز الدنيا حتى تروى .

ورى هذه الغرائز — عن طريق الحرام — لا يزيدها الا ضراوة ، فهى تطلب المزيد دون أن تدرك الشبع .

والمجتمع البشرى الذى تدور حركاته على هذا المحور مجتمع طافح الاثم سيىء العقبى . تطيش به نوازع الشره ، والأثرة ، وتتولد فيه مشاعر الحسد والبغضاء ، وقلما ينجو من اثارة الفساد وسفك الدماء .

وتلك آفة الحضارة بعد ما زهدت فى الدين ، وتبرمت بتعاليمه . « **فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم** » .

والحق أن اتباع الهوى ان كان يطمس على حواس الأفراد ، فهو — على المجتمعات الضالة — يضرب ليلا طويل الظلام ، بارد الأنفاس ، بعيد الفجر ..

ونريد أن نسارع الى نفى شبهة تروج عند الجاهلين بالاسلام ، هى أنه يحرم الناس أمورا كثيرة ما تطيب الحياة الا بها ، ويعترض رغبات شتى ما يستريح الخلق الا باشباعها ..

وهذا خطأ ، فان الاسلام ما حرم طيبا ، ولا حظر خيرا ، وكل ما تعتدل به الطبيعة البشرية وتستقيم فهو مباح لها .

ان الله ما حرم على الناس الا ما علم أنه يزيغ بهم عن الصراط ، ويتسارع بهم الى الشر .

والاسلام لم ينكر قط الطبيعة المادية للانسان ، ولا حقوق الفترة التى يقضيها على ظهر هذه الأرض .

غاية ما صنع أنه ذكر الانسان بأنه مادة وروح ، وأن صلته بالسماء أعرق من صلته بالأرض ، ولذلك ينبغى أن يرعاها ، وأن يلتزم مطالبها ... !!

وفى أثناء وفائه بحقوق هذه الصلة العليا سوف تنازعه نفسه أن يتنكر لها ، وأن يتمرد عليها ، وهنا يجب أن يكبح جماحها ، وأن يكرهها على قبول ما يضايقها ..

ومجاهدة النفس فى هذا المضمار خلق لا ينفك عنه مؤمن ، ولا يسوغ استثقال أمره، أو الترخص فيه .

وانما ترتفع منازل المؤمنين، ويتألق جبين أهل التقوى ، بمقدار انتصارهم على شهواتهم وامتلاكهم لزمام رغباتهم ..

ان العراك الباطنى لا ضجيج له ، ولا سلاح فيه ، ولكن هذا العراك أخطر فى نتائجه من المعارك التى تنتثر فيها الأشلاء ، وتبذل فيها الدماء .

ذلك ، لأن جهاد النفس هو الطريق الحقيقى لبلوغ القمم التى تجعل الانسان يحتضن المثل العليا ، ويبذل دونها النفس والنفيس ، وقد جاء فى الأثر أن الرسول قال عقب العودة من احدى الغزوات : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » ..

قال عمر بن الخطاب « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فانه أهون عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم يوم القيامة ، وتزينوا للعرض الأكبر « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » .

عن الحسن قال : « ان المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل ، وانما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة » .

ان المؤمن يفجؤه الشىء يعجبه فيقول : والله انى لأشتهيك وانك لمن حاجتى ، ولكن ـ والله ـ مامن صلة اليك ، هيهات هيهات ، حيل بينى وبينك .

ويفرط منه الشىء فيرجع الى نفسه فيقول : ما أردت الى هذا ، مالى ولهذا ، والله لا أعود الى هذا أبدا ان شاء الله .

ان المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم .

ان المؤمن أسير فى الدنيا يسعى فى فكاك رقبته ، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه فى سمعه وبصره ولسانه وجوارحه .

وعن الحسن ، فى وصية لقمان لابنه « يابنى ان الايمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فان فتر سائقها ضلت عن الطريق ، وان فتر قائدها حرنت ، فاذا اجتمعا استقامت » .

ان النفس اذا أطمعت طمعت ، واذا فوضت اليها أساءت ، واذا حملتها على أمر الله صلحت، واذا تركت الأمر اليها فسدت .

فاحذر نفسك واتهمها على دينك ، وأنزلها منزلة من لا حاجة له فيها ولا بد له منها.

وان الحكيم يذل نفسه بالمكاره ، حتى تعترف بالحق ، وان الأحمق يخير نفسه فى الأخلاق ، فما أحبت منها أحب ، وما كرهت منها كره .

وحدثنا أبو عبيدة الناجى أنه سمع الحسن يقول : حادثوا هذه القلوب ، فانها سريعة الدثور ، واقترعوا هذه الأنفس فانها طلعة ، وانها تنازع الى شر غاية .

وانكم ان تقاربوها لم تبق لكم من أعمالكم شيئا ، فتصبروا وتشددوا ، فانما هى ليال تعد ، وانما أنتم ركب وقوف ، يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت، فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم .

ان هذا الحق أجهد الناس ، وحال بينهم وبين شهواتهم ، وانما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته .

الديمقراطية الحقة ودين الفطرة

الدكتور محمد غلاب

كان أبرز مالفت نظر الاقتصادى الفرنسي الكبير « دى توكيفيل » أثناء زيارته لأمريكا فى أواخر القرن التاسع عشر ، هو ذلك الأثر الفائق الذى طبع به كل شىء هناك فى تلك الحقبة بازاء مساواة جميع الوطنيين فى الحقوق والواجبات والمثول أمام القانون والاستمتاع بالحرية فى كل البيئات والطبقات دون أى استثناء اذ لاحظ أن ذلك الأثر قد دمغ المجتمع المدنى كما انتقش فى جميع الجوانب السياسية والمقومات القانونية ، فقد برز واضحا فى اتجاه الروح العامة ، وفى تشريعات البلاد المتنوعة ، وتقنيناتها المتطورة وظهر فى مبادىء المصلحين ، وشعارات الحاكمين ، ومألوفات المحكومين ٠

ولقد كان من الطبيعى لدى هذا المفكر الممتاز أن يعقد موازنة دقيقة بين ما يجرى من المساواة العادلة فى تلك الأصقاع فى ذلك الحين ، وما يحدث فى البلاد الأوروبية ٠ ولم يكد يعقد هذه الموازنة حتى ألهمته هاتيك الفقرات التى كانت كأنها نبوءة من نبوءات مستقبل الديمقراطية التى وصف حركتها القوية المجتاحة بأنها أحد تيارات العناية الالهية التى لا يقوى أى شىء على مقاومتها ٠ واليك نبذة مما صور به هذه الحركة :

« ان ثورة ديمقراطية تشتعل بيننا ، وان الجميع يرونها ، ولكنهم لا يحكمون عليها بطريقة واحدة ، بل هم لايتمثلونها على صورة متفقة ولا يتوقعون منها نتائج متشابهة ، ففريق ينظر اليها ، على أنها شىء جديد ، ويعتبرها حدثا عابرا ويفعمه الأمل فى أنها ((سحابة صيف عن قريب تنقشع)) بينما أن فريقا آخر يجزم بأنها حركة لا تقاوم ، لأنها من أقدم المحاولات التاريخية وأقواها وأشدها صلابة ، وأعظمها مقدرة على المغالبة والجلاد٠

وفى الواقع أننا ــ من أية جهة ننعم النظر فى العالم كله ــ نلمح نفس الثورة التى تهدف الى تحقيق هذه الغاية التى يبدو أنها سماوية نقلت الى بنى الانسان سرا ، وهم مطالبون عن طريق الالهام الخفى بتحقيقها ٠٠ ومن ثم فاننا نشاهد أحداث الحياة البشرية المتباينة تتحول دائما الى صالح الديمقراطية ، وأن جميع بنى الانسان على اختلاف مشاربهم وتباين نزعاتهم ، قد ساهموا فى مساعدتها بجهودهم المختلفة ، لا فرق فى ذلك بين من كانوا يتوقون الى الفوز بنصيب من نتائج نجاحها ، ومن لم يكونوا يفكرون فى معونتها ، ومن قاتلوا فى سبيلها كمبدأ ، ومن أعلنوا عداءها ومقاومتها ، أى أن التاريخ قد رأى كل هذه الطوائف تتدفق مختلطا بعضها ببعض فى طريق واحد ، وأنهم جميعا قد اندفعوا بصورة غامضة الى العمل المشترك لتدعيمها ، أى أن هؤلاء يعملون مختارين ، وأولئك يندفعون مجبرين وأولئك يسيرون على علم وهدى ، وأولئك يسيرون على جهل يتخبطون ، وبالاجمال كأن الكل كانوا آلة صماء فى يد القدر ٠

وإذن فاتساع الديمقراطية ، أو انتشار المساواة العادلة بهذه الصورة التدريجية ، هو أحد أحداث العناية السماوية التى لا تقوى البشرية على وقفها ٠ ومن آيات ذلك أنها محتوية على بعض مميزات ظواهر العناية الالهية، كالعمومية والدوام،ومجاوزتها حدود القدرة البشرية ، وأن كل الأحداث الدنيوية ، وجميع الأناسى يسهمون فى نموها طوعا أو كرها ، وعن علم أو عن جهل » ٠

ونحن اذا تأملنا فى معنى هذا النص ، ألفيناه غاية فى الدقة وبعد النظر وثقابة الرأى ، بل كأنه نبوءة ، تقرأ المستقبل فى كتاب محدد الأهداف ، ميسور الأسلوب لا سيما عندما يجزم بأن المبادىء الحقة لا يؤيدها أنصارها فحسب ، بل ان أعداءها كثيرا مايندفعون الى نشرها وتثبيتها طوعا أو كرها ، كأنهم آلة فى يدر القدر لا تدرك ولا تعى ٠ ولم لا ؟ ألم يكن المشهرون بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ سببا جوهريا من أسباب انتشار الاسلام عن طريق دفع الأجانب ــ بعامل الفضول وشهوة الاطلاع ــ الى التنقيب عن

هذا النبى بكل مالديهم من امكانيات ؟ وقد نتج عن هذه المعرفة ، استكناه الحقيقة الذى استتبع الايمان ، وهو عكس ماكان يريد أعداء الاسلام .

ونحن اذا تأملنا فى حركتنا الراهنة ألفينا أن الرجعية ــ بنشاطها المستغل المفرط فى الجشع والافساد ــ قد أسهمت بنصيب فعال فى دفع النهضة الديمقراطية الى الأمام . « ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

على أن هذا المفكر الاقتصادى لم يكن وحده على هذا الرأى ، بل نحن نجده بين آراء جميع المفكرين المتعمقين ، واستمع الى الكونت دى هوسونفيل الكاتب الفرنسى الأرستقراطى النزعة ، المستنير العقل اذ يقول :

« أحسب أنه ينبغى قبول ظاهرة الديمقراطية لثبوت عموميتها .. وأننى لا أملك الا أن أقرر أن الحالة الديمقراطية هى دور زمنى يمر ضرورة بالمجتمعات الانسانية ، وأنها جزء أساسى من تطوراتها لا يمكن تجنبه . ومن ثم فانى ــ كشخص منطقى واقعى ــ يبدو لى أن الوقوف فى طريقها يكون من العبث بقدر ماتكون محاولة ارجاع تيار النهر الفياض الى الوراء » .

انتهت هذه المجهودات الى أن اتخذت بازاء فكرة الديمقراطية ، هذا القرار الحاسم الذى مؤداه أن المساواة بين بنى الانسان جميعا هى ــ فى نظر الفلاسفة الروحيين والعقليين ــ مساواة معنوية قبل كل شىء ، أساسها أن جميع الأفراد متساوون فى الحياة الروحية بطبيعة وجودهم ، وهذا يحول دون أدنى امتياز لأحدهم على الآخرين ، بمعنى أن يكون البعض وسائل والبعض الآخر غايات .

ولما كانت هذه المساواة ــ بسبب معنوياتها وفطرتها ــ أساسية ، فقد وجب أن تكون جديرة بالاحترام ، وبالتالى وجب أن تتطلب مساواة مدنية وسياسية . وهذه المساواة الأخيرة هى التى تسمى بالمساواة أمام القانون . ولا ريب أن من أوائل معانى هذه العبارة امكان مساهمة الجميع فى الأعمال العامة : كل حسب كفايته ومؤهلاته ، بل ان هذه المؤهلات نفسها هى وحدها التى تمنح أصحابها حق الاشتراك فى تشريع القوانين ومزاولة تطبيقها .

هذا هو مجمل ماوصلت اليه المجهودات الجبارة الجلدة ، وقاسى فيها أربابها أشق أنواع العناء ، وأفدح ألوان العسف ، منذ العصور الأثرية الغابرة حتى الآن .

ولا جرم أن من يلقى نظرة متمعنة ، على صفحات التاريخ يلفيه مفعما بالمظالم والجرائم التى نشأت من تجاهل المساواة واحتقار مبادئها ، واتخاذ فريق من بنى الانسان ــ قست قلوبهم وتحجرت أفئدتهم اخوتهم فى البشرية عبيدا ، بل آلات لأغراضهم ، وأدوات لأهوائهم ورغباتهم . ولو أننا تتبعنا حركات المصلحين الذين احتملوا تبعة مهاجمات هذا الطغيان ، لرأينا ماقاسوه من عنف وتعذيب ، ونفى وتشريد ، وما الى ذلك مما يثقل كاهل الانسانية بالأخطاء والسقطات ، ويملأ صفحاتها بالآثام والسيئات .

ولما كان الاسلام هو دين الفطرة بأكمل معانى هذه الكلمة ، وأن هذه الفطرية هى التى ضمنت له عموميته بل كونيته وصلاحيته لكل زمان ومكان ، فانه من الطبيعى أن تكون الديمقراطية أو المساواة فى الحقوق والواجبات ، أو العدالة السياسية والاجتماعية مبدأ من مبادئه . ولذا نحن سنعنى هنا بأن نسجل بحروف النور على صفحات الخلود أن الاسلام منذ أن سطعت أضواؤه بين الانسانية ، أعلن ــ فى صراحة ووضوح ، وبلا أى ضغط أو قسر أو اجهاد أو اضطهاد ــ أن بنى الانسان متساوون فى الخلقة والفطرة ، وفى المنشأ والمصير ، وأن مأتى هذه المساواة روحى محض ، لا أثر فيه للعوامل العرضية التى لا تزيد ولا تنقص من القيمة شيئا ، لأنها طارئة حائلة .

بيد أنه لما كانت الروح شجرة ، ثمارها الأخلاق السامية والفضائل العالية التى لولاها لصارت قاحلة مجدبة ، فقد جعل الاسلام تلك الفضائل وحدها مبعث التفريق ، ومصدر الامتياز الذى يرتقى بأحد المتساوين على الآخرين ارتفاعا جوهريا ملحوظا له أثره ونتائجه كما جعل الرذائل منبع الانخفاض الذى يهبط بصاحبه الى مستوى أدنى مما كان

يشغله قبل اقترافها ، أي حين كان الحكم للفطرة ابان حالة الاستعداد المحضة التى يستوى فيها الجميع والتى أعلن القرآن ، أن جميع بنى البشر فيها سواء ، وأنذرهم بالتفرقة والتمييز اذا هم خرجوا عن العهد وتمردوا على الميثاق ٠ وتابع النبى القرآن ، ففصل ما أجمله ، وبسط ما أوجزه ٠ وبهذا هتف لسان الحال قائلا : **قد أعذر من أنذر ،** وقد قبل الانحدار عن المستوى الفطرى من طغى وتجبر ، أو فسق وفجر ، وبالاجمال خرج على الحالة الفطرية ، ومرق عن الاستقامة الطبيعية ، فاستحق الحرمان من التكريم ، واستوجب الطرد من المساهمة فى ذلك الفيض العميم ، الذى تفضل به العليم الحكيم على بنى الانسان عند الميثاق القديم ، الذى عاهدوه فيه على الاعتراف بربوبيته وعبادته ، وشرفهم باقتران شهادتهم بشهادته ، ثم تجلى عليهم فأنبأهم بتفضيله وتكريمه ليتفانوا فى اتقائه وتعظيمه : **((يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) ٠ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)) ٠ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها)) ٠ ((الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى)) ٠**

ومما لاشك فيه أن هذه نظرة دقيقة عميقة لا يستطيع أجرأ الخصوم النزهاء ، أن يغفلوها أو يتجاهلوا مرماها الخلقى العظيم ، أو يجحدوا مغزاها الاجتماعى الشامل فيرموا الاسلام – كما رماه بعض المتجنين عليه من المستشرقين – بأن مساواته ليست انسانية ، اذ لو كانت كذلك ، لما جعلت الايمان أو التقوى أساس الصعود وعدمهما أساس الهبوط ٠٠ والا فهل فقد الملحد انسانيته حتى ينحدر مستواه فيفقد المساواة مع الانسان المؤمن ٠

وليس أسهل للرد على هذا التحامل المتجنى من أن نلفت أنظار أصحاب هذا الرأى الى أن المساواة فطرية بسبب وحدة الأصل والعنصر ، وان الامتياز الى اعلى ، والانخفاض الى ادنى عارضان ، ولكن لا بسبب غنى أو فقر ، أو قوة أو ضعف أو عراقة أو عصامية أو ماشاكل ذلك من الأمور الاجتماعية الحائلة ، بل لذلك السبب الرئيسى الذى هو أساس العمران ومصدر نظام الحياة وانسجامها ٠٠ وهو الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة اللتان من تحلى بأولاهما سما ، ومن اقترف ثانيتهما هوى عن المستوى ، وأهدر كرامته بسلوكه ، وتنازل عن مكانته بارادته ٠

وأيا ماكان ، فان مبدأ المساواة الاسلامية فطرى يرجع تاريخ تأسيسه الى ابداع الله النفوس البشرية أولا ، ثم الى جعله هذه النفوس طرفا آخر معه جل جلاله فى الميثاق الذى ارتبطت به أمامه فى عالم ماوراء الأشباح ثانيا والذى احتوى فى داخله على انذار كل من يغدر أو يخون العهد بالانحدار عن مستوى الآخرين ، وبالتالى انذاره بفقد كل ماله من حرمة وكرامة وعزة وحقوق ٠

وهذا هو عين العدل المثالى الذى حاولت القوانين الوضعية أن تحاكيه فى معاملة ذوى السوابق وسيئى السير والسلوك ، فلم يعترض عليها أحد من أولئك المتجنين ، بل كانت موضع احترامهم جميعا ، مع أنها لم تظفر من القوانين السماوية الا بصورة ضئيلة باهتة ٠٠ فما بالهم يأخذون ذلك على الاسلام رامين مساواته بأنها غير فطرية ، منشؤها الايمان والتقوى ، وهما عارضان طارئان على المؤمن التقى ، وليسا ذاتيين فيه ؟٠٠

بان من كل ماتقدم أن المساواة أمام القانون فى نظر الاسلام فطرية وأن الفرد لا يفقدها بأى عامل أو لأى سبب غير هوية عن مستوى الفطرة السامى الى حضيض الرذيلة والاثم والغدر وخيانة الوطن ، وأن الذين يأخذون على الاسلام هذا الحكم ، انما هم ضالون مفتاتون متناقضون مع أنفسهم فى نظرتهم الى القوانين الوضعية بازاء ذوى السوابق من المجرمين ٠

ومهما يكن من الأمر ، فانه – بعد أن سجلنا الحكم النظرى للاسلام فى هذه المسألة – ينبغى لنا أن نشير الى شىء من الأمثلة الحية العملية التى يحقق فيها الاسلام المساواة الفطرية وروح الديمقراطية الحقة ، وموعدنا المقال المقبل ٠

التربية الروحية أساس المجتمع

فضيلة الشيخ
أحمد الشرباصي

اجمع العقلاء على أن الانسان محتاج فى حياته الى التربية ، لكى يحقق انسانيته ، ويؤدى رسالته · والتربية أنواع وألوان ، منها التربية الجسمية ، ومنها التربية العقلية ، ومنها التربية الروحية ، « والروح » فى الأصل مابه حياة الانسان ، وهو لطيفة ربانية لسنا على يقين من حقيقتها وجوهرها « **ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » · ولكن كلمة « **الروح** » كسبت من الاستعمال العام مدلولا جديدا هو مايقابل المادة ، فما اتصل بالبدن والأشياء المحسة يسمى بالمادة ، ومايدخل نطاق المعنويات والمشاعر والوجدانيات يسمى بالروح أو الروحى ·

وأصبحنا نقصد بالتربية الروحية تلك التربية التى تسعى الى تطهير القلب ، وتهذيب النفس ، والتحلى بالأخلاق الفاضلة ، والابتعاد عما لايليق بالانسان الكريم المعدن ، والاعتزاز بالمعانى النبيلة والمشاعر السامية ، وهذا هو هدف التربية الدينية القويمة ·

وبعض الناس يجهل حين يقصر معنى التربية الروحية على الناحية التعبدية بالمعنى المألوف ، مع أن هذه التربية الدينية ينفسح مداها حتى يشمل كل مايرقى بالانسان فى أحاسيسه وعواطفه ، ومشاعره وأخلاقه ، فالايمان بالبارىء الأعظم ، مع الشعور بجلاله وجماله وكماله ، لون من التربية الروحية ، والتعبد بما جاء فى الدين الذى يؤمن به الانسان لون من التربية الروحية ، وحب الخير وكراهية الشر لون من التربية الروحية ، والشعور بالشخصية الفردية مع المشاركة الوجدانية والاندماج فى الشخصية الجماعية لون من التربية الروحية ، وحب الوطن والغيرة عليه والدفاع عنه لون من التربية الروحية ··
وهكذا نستطيع أن نقول : ان ما يقابل التربية الحسية المادية يكون تربية روحية ، وان كان المؤثر الأكبر فى التربية الروحية هو وجدان النفس وتأثر القلب ، والدين بطبيعة الحال أقوى فى التوجيه الروحى من أى مؤثر آخر ، لأن المؤمن به يعتقد ويجزم ويوقن بأنه هدى الهى مسوق اليه ممن لا يجوز عليه النقص أو السهو أو النسيان ، وممن خلق الأشياء والأحياء ، وهو أعلم بخيرها وشرها ومايسعدها ومايشقيها « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » ؟! ··

هذا فيما يتعلق بتحديد المراد من التربية الروحية اللازمة لكل انسان ، لأن كل انسان مكون من مادة هى جسمه ، وروح هو مجموعة قواه المعنوية والعاطفية والوجدانية ، فما علاقة هذه التربية بالمجتمع الذى نريد أن يكون بناؤه سليما قويا ؟! ··

ان المجتمع بناء يتكون من لبنات هى الأفراد ، والتلازم واضح بين الطرفين ، فحيثما وجد المجتمع وجد معه الأفراد ، وحيثما وجد الأفراد تكون منهم المجتمع ·· كما أن التأثير

متبادل بين الأفراد والمجتمع ، فاذا ارتقى الأفراد بعقولهم وقلوبهم وحواسهم ومقاصدهم ، ارتقى المجتمع وسما ، والعكس بالعكس ، والمجتمع اذا كان طهورا فاضلا عاد ذلك بالخير على أفراده ولبناته ، واذا طافت بالمجتمع طائفات من الانحطاط أو الانحراف أثر ذلك فى الأفراد ، فالفرد مرتبط بالمجتمع ، والمجتمع مرتبط كذلك بالأفراد .

ومعنى هذا أننا فى أشد الحاجة الى اعداد الأفراد اعدادا صالحا ، يتكون لنا منهم لبنات سليمة قوية ، تترابط وتتعاون ، حتى تكون هذا البناء الضخم وهو المجتمع . ولا يمكن للفرد أن يحس فى صدق وعمق بمعانى التكافل والتعاون وتبادل الخير الا اذا كانت هناك قوة روحية مسيطرة ، تهيمن عليه وتوجهه وتقود زمامه ، وأسمى صورة لهذه القوة الروحية أن تتكون عند صاحبها على أساس ايمان صحيح راسخ بالقوة الخالقة المبدعة، وهى الله جل جلاله ، **رحمن الدنيا والآخرة ، وقيوم السموات والأرض، ومن بيده ملكوت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير : « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين » .**

ولذلك يقرر المربون أن أهم أساس فى التهذيب الروحى هو الايمان الدينى ، لأن هذا الايمان قوة عجيبة رائعة ، تشعر صاحبها دائما بأنه لا يقتصر فى محاولاته خلال حياته على جهده المحدود أو طاقته القاصرة ، بل هو يصل أسبابه بأسباب تلك القوة الغيبية الكبرى ، التى لا يحد سلطانها ولا قدرتها ، **واذا ما شعر المرء بذلك أحس بأن من ورائه مددا أى مدد ، وبأن له حصنا أى حصن ، فيبعث هذا فى نفسه الطمأنينة من جهة ، والقوة من جهة ثانية ، والمثابرة من جهة ثالثة، ورجاء الرحمة من جهة رابعة ، وخشية العذاب من جهة خامسة ، فيعتدل على الطريق ،ويستقيم على الصراط .**

والقرآن يحدثنا بأنالمؤمنين حينما يسلمون وجوههم وقلوبهم لخالقهم وبارئهم ، يعتصمون بالحصن الأشم الأعلى ، ويستمسكون بالعروة الوثقى التى لاانفصام لها ، فهم يسمعون من ربهم ويطيعون ، وهم يسألونه وبه يستعينون، وهم يرجونه الهداية والتوفيق ، والعفو عن الزلل والخطأ ، والنصرة على الأعداء الآثمين : **« آمن الرسول بماأنزل اليه منربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا واليك المصير ، لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .**

والايمان بالله ، وبشرعة الثواب والعقاب، هو الذى يحرض صاحبه التحريض القوى على تطلب السمو الروحى ، ومقاومة معوقاته ، ولذلك جاء فى الحديث النبوى : « **ان المؤمن ينضى لله شيطانه ، كما ينضى أحدكم بعيره فى السفر** » . أى أن المؤمن يجتهد فى تطهير روحه ، وتصفية نفسه ، وتعمير حياته بعمله الكريم الطيب ، وكلما جاءه شيطان السوء ليوسوس اليه ، أو ليلفته عن خطته ومنهجه وطريقته أعرض عنه المؤمن وتأبى عليه ، واستمر دءوبا على نضاله وأعماله ، فيرهق شيطانه بذلك ويتعبه ، وأنعم بذلك من جهاد .

ويقول عبد الله بنمسعود : « شيطان المؤمن مهزول » أى بخيل ضعيف مريض ، لا يقوى على وسوسة أو اغواء ، لطول ما قاومه المؤمن بحزمه وعزمه وقوته الروحية ، ويقول أحد العابدين المجاهدين ــ وهو قيس بن الحجاج: **« قال لى شيطانى دخلتفيك وأنا مثل الجزور، فصرت الآن مثل العصفور ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : تذيبنى بذكر الله » !**

وليس المراد بذكر الله هنا هو ترديد اسمه باللسان فقط ، بل معناه الايمان به ، ومن آمن بالله أدام ذكره ، ومعناه مراقبة الانسان لربه فى عمله ، واستعانته به فى حياته ، واستحضاره لهيبته فى القول والعمل ، والحركة والسكون ، وبذلك يبلغ المرء مرتبة الاحسان التى ينتهى اليها الايمان ، والتى عبر عنها الرسول بقوله : « **الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك** » **والتى أشار اليها القرآن بقوله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين** » •

ولقد كانت التربية فى المجتمع العربى الاسلامى تنهض على الأساس الروحى الذى يتفرع عنه فروع لها صلة بالحياة والمادة والاقتصاد والعمران ، وغير ذلك من نواحى المجتمع • وكانت هذه التربية تسير فى العصور الراشدة معتدلة قاصدة ، لا يسرف أصحابها فى الروحيات حتى تجعلهم أشباحا سلبيين ، لأنه لا رهبانية فى الاسلام ، ولا يسرفون فى الماديات حتى يكونوا كالعجماوات التى لا يهمها الا ملء البطون وقضاء الملذات والشهوات ، فهذا شأن الكافرين الماديين الراتعين فى الحمأ المسنون : « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام (البهائم) والنار مثوى لهم** » • **والرسول يرمز الى ذلك فيقول « المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»**•

ونستطيع أن نتعرف الى ملامح هذه الطريقة المعتدلة المتوسطة فى عهد النبوة وفى عهد الخلفاء الراشدين ، وفى الأيام الطيبة المزهرة من حياة بعض الأمويين كعهد عمر بن عبد العزيز الحاكم العادل وخامس الراشدين ، ولكن الدنيا أقبلت بخيلها ورجلها على المسلمين عامة ، وعلى العرب خاصة ، فاذا الفتوح تكثر ، واذا الغنائم تتضخم ، واذا الحياة تلين وترق بمتعها وخيراتها ، واذا الترف يجد طريقه الى كثير من الناس ، وتجلى ذلك بوضوح فى عصر العباسيين ، وخشى كثيرون من أهل الغيرة على العقيدة وعلى الحياة الروحية أن يتفاقم الخطب ويتزايد الخطر ، لأن الترف هو المعول الذى يقوض بنيان المجتمع ، ويهدم كيان الأمم ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « **واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها (أى كثرناهم) ففسقوا فيها فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا** » •

فكان من جراء ذلك أن نهض هؤلاء يقاومون الترف والتمتع الفاحش بملذات الحياة فأخذوا ينشئون المسالك الصوفية الزاهدة ، التى تجعل الناس يعرضون عن الطيبات فى هذه الحياة ، ويتقشفون ويزهدون ، وكما أسرف السابقون لهم فى التمتع بملذات الحياة ، أسرف هؤلاء فى تركها واهمالها ، مع أن الله ــ تبارك وتعالى ــ قد رسم الطريق وحدد المعالم فقال : « **انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** » • **ويقول : « يابنى آدم ، خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها ومابطن ، والاثم ، والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** » •

والقول الفصل هنا ، هو أن يتذكر الانسان أنه مكون من جسم وروح ، وللجسم مطالبه ، وللروح حياتها وحقوقها ، فاذا فسد الجسم بالتفريط فى حقه ، أو الافراط فى شهواته ، انهدم أحد الركنين الأساسيين اللذين تنهض عليهما حياة الانسان ، واذا فسدت الروح بأن أهملها الانسان حتى أضعفها وأهانها صار حيوانا أو كالحيوان ، واذا عنى صاحبها بها وحدها وأهمل الجسد صار الانسان شبحا هزيلا سلبيا فى هذه الحياة ، واختط لنفسه خطة جائرة بعيدة عن هدى الله ، لأن الله يريد

منا أن نعنى بالجسم والروح ، وأن نعمل للدنيا والآخرة ، وأن نجمع بين التمتع الطيب والتعبد السليم ، والأثر الاسلامى يقول : **« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » !..**

***

ودارت الأيام بنا دوراتها ، وبلينا فيما بلينا بنكبة الاحتلال الأجنبى ، فوطىء بلادنا بأقدامه القذرة ، وحرص بكل وسيلة فى عهده على فصل التربية الروحية عن التربية العقلية والمادية ، فقصر مناهج المدارس والمعاهد — فى عهده المظلم الأسود — على تخريج موظفين هم كأنصاف المتعلمين أو كأنصاف الجاهلين ، قد يحسنون شيئا من الحساب والكتابة ، ولكن أرواحهم لم تتزود بزادها الذى يجعلها حية قوية ، تأبى الضيم ، وتعاف الذل ، وتهيم بالمكارم ، وتشغف بجلائل الأعمال ، واستطاعوا حينئذ — بهذا الفصل بين التربية الروحية والتربية المدرسية — أن يحطموا القوى المعنوية فى نفوس الأفراد والجماعات ، ومانريد التوسع فى استعراض هذه الصفحات الأثيمة للاحتلال الأثيم فى بلادنا ، فان حديث الأفاعى طويل المدى ، ولكنه يحسن بنا أن نتذكر أن هذا الاحتلال الأوربى اللئيم كان اذا وجد روح التدين قويا — والتدين عماد التربية الروحية — عمد الى تحريف الدين فى نظر الناس ، والى استغلال بعض رجاله أسوأ استغلال ..

فهؤلاء مثلا هم الانجليز أصحاب الأفاعيل السود .. لقد احتلوا الهند بقوة الحديد والنار ، ولكنهم وجدوا هناك ملايين من المسلمين فيهم نخوة الاسلام ، وفيهم روح الشجاعة والاقدام ، وفيهم تلك القوة الروحية المعنوية ، التى تجعلهم يفضلون المنية على الدنية ، ويؤثرون الشهادة فى سبيل الحرية والعقيدة ، على الحياة فى ظلال الهوان والمذلة ، **وأخذت هذه الملايين تقاوم هذا الاحتلال البريطانى الأثيم ، وتقوم بحركة الجهاد الذى فرضه عليهم دينهم ووعدهم فيه احدى الحسنيين ، فاما النصر مع العزة فى الحياة ، واما الشهادة مع النعيم فى الآخرة ..**

فماذا يصنع الانجليز أمام هذه المقاومة الناشئة عن الايمان بأن الذل كفران بالله ، وعن الاعتقاد بأن الخضوع للمحتل اثم كبير؟
صنع الانجليز متنبئا كذابا مفتريا فى مقاطعة « البنجاب » بالهند ، وفى بلدة « قاديان » ، وهذا المتنبىء المفترى الكذاب هو غلام أحمد القاديانى الذى أغراه الانجليز بأن يحرف للهنود المسلمين تعاليم دينهم حتى تنحرف تربيتهم الدينية ، واستجاب صنيعة بريطانيا لرغبتها ، فأخذ يذيع بين الناس أن الجهاد ليس من تعاليم الاسلام ، وأن عهده قد مضى وانقضى ، ويدعو الناس الى الخضوع لبريطانيا والنزول على أمرها ، لأنها ولية الأمر ، وطاعة أولياء الأمور واجبة ! .. ألا ساء مايزعمون !

وهكذا كان الاحتلال يحرص على أحد أمرين لهدم القوى الروحية فى الأمة المحتلة ، فاما أن يحرمها التهذيب الروحى المتسامى بأصحابه ، واما أن يحرف لهم تعاليمهم الدينية ومبادئهم الروحية ليظلوا فى يديه لعبا أو أكرا يحركها كما يشاء .

ولكن الأمة المؤمنة أخذت بعد الاستقلال تعرف للتربية الروحية حقها ، فجعلت للتهذيب الأخلاقى مكانته ، وأخذت تعنى بغرس الوازع الدينى فى نفوس التلاميذ عن طريق الدراسة والعبادة والقدوة والتدريب ، وثمرات هذا التوجيه الروحى لا تظهر ولا تينع فى مدة قصيرة ، لأننا نحتاج — أولا — الى أن نتطهر من رواسب الماضى وهى ثقيلة عميقة ، ومن جهة أخرى نحن فى دور تجربة ، وقد يبدو لنا بعض النقص فى المدرس ، أو بعض النقص فى الدارس ، أو بعض النقص فى المنهاج ، وهذا كله يمكن تداركه واصلاحه على توالى الأيام وتتابع التجارب ، كما أن المرتقى المأمول — الذى يرجوه الغيور لأبناء الأمة فى مستواهم الروحى والأخلاقى والدينى — مازال على مرمى البصر منا ، وواجبنا أن نحدو اليه الجموع مرحلة بعد مرحلة ، والله خير مستعان .





الأستاذ
عبد المنعم النمر

امتاز العصر الحديث بظهــــور مبــادىء اقتصادية ، ترمى الى الحد من سيطرة رأس المال وتحكمه فى مصالح الشعوب ، ومصائر الحكومات ، كما ترمى الى ضمان مستوى من العيش الكريم ، يناسب كرامة الانسان .

وكان ظهور هذه المبادىء . رد فعل لما كان يعانية المجتمع الأوربى حينــذاك من شرور الاقطاع وتحكم رأس المال مما أفسح لهـــا الطريق الى نفوس الجمـــاهير ، حتى قامت باسمها أحزاب ودول، ثم اعتنقتها مئات الملايين لا فى أوربا فحسب . ولـــكن فى كـل قارات الدنيا ، وعرفناها نحن العـــرب المسلمين ، ونحتنا لها من لغتنا أســـماء جديدة تدل مفاهيمها عليها كالاشتراكيـــة والشيوعيـــة وكالتأميم ... الخ ..

وكان من الطبيعى أن ينشــط البــاحثون الاسلاميون للبحث عن هذه المفاهيم فى الاسلام، ومعرفة مدى اتصالها به ، وما اذا كان فيه مثل هذه الأهداف أو المبـادىء التى أعلنتها هذه المذاهب ، وتهافتت عليها الجماهير فى كـل مكان ..

وكان قصد هؤلاء الباحثـــين أن يبرزوا لاخوانهم المسلمين ما يتعارض منها مع الاسلام أو ما يتلاقى معه ويعنى به، حتى يقل اندفاعهم الى استيرادها من الخارج ، وليلفتوا نظرهم الى أن الخير كل الخير هو فى ايثار ما عندنا من مثل كريمة ، وخطط سليمة نابعة من بيئتنا وتقاليدنا وأعماق نفوســنا ، لعــلاج ما فى مجتمعنا من أمراض ، بدلا من استيراد خطط ومبادىء من الخارج لها ظروفها التى لا تتفق مع ظروفنا وأوضاعنا ، فيكون الضرر منها أكثر من النفع بها .

واختار الباحثون لأبحاثهم بعض العناوين الأجنبية المشهورة ليضعوها ــ بعد تعريبها ــ لافتة على مبادىء الاسلام ، فكانت التســمية جديدة ، ولكن المفهوم قديم ، ربما كانت له أسماء أخرى غير هذه الأسماء المشهورة الآن .. فوجدنا مثلا من يقول « **أبو ذر الاشتراكى** » أو « **اشتراكية الاســلام** » أو « **التأميم فى الاسلام** » .

وقد يكون لهذا الاستعمال ما يبرره من رغبة الباحثين فى الاسراع الى مخاطبة الجماهير ، تحت العناوين البراقة التى ألفوها وانخدعوا بها ، والتحدث اليهم بما فى الاسلام من خطط ومناهج ومبادىء تحقق لهم ما يعلقونه من آمال على هذه المبادىء المستوردة .. فكانت المسألة تشبه عملية عرض سريع لبضاعة وطنية تحت اسم مشهور أجنبى لجذب النـــاس الى هذه البضاعة وتجربتها .. حتى يعرفوا أنها خير مما يرد اليهم من الخارج .

ولكم نود أن ينهض الغيارى من الباحثين . لاستخراج وتجميع ما فى الاسلام من منــاهج كاملة لاقامة المجتمع الصالح فى كل نواحيــه ، ثم نقبل على هـــذه المناهج من كل قلوبنا ،

ونتخذها سبيلنا لبناء المجتمع الذى نريده ، وأن يكون عندنا من الشجاعة والايمان بها ، ما يجعلنا نتخلص من المبادىء الأجنبية ولافتاتها، ونعرضها على أنها بضاعتنا موضوعا وشكلا ، ثم نقدمها لغيرنا على هذا الوضع لكى يجربها، بعد أن يعرف أننا جربناها وسعدنا بها ٠

وأنا واثق أن هذه المناهج بما قامت عليه من أسس روحية أخلاقية ، وبما تبعثه من حب النفوس للخير والعمل له دائما ، ستغزو حينئذ قلوب العالم كما غزته من قبل٠٠ وذلك يتوقف - بلا شك - على مبلغ ايماننا بها وتحمسنا لها وارتباط حياتنا بها ٠٠

* *

هذا كلام أردت أن أقدمه بين يدى البحث الذى أريد الحديث عنه الآن ، وهو بحث يدور حول أحد هذه المبادىء التى عرفت على أنها من انتاج الغرب الفكرى وهو « التأميم » ومدى صلته بالاسلام ٠

وقد عرفنا التأميم بأنه تحويل الملكية الخاصة لفرد أو أفراد الى ملكية عامة للأمة لتنتفع به وبثمرته ، وتتولى الحكومة ادارته والأشراف عليه ، بما يحقق المصلحة منه مثل كثير من المرافق العامة التى تديرها ٠ ٠وقد رأينا الدول التى أخذت به تختلف فيما بينها فى أسلوب تطبيقه ، فبعضها صادر الملكية الفردية نهائيا ، وجعل كل شىء ملكا للدولة ، وبعضها اقتصر فى تطبيقه على بعض الملكيات دون بعض تبعا لتقديره المصلحة فى ذلك ٠٠

فما هو موقف الاسلام من مبدأ « التأميم » هل يمكن - اذا دعت حاجة الأمة اليه فى ناحية من النواحى - أن نأخذ به دون أن يكون فى ذلك مخالفة للاسلام والى أى مدى يمكن ذلك ؟

وقد بحثت هذا الموضوع منذ عشر سنوات قبل قيام الثورة ضمن الموضوعات التى اشتمل عليها كتابى « الاسلام والشيوعية » وبحثى الآن يتناول المبدأ فى حد ذاته دون دخول فى التفاصيل ، ولا فى طريقة التطبيق فان ذلك أمر متروك للحاكم يفعله بما يحقق المصلحة منه ، دون اجحاف بأحد أو حدوث ضرر ، قد يعوق المصلحة المنشودة منه ٠٠ على أنى أبادر فأقول ان حدوث أى خطأ فى تطبيق مبدأ من المبادىء ما كان أبدا ليطعن فى صحة هذا المبدأ أو يغض من قيمته الذاتية ، وان كان قطعا مما يسيىء اليه ٠ ذلك لأن البشر معرضون للخطأ والصواب ، ومدى ما يمكن أن نلزمهم به هو المبادرة بتصحيح الخطأ حين اكتشافه ايثارا للصواب وتحقيقا للمصلحة المنشودة ٠

ولكى يأخذ هذا الموضوع حظه من البحث لا بد أن نتناول النقاط الآتية :

أولا - موقف الاسلام من الملكية الخاصة :

فالاسلام يحترم الملكية الخاصة التى جاءت عن طريق صحيح مشروع ، بحيث لا يجوز لانسان أن يأخذ مالا بدون رضا صاحبه ، وقد وضع الاسلام عقوبات رادعة ٠ لكل من تسول له نفسه الاعتداء على هذه الملكية فى الوقت الذى جعل فيه من يقتل فى سبيل الدفاع عن ملكه شهيدا كمن يقتل فى سبيل الدفاع عن عرضه ٠٠ وهذا كله فى الأحوال العادية أى اذا لم تطرأ ضرورة من الضرورات تجعلنا نخرج عن هذه القاعدة ، فاذا كانت هناك حاجة ومصلحة تصرفنا فى حدودها ، وهذا يعنى أن الاسلام لا يقر مصادرة الملكيات الفردية كلها وحرمان الأفراد من حق التملك حرمانا تاما ، كما فعلت الشيوعية فى روسيا ٠٠

ثانيا : الملكية الخاصة : من الأمور المباحة

يعنى أن الاسلام لم يفرض على الشخص أن يمتلك ، كما لم يحرم عليه ذلك ، بل أباح له أن يتملك ما يشاء مما يصح تملكه بالطرق المشروعة ٠٠ وللفقهاء قاعدة مقررة ، وهى : أن الشىء المباح فى حد ذاته قد تحيط به ظروف تحتم فعله أو تحرمه أو تجعله شيئا مرغوبا فيه أو مكروها ٠ فشرب الانسان الماء مثلا من الأمور المباحة ، يشرب الانسان متى شاء ولا يترتب على ذلك وجوب أو حرمة أو كراهة ٠٠ الخ ٠٠ ولكن قد تطرأ على الانسان ظروف توجب عليه أن يشرب اذا تعين الماء انقاذا

لحياته ، أو تحرم عليه الشراب اذا أنتج عنه ضرر محقق .. وقد يحسن اذا كان أفيد للجسم فى هذه الظروف وقد يكره فى بعض الحالات .. وهكذا كل شىء مباح فى أصله يمكن أن تطرأ عليه الأحكام الأربعة كما يقول الفقهاء : الوجوب والحرمة والندب والكراهة تبعا لاختلاف الظروف ، والمصالح ..

والمصلحة العامة للأمة هى مدار التشريع ، وهى مقدمة على المصلحة الخاصة متى حصل تعارض بينهما ، وحيثما توجد المصلحة فثم شرع الله كما يقول الأئمة من العلماء ..

ثالثا : أعطى الاسلام لأولى الأمر فى الأمة البصيرين بأمورها ، الغيارى على مصلحتها المسئولين عن سياستها ، أعطاهم الحق فى أن يتدخلوا فى الأمور المباحة عند الحاجة فيفرضوها على الأمة لما فيها من منفعة عامة محققة ، أو يحرموها عليها لما فيها من ضرر ويصبح من الواجب عليها طاعتهم فى كلتا الحالتين • فالزراع مثلا أحرار فى أن يزرعوا أرضهم بما يشاءون هذه هى القاعدة الأساسية، ولكن قد تطرأ ظروف ، يرى الحاكم فيها أن مصلحة الأمة توجب زراعة صنف معين أو توجب الأكثار منه وتحرم زراعة صنف آخر أو تقلل منه فله فى هذه الحالة أن يصدر قرارا بما يراه محققا للمصلحة وعلى الأمة أن تطيع هذا القرار وتنفذه • وفى ضوء هذه القاعدة أمكن للمسلمين الأول وللفقهاء أن يتدخلوا فى الحكم على أشياء كثيرة لم يرد فيها نص معين بالوجوب أو الحرمة ، ويجدوا الحلول الناجعة لكثير من المشاكل المستحدثة •

فرأينا عمر رضى الله عنه يمنع بعض كبار الصحابة من مغادرة المدينة لحاجته اليهم بجانبه ، وخوفا من تفرق الناس حول آرائهم حين يذهب كل منهم الى بلد من البلاد ، مع ان الدخول للمدينة أو الخروج منها مباح فى حد ذاته .. ورأيناه يأمر بالاقلال من الاشتغال بحديث رسول الله لما رأى الناس يشتغلون به عن القرآن، ورأيناه ينهى عن التزوج بالكتابيات حين رأى فى التزوج بهن ضررا على المسلمات وعلى مصلحة الأمة ، مع أن التزوج بهن مباح بنص القرآن •

وبناء على هذه القواعد وهذه السوابق ، يمكن الحكم على أشياء كثيرة مما يجرى فى أيامنا من وجهة النظر الاسلامية .. فلولى الأمر أن يمنع فردا أو أفرادا من التملك لشىء اذا كانت مصلحة الأمة متعينة فى ذلك • وله أن يحد من الملكيات الواسعة اذا تحقق بعد البحث والدراسة من المختصين أن فيها ضررا لا يمكن ازالته الا بهذا الاجراء .. وله أن يستولى على بعض الملكيات الخاصة لجعلها منافع عامة للأمة اذا كانت هناك ضرورة ومصلحة عامة تبرر هذا الاستيلاء ، ولو لم يرض أصحابها ، مع ضرورة دفع التعويض العادل لهم .. وهذا الأخير هو التأميم ..

هذا من جهة القواعد العامة للشريعة ، وقد رأينا أنها تتسع له ولا تعارض فيه متى كانت هناك مصلحة عامة من ورائه ..

وعندنا فوق هذه القواعد العامة سوابق يعتمد عليها ويستدل بها فى هذا الموضوع ، وهى ــ ان أردنا تسميتها بلغة العصر الحديث ــ نص فى وقوع التأميم فى العصر الأول للاسلام •

فقد ذكر صاحب مرآة الحرمين عن الأزرقى والامام أبو الحسن الماوردى وغيرهما أنه « لما استخلف عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ اشترى دورا وهدمها ووسع بها المسجد وكانت تلك أول زيادة ، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع عن البيع فوضع عمر أثمانها فى خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك .. الخ • وهذا نص فى أن عمر ــ رضى الله عنه ــ استولى على دار وهدمها ليوسع بها المسجد ، وذلك بغير رضا صاحبها .. وحين امتنع الرجل عن أخذ الثمن وضعه فى خزانة الكعبة باسمه • وجاء الرجل بعد ذلك وأخذ الثمن ..

والحكومات الاسلامية المتعاقبة منذ صدر الاسلام الى اليوم تفعل مثل ذلك حين تنزع بعض الملكيات دون رضا أصحابها لحاجتها اليها فى توسيع مسجد أو بنائه أو شق ترعة أو مصرف أو شارع أو بناء مدرسة أو مرفق

آخر من المرافق العامة . ولم نعرف منذ صدر الاسلام الى اليوم من قال - من الصحابة او الأئمة الأعلام او العلماء الموثوق بهم - ان هذا حرام واعتداء على الملكية الخاصة لا يبيحه الشرع بل أقروه واعتمدوه وأفتوا به .. وهذا هو التأميم وان كان فى نطاق ضيق الا أنه وضع قاعدة وهى جواز نزع الملكيات الخاصة لتحويلها الى ملكية عامة للأمة تنتفع بها فى أية صورة من صور الانتفاع .. والمهم هو جواز المبدأ ، وسواء اقتضت المصلحة العامة نزع ملكية صغيرة أو ملكية كبيرة فهذا لا يضر كما لا يضرنا شكل الملكية الخاصة التى نزعت وحولت الى ملكية عامة ..

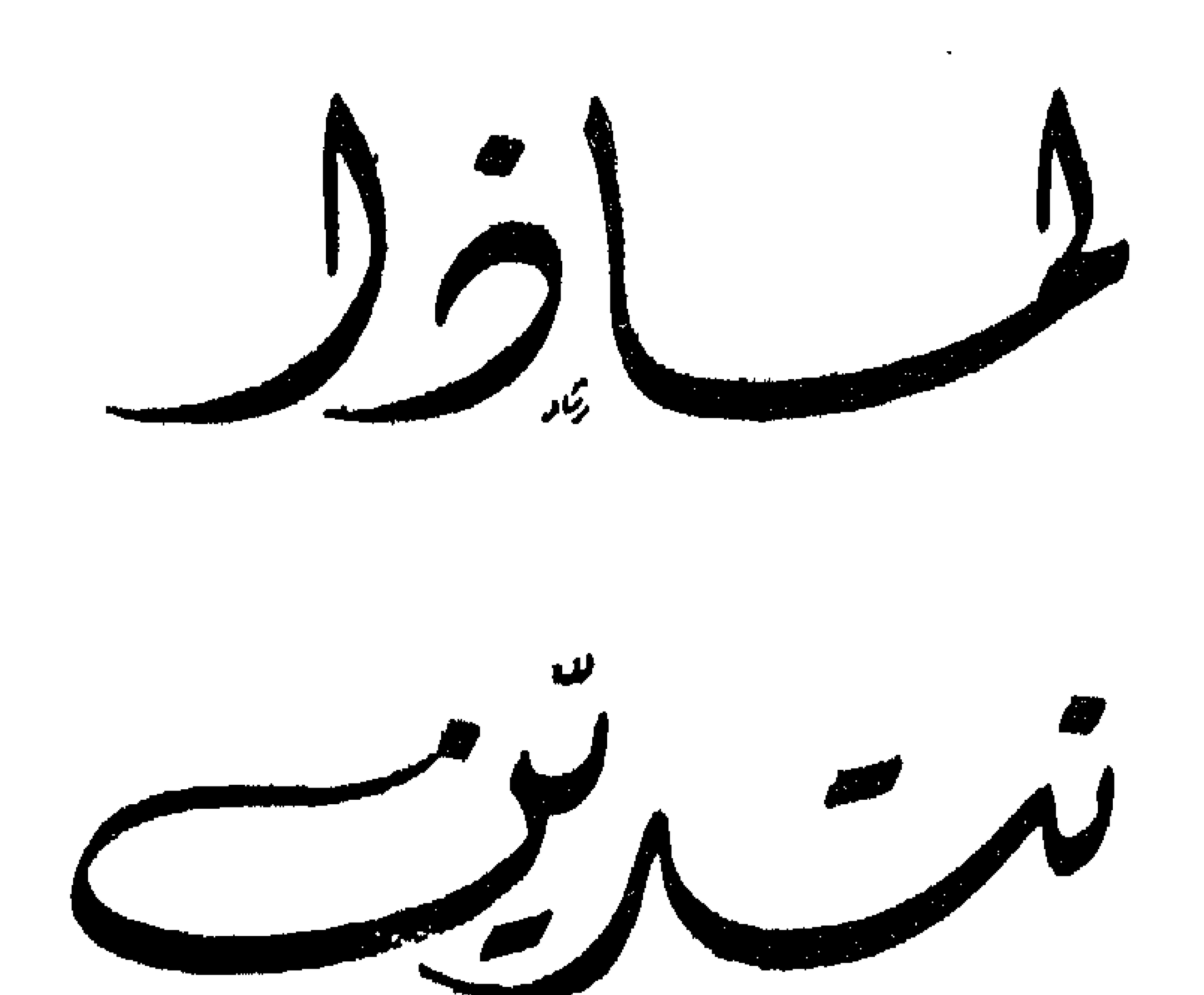
وعندنا فوق هذا سابقة عمرية أخرى روتها كتب التاريخ الموثوق بها ولا يتسع المجال هنا لذكرها كما وردت ، ولذلك نلخصها فى سطور قليلة على أن يرجع من أراد اليها مفصلة ويمكن أن نسمى ما حدث تأميما بلغة عصرنا وكان على نطاق أوسع ، وذلك حين هزم الجيش الاسلامى جيوش كسرى واستولى على أرض العراق وما جاورها وطالب الجنود الفاتحون ان يقسم عمر عليهم حقوقهم من غنيمة الأرض كما جرى على ذلك العمل أيام الرسول وأبى بكر وأيام عمر نفسه .. ولكنه توقف هذه المرة عن توزيع الغنائم على مستحقيها ، لأنه رأى أن المصلحة العامة للمسلمين تقضى بجعل هذه الأراضى ملكا عاما للسلمين جميعا ، ينفق من دخلها على مصالحهم لا ملكا خاصا للأفراد ، واشتدت معارضة الفاتحين لعمر وانضم اليهم عبد الرحمن بن عوف وغيره رضى الله عنهم جميعا وقالوا له : كيف تأخذ حقنا الذى حصلنا عليه بأسيافنا وتوقفه على قوم لم يشهدوا الحرب وعلى أبنائهم وذراريهم وهم لم يشهدوا حربا ؟ .. وطالت المناقشة ، فاستدعى عمر عشرة من كبار الصحابة وعرض عليهم رأيه وقال : زعم هؤلاء أنى أظلمهم حقهم ، ومعاذ الله أن أركب ظلما ، ولكنى رأيت أنه لم يعد هناك أمامنا بلد نفتحه أغنى من بلاد كسرى فاذا قسمت ما غنم هؤلاء منها بينهم فمن أين نجد الأموال التى نسد بها الثغور ، وننفق منها على الجيوش والأرامل والمحتاجين ؟ .. ولذلك رأيت أن أجعل هذه الأراضى ملكا عاما للمسلمين جميعا نستغل دخلها للانفاق منه على مصالحهم والدفاع عن حدودهم .. فاقتنع الصحابة وقالوا : الرأى رأيك نعم ما قلت ، ونعم ما رأيت .. ونفذ عمر رأيه ومسح الأرض وجعلها ملكا عاما للمسلمين يذهب دخلها الى خزانة الدولة ..

وهذا هو التأميم . **فان الأرض أصبحت** حقا للأفراد الفاتحين وملكا لهم بمقتضى الفتح ، وكانت تقسم بينهم . لكن عمر فى هذه المرة رأى ألا يسلم الفاتحين حقهم من الأرض وجعلها حقا عاما للمسلمين كما رأيت . وهناك شواهد فعلية متعددة لا يتسع لها المقام الآن.

وهكذا ترى مما سبق كله أن مبدأ التأميم تقره القواعد الشرعية ، كما أنه وقع فى صدر الاسلام ونفذ ، وان لم يكونوا يعطونه هذا الاسم الحديث « التأميم » .

ومن الممكن للحاكم المسلم الذى يعتمد على تعاليم الاسلام ، أن يستعمل هذا الحق عندما تدعو اليه ضرورة مصلحة الأمة ، على أن يراعى فى تطبيقه تحرى المصلحة العامة وحسن تقديرها ، حتى لا تتخلف عنه عواقب ضارة توازى المصلحة المبتغاة منه فنكون قد أسأنا الى المبدأ ، والى المصلحة التى ننشدها .. وعلى أن يقوم بدفع التعويض العادل لصاحب الملكية المستولى عليها ..

وهكذا نرى أن الاسلام بنصوصه وقواعده العامة ، لا يمكن أن يقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق مصلحة عامة للأمة وأنه كفيل بتوفير النهضة التى نرجوها لو اتخذناه أساسا لحياتنا، والتمسنا من هديه العلاج لكل أدوائنا « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين » « ومن أصدق من الله قيلا » .



الأستاذ
محمد خليفة التونسي

يتدين الناس تلبية لدواعي الحياة في نفوسهم ، ومجاراة لبواعثها وارضاء لأشواقها ، وتأمينا لمخاوفها ، وليست هذه العوامل الحيوية النفسية على درجة واحدة من الرفعة أو الضعة ، ولا تجرى على نمط واحد من القوة أو الضعف ، والسعة أو الضيق ، وان كانت كلها بشرية بمعنى أنها نابعة من الطبيعة البشرية ، ملازمة لها ملائمة لمصلحتها .

فالانسان يتدين طلبا للمعرفة كما يتدين طلبا للفضيلة ، ويتدين طلبا للتعبير عن مواجد نفسه ، كماتكشف عنذلك شتى فنونه مما يدل على عمق جذور الفن في النفس البشرية والتباسها بجذور الدين في أعماقه حتى فيما لا تظهر عليه علاقة بين الدين والفن ، وكلاهما ممايرضى حب الانسان للجمال .. وميله الى النظام والحرية متعاليا فوق القيود التى تحبس فى أسرها من دونه من الكائنات .

ويتدين الانسان طلبا للرفعة أو الشرف أو الغلبة كما يتدين طلبا للألفة مع من حوله وما حوله ، أو حبا للسكينة والأمن والقرار ، وكلها تجرى مع ميل الانسان الى توكيد ذاته ، وترضى حبه لنفسه وحاجته الى الاجتماع بغيره .

ومن هنا يبدو لنا نطاق التدين في النفس واسعا يكاد يشمل جملة حياتها بكل ماتنطوى عليه من قوى واستعدادات ، ومن هنا كان أرضى الأديان للانسان ما جمع بين مختلف مواهبه والف بين وجوه نشاطه فى مختلف مجالات حياته الكمالية والضرورية . ومن هنا أيضا كانت نزعة الانسان الى أن يبسط سلطان الدين على كل وجوه نشاطه حتى ما ليس للدين عمل فى خططه ولا نتائجه ، وان كان من صميم عمله فى مصادره الأصيلة خلال النفس الانسانية ، أو كان من البواعث عليه ، أو كان مما لا ينافيه هناك ، أو لم يكن له عمل به فى مصدره ولا وجهته ولا غايته .

وتاريخ الأديان ــ و لاسيما قديمها ــ وهو تاريخ حياة الانسان الشاملة منذ وعى ، وهو كذلك تاريخ فنونه وفلسفاته وعلومه وصناعاته ونظمه الاجتماعية .

تدين الانسان منذ وعى ، وكذلك منذ وعى حاول أن يجعل نفسه وما حوله موضوعات لتفكيره ليعرفها بفكره وحسه وخيالهوشعوره ووهمه ، كما حاول أن يصنع ما يحتاج اليه على وفق معرفته ، وأن ينظم شئون حياته وشئون مجتمعه على نحو ما أدته اليه مداركه حتى يستقر على حال تؤمنه على حياته وتكفل له نمو نفسه ، ومضى فى مراحل الدين طورا بعد طور فى عصر بعد عصر كما مضى فى مراحل المعرفة وتهيئة وسائل المعاش ونظم الاجتماع يتخبط فى طريقه فيهتدى حينا ويضل حينا حتى اليوم .

وظهر له ــ خلال تطوره النفسىوالاجتماعى قرونا بعد قرون ــ أن بعض مايؤمن به لايتفق

مع عقله أو علمه أو نظامه الاجتماعي ، وكثيرا ما اتسعت شقة هذا الخلاف بنمو ملكاته وتمايزها وتخصص كل منها بوجه معين من نشاطه ، ولكن الانسان كان دائم الحرص على التوفيق بين جوانب نفسه أو جوانب حياته ، فعدل كثيرا مما يؤمن به، كماعدل كثيرا من معارفه وأوضاعه الاجتماعية ، لينتظم سعيه على وجه واحد ، ولا يتبدد نشاطه في وجوه كثيرة متدابرة . **وهذه التعديلات لاتبطل أساس التدين كما لا تبطل أساس المعرفة ولا أساس الاجتماع ، وان دلت على أن طرق الهداية الى الحقائق عسيرة مختلفة ، وأن أطولها وأعسرها طريق الهداية الدينية الى حقيقة الوجود الكبرى التي تعلو سائر الحقائق وتشملها وتفيض عليها وجودها .**

ولهذا احتاج الانسان في طريقها الى مجاهدات أكبر في عصور أطول مما احتاج في طريق الهداية الى غيرها من الحقائق الصغيرة القريبة ، واعتز بما حصل من جانبها أشد مما اعتز بمحصوله من غيرها ، فانما على ايمانه بهذه الحقيقة الكبرى تستقر حياته هو وسائر الكائنات من حوله وتستفيد حكمتها ومعناها وغايتها ، وبغير هذا الايمان تكون تلك الحياة حركة قلقة مضطربة بلا حكمة عنده ولا معنى ولا غاية .

لم يكن يشق على الانسان في مجال المعرفة بالطبيعة حوله أن يستبدل فكرة بفكرة أو رأيا برأي ، ولا في مجال معاشه فيها أن يستبدل مكانا بمكان أو وسيلة بوسيلة أو نظاما بنظام كما كان يشق عليه في مجال الدين أن يبدل أصغر عقيدة ، فكان يضطر الى الاعتصام بها والجهاد ماوسعه لحمايتها من شكوك نفسه وهجمات خصومه ، وكثيرا ما كان حرصه على عقائد دينه أشد من حرصه على دمه لأن ضياع الحياة عند النفوس القوية دائما ، والنفوس الضعيفة أحيانا أيسر من ضياع عقيدتها الدينية ، وهي عندها صلة الولاء التي تربطها بالروح الأكبر الذي يراه المتدين ملجأ روحه في عمره القصير وفيما وراءه من أعمار وجوده الدائم قبل هذا العمر وبعده ، والنفس — ولا سيما القوية على خلاف ما قد يظن — أقوى احساسا ويقينا بهذه الصلة العميقة المحجبة ، منها بأي صلة لها بعالم الطبيعة من حولها حتى أمتها وأسرتها ، بل جسمها الذي تقوم فيه .

ولذلك لا يبدل الانسان عقائده الدينية كما يبدل آراءه وفقا لتفكيره ومشاهداته وتجاربه ، أو كما يبدل طرائق معاشه في وطن بعد وطن ، بوسيلة بعد وسيلة ، على نظام بعد نظام وفقا لضروراته ومنافعه ومتعه الحيوية على قدر حظه من الحول والحيلة .

فاذا بدل عقيدة عن اخلاص أو رياء فانما يبدلها مضطرا كمختار ، أو مختارا كمضطر ، وما ذلك الا لأن العقيدة الدينية لا تتجه الينا ، أو نتجه اليها ليتمسك بها فرد أو طائفة أو أمة يوما أو عاما أو قرنا ، بل لتحدد وجهة ولائنا الدائم للوجود كله ، فانما على أساس هذا الولاء عند انسان ترسخ حياته هو وحياة طائفته وأمته وجنسه وعالمه كله .. ويكون لهذه الحياة — كما قدمنا — حكمتها ومعناها وغايتها ، مهما تختلف عنده أوطانه ومعارفه وطرائق معاشه خلال العصور المتطاولة .

من أخطر مهام العقيدة الدينية اذن أن تكفل لضمير الانسان السكينة والقرار في علاقته بالوجود ظاهرة وخافية ، وهي علاقة ولاء مدرك من جانب الانسان ، وولاء مدرك كذلك من جانب الموجود الأعظم كما يتصوره ويفهمه وعي الانسان ، وان جميع الأديان وكثيرا من الفلسفات لتوضح الولاء بين الجانبين على هذا النحو ، فكلا الجانبين مولى الآخر أو وليه ، ولا مكان للتدين الانساني حيث ينعدم الولاء بين الجانبين على ما ذهب أرسطو حين قرر أن الله حرك العالم وتركه لمصيره وفق نواميسه ، وأنه لا يفكر الا في ذاته لكماله ، وأن العالم هو الذي يتحرك اليه مجذوبا بالشوق الى كماله .

ومن الملاحظات السديدة في هذا الصدد ملاحظة للكاتب الانجليزي البارع اللورد واكولي خلال مقالته على مواطنه الشاعر الكبير ملتن ، اذ ذكر بين العلل في وفرة اقبال الناس على المسيحية خلال عصورها الأولى ، وقلة اقبالهم على اليهودية التي سبقتها بقرون ولم تبلغ حتى الآن مبلغها من الانتشار — أن الناس يومئذ شعروا أن الله في صورته المسيحية ألصق بحياتهم وأقرب الى نفوسهم القلقة ، **وأحرص على العناية**

بمصلحتهم وبث الطمانينة والعزاء فى قلوبهم من الاله فى اليهودية التى باعدت بينه وبين البشر حين بالغت فى تجريده فكادت تعزله عن العالم ، ثم انها غلبت فيه جانب البأس والسلطان على جانب الرحمة والعناية . ومن شارك الانسان همومه والعمل على مصلحته وراحته كان أحب اليه وأقرب ممن يعتزله تاركا اياه ومصيره ، وان كان فى ذاته أعظم من وليه وأقدر ، فعظمته وقدرته انما تعنيه وحده ، و لاتعنى الانسان المثقل بهمومه ، الحائر فى سعيه ، الحريص على مصلحته وراحته وطمأنينة ضميره فى حاضره ومصيره ، وقد تروعه تلك العظمة أو تلوى وجهه اليها ليتملقها أو ليفكر فيها أو ليصفها ، ولكنه لا يحبها ولا يطمئن اليها ولا يستعين بها ، ولا وجه اذن عنده للتدين معها ، ولو انقلب شعوره بالذل حيالها شبه مودة ، أو سوغه هو لضعفه بأنه مودة .

ولا غنى فى التدين أو الولاء بين الانسان وربه من شعور الانسان معه بتبادل الحب والفهم والاستجابة الى جانب الشعور بقداسة معبوده وسموه وكماله ، والانسان لا يشعر بكامل قواه ، وكامل حريته ، وكامل كرامته الا وهو متجه بجميع نفسه الى ربه الذى هو فوق الطبيعة والمهيمن عليها والمدبر لأمورها بقدرته وحكمته ورحمته ، ولا يشعر بأجزاء نفسه مجتمعة الا فى حضانة هذا الروح القادر العاقل الفاضل .

وقد يتدين الانسان رغبا أو رهبا ، ومجاراة لأحزانه وآلامه أو مضيا مع أفراحه ولذاته ، وعجزا عن الفهم والروعة والمخاطرة أو اقتدارا عليها ، وتهوينا من قدره أو اعلاء له ، ورضا عن عمل مضى أو شروعا فى عمل جديد ، ولكن لا غنى له فى كل أحواله عن الشعور بتمكن الصلة بينه وبين هذا الروح الكامل الذى يبادله الفهم والحب والتقدير والاستجابة .

وقد يشعر الانسان بضآلته اذا قاس نفسه بكثير مما فى الكون فضلا عن الكون كله ، وقد يشعر الى جانب ذلك بهوان قدره وذلته ، وربما يسبق الى الظن أن هذا الشعور بالصغر والهوان يكون أشد عنده حين يقيس نفسه بربه الذى يعلو الكون ويهيمن عليه ، ويقيس عمره القصير بحياة ربه الأبدية ، **ولكن الذى يبدو من التجارب الدينية أن ايمان الانسان بربه لا يصغره ولا يحقره أمام نفسه ، وكل ما فى اعتبار نفسه بربه هو الخضوع المحبوب الشاكر الذى ينفى عنه الكبرياء والأثرة اذ لا محل لهما أمام الايمان بالله ، ثم لا يكون الانسان بعد ذلك أملك لأزمة نفسه وأكثر احتراما لها الا فى حال صلته بالله ممتلئا بايمانه ـ فمن شأن هذا الايمان أنه موضع عناية الله يشرح صدره ويضع عنه وزره ويمده بحظ من قدرته وفضيلته وعلمه ، ويملأ جوانب نفسه برحمته ـ أن يشعر أمام نفسه بكبر قدره ورفعة مكانته ، وكثيرا ما خامرت هذه الحالة بعض النفوس فتألهت أو توهمت قبسا من كماله حل فيها وهى ذاهلة عن بشريتها الناقصة .**

فالايمان لايخامر النفوس الضعيفة دون القوية أو أشد مما يخامرها ، بل عكس ذلك هو الصحيح ، لأن الايمان مع القوة حيث خامر نفسا وان كان فى المؤمنين أقوياء وضعفاء ولكن أقوى الناس أشدهم ايمانا .

واذا لاحظنا أن التدين فى كل نفس انما هو صورة حياتها ، عرفنا السبب أن أعظم الناس ايمانا وأقدرهم عليه هم أعظم الناس نفوسا وأقدرهم على حمل المسئوليات الثقال .

ان فروض العرف هى التى تحدد علاقة الانسان بطائفته ، وفروض القانون هى التى تحدد علاقته بأمته ، وفروض الأخلاق هى التى تحدد علاقته ببنى جنسه فاذا هو توحد سقطت عنه كل هذه الفروض ، فما الذى يحمى نفسه عندئذ ويميز بينه وبين السائمة الآبدة فى منقطعها عن العمران ؟ **هناك مكان شاغر لنوع أكبر من الفروض يصححها جميعا ويعلو عليها جميعا ، كما تصحح فروض القانون فروض العرف لأنها أعلى منها ، وكما تصحح فروض الأخلاق فروض القانون لأنها أعلى منها ، فما هى هذه الفروض ؟ وأين محلها ؟ أما محلها الشاغر فهو علاقة الانسان بالوجود الأبدى الذى يشمل النوع الانسانى بكل أممه وطوائفه ، بل**

يشمل العالم الطبيعي بكل سماواته وأفلاكه وأبعاده وأزمانه ، لأنه أصل كل موجود وفوق كل موجود ، وهذا الوجود هو الله ، وفروض هذه العلاقة هي الدين ، فاذا توحد الانسان منقطعا عن الناس فسقطت عنه فروض عرفه وقانونه وأخلاقه بقيت له فروض دينه لأنه قائم في ملكوت الله الذي لا فكاك له منه كما لا فكاك منه لكائن فيه عند فكر ولا خيال ولا فرض ولا وهم ، مهما يرتفع هذا الكائن في مراتب الوجود ، لأنه ملكوت واحد أبدي لا انتهاء له في أي جهاته .

وهل يأبق الانسان عن ملك ربه
فيخرج من أرض له وسماء ؟

كما سأل المعري منكرا متبرما ؟ والجواب بالضرورة : لا ، فكل كائن فيه متضامن معه مستقر فيه باختياره واضطراره ، باعترافه وانكاره ، وما استطاع أحد نسيان ولائه لهذا الملكوت وتضامنه معه الا بقدر ما ينسى نفسه ، أو كما بين القرآن الكريم ((**نسوا الله فأنساهم أنفسهم**)) وليس في الوجود عقوبة أبشع من هذه اللعنة ، ولا أفدح من نسيان النفس خسران كما بين القرآن أيضا .

فمجال الدين اذن هو هذا الولاء الشامل على صورة يقر بها ضمير الانسان ويطمئن ويبتهج ويتفتح ويحب ، ولو زلزلت به الأرض والسماوات ، فان الدين هو آخر ما يعتصم به الانسان وأقواه، سواء لحاضر عمره القصير في دنياه ، أو لما وراء حاضره من أعمار حياته الماضية والمستقبلة ، اذ يصاحب الايمان بالله في معظم الأديان ايمان بخلود الانسان ، وفي هذا ما فيه من رفعة لقدره وتقدير لصلته الممتدة بالكون وخالقه ، وتحقيق مسئولياته وفقا لهذا الامتداد . وقد يشعر المؤمن بغاية الوحشة بينه وبين الناس والعالم ، وبتخلى أقرب الناس له عن نجدته في خطوبه ، أو بازدراء الخلق جميعا له ، ولكنه لا يشعر الا بالأنس والكرامة والقوة مع الله في ايمانه به واسلام وجهه اليه .

وليس الانسان بحاجة الى تغيير هذا الولاء كله أو بعضه كلما تغيرت مداركه أو علومه أو وسائل معاشه أو نظم اجتماعه ، وليس فيها مجتمعة ـ مهما يبلغ من نفعها له وسدها لحاجاته وتيسيرها لمتعه ـ ما يغنيه عن هذا الولاء أو يقوم بعض مقامه في كفالة الأمن لنفسه وتنميتها واحكام وصلها بمن حولها وما حولها ، ونعمة الانسان في نفسه ومعيشته قد تبلغ كفايتها ، ولكنها تبقى مبتورة ناقصة شائهة ما لم تقم على ولائه للوجود كله ، فاذا قامت جذورها على هذا الولاء وجدها راسخة تامة جميلة ، وانما تقوم كينونته على صلاته بالوجود كله ، فاذا توكدت بالولاء بينه وبين ربه عن طريق الدين بلغ الانسان غاية احساسه بنفسه واتضحت له علاقاته بربه ، ثم يرتد من تلك الغاية ليحدد موقفه ممن يحيطون به وما يحيط به في هذا الكون الكبير عالما به أو جاهلا ، ومن تلك الغاية يستلهم هدايته في شتى مجالات نشاطه فيما يعلم ويجهل من حياته ، ومن ذلك يقوم ويقيم ضروب نشاطه في كل مجال حتى طعامه وكسائه .

وحقائق التدين عند كل انسان رهينة بعوامل الحياة في نفسه ، وصورة تدينه هي صورة الحياة في نفسه ، ونحن لا نستطيع أن نقف على معاني هذه الحقائق وصورها وعللها القريبة الا بالنظر اليها وهي ممتزجة بالحياة في طوايا النفوس الانسانية ، ولا تستطيع التمييز أو التفضيل بين أنواعها وأنماطها الا بما تحقق من المصلحة الانسانية الكبرى في حدود الطاقة الانسانية ، والانسان هو مناط الهداية الدينية ووجهتها أيا كان مصدرها ومادتها ، ويكفي هنا أن نشير بايجاز الى هاتين العلتين .

ان الهداية الدينية ـ كغيرها من الهدايات ـ تأتي النفس من خارجها كما تأتيها من داخلها ، تنزل عليها من السماء كما تنبع من الأرض ، وقد أحسن الفيلسوف الصوفي الكبير الامام الغزالي فيما قرب حين شبه النفس بالحوض الذي يمكن أن يملأ من خارجه بصب الماء أو سقوطه فيه ، أو بحفرة عميقة في قاعه الى مصدر الماء تحته فيمتلىء بماء الينبوع من داخله .

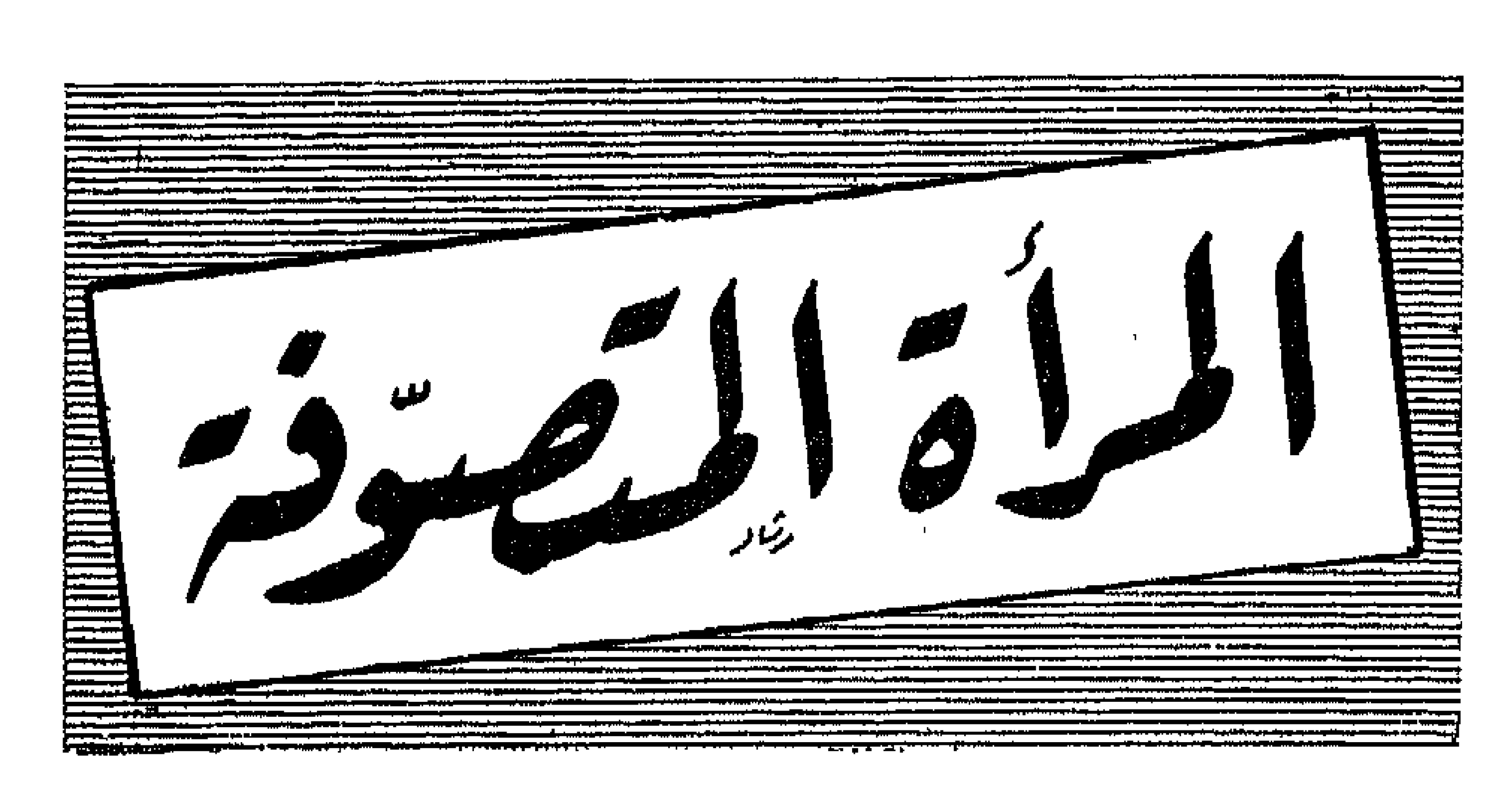
كما لا ريب أن التعليمات الدينية : عقائدها وشرائعها ـ تختلف باختلاف الأديان على

اختلاف العصور حتى الأديان السماوية ، وهى تزداد اختلافا حيث تمتزج بالنفوس ، ومن هنا تنبع فى داخل كل منها الفرق والنحل ، بل ان صورتها فى الدين الواحد تتعدد حين تمازج النفوس بعداد المتدينين به ، وان كانوا ينتمون الى هذا الدين الواحد ، وقد اقتضت حكمة الله ولطفه بخلقه ألا يفيض من نعمه الأبدية على أحد من خلقه الا مايناسبه ، لا لقصور فى نعم الله أن تمتد بما يشاء كرمه ، ولا لضن بها ، بل لقصور المخلوق عن تقبلها ، أو كما جاء فى القرآن الكريم ((وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم)) والذى يحدد هذا القدر هو احتمال المخلوق كما اقتضى علم الله وحكمته ورحمته بخلقه ، لأن كل نعمة زائدة على الطاقة أو الحاجة الصالحة التى يستقيم عليها أمر المخلوق تكليف له بما فوق وسعه ، والله تعالى لا يكلف خلقا غير وسعه حفاظا على صلاحه ، **وهكذا أنزل الأديان السماوية على رسله ليبلغوها عباده على قدر ما يحتاجون ويطيقون وتتحقق به مصالحهم العامة ، ومن هنا تبدو لنا الحكمة الالهية فى تتابع الهداية الدينية وغيرها على الانسان من خارجه وداخله وفق حظه من الاستعداد والاجتهاد والرشد ، وهكذا ناط به رسالاته الدينية ونحوها ، رسالة بعد رسالة حتى الرسالة المحمدية التى جاءت مصدقة لما قبلها من الرسالات متممة لها ، وهى جميعا رسالات الاسلام فى أطوارها المتتابعة .**

ومن هنا يبدو لنا أن الانسان ومصلحته هى العلة الغائية للهداية الدينية وغيرها مهما يكن مصدرها ومادتها وصورتها ، وأنها لم تنفك منوطة بالحياة الانسانية ، متخذه صورتها فى نفس كل انسان على صورة حياته سواء كان صالحا أو طالحا ، فقد لا تعدم صالحا بين المتدينين يرتفع به دينه الذى يمازج نفسه الى أفق الملائكة ، كما قد لا تعلم طالحا بين من يدينون بهذا الدين نفسه يسف بدينه الى درك الشياطين . والمجرم قد يدين بأكرم دين فاذا مازج نفسه مسخه على صورتها ، ويكون لدينه عندئذ — فيما يبدو لضميره المخدر وعقله المضلل وهواه الجامح — هو أقوى سند لنفسه الممسوخة كى تتمادى مع نزعاتها الشريرة ، والعلة فى نفسه الممسوخة لا فى تعليمات دينه العالية . وفى كثير من الأديان ايمان بخلود الروح بعد فساد الجسد ، وايمان بحساب يتلوه ثواب أو عقاب ، وفى كل ذلك كبح لنزعات النفس الشريرة ، ولكن كثيرا من النفوس الممسوخة قد تجمح منطلقة من كل كابح . وقيمة الأديان — ومثلها كل هداية — منوطة بالصلاح بينها وبين النفوس البشرية .. وبقيامها على أسس الحياة فيها وجريانها على سننها ، وهى من الوجهة البشرية تتفاضل بحسب هذا الصلاح ، ولكن صلاحها هذا لا يناط ببشر واحد من أمة واحدة لعصر واحد فى حالة واحدة أيا كان حظه من الرفعة ، بل بمجموع البشر من جميع الأمم فى كل زمان ومكان .

ولا نقصد من ذلك أن نقيس كل دين بعدد أتباعه ، بل بمقدار صلاح حال الانسان عامة عليه بما هو به انسان كأوسع ما يشتمل عليه معنى الانسان من قوة وضعف وفضل ونقص ، فاذا كفل دين هذه المصلحة جملة فهو الدين الصالح ولو لم يعتنقه غير انسان واحد ، فالعقبات بين انسان ودين لا تأتى كلها من هذا الدين بل تأتى أيضا من الانسان .. وليست كل العقبات التى تأتى من الدين عقبات شر ، بل كثيرا ما تكون عقبات خير يأبى الانسان اقتحامها عن جهل أو غفلة أو خسة أو كسل أو نحو ذلك من وجوه النقص .. فلا يكون نكوصه حينئذ حجة على الدين بل حجة على الانسان الناكص لأنه هو الناقص .

ولعل أشرف ما نصف به دينا من حيث مصدره هو أنه سماوى ، ولكن أشرف مانصفه به من حيث وجهته ، أى الانسان ، هو أنه دين الانسان : الانسان من كل جوانبه ، والانسان بكل جماعاته وطاقاته وماضيه وحاضره ومستقبله ، وكل علاقاته بالوجود الشامل لكل موجود ، وفى نفس الانسان تفسير لكل هداية ((وفى أنفسكم أفلا تبصرون)) .



التي علمت الناس أن الحياة محبة

الأستاذ عامر العقاد

قلما يمر الباحث فى تاريخ التصوف الاسلامى دون أن يقف ويطيل النظر فى الصفحة الخالدة فى هذا الميدان الفسيح ،تلك الصفحة التى خلفتها شهيدة العشق الالهى ((**رابعة العدوية**)) فضربت بها أروع الأمثال فى فلسفة النفس والحب الذى يحيل ماديات الكون بأسرها الى أرواح حساسة مسبحة عابدة .

كانت ((رابعة)) حدث خطب كبير فى حياة الانسانية الصوفية ، هزت النفوس وحيرت العقول وأرقت الباحثين من عرب ومستشرقين وشمر لها رجال التصوف عن أكمامهم الطويلة وبدأت أفكارهم تجول بحوادث هذه المرأة الفذة فى جنسها فلقد رآها بعضهم ملاكا ورآها غيرهم ــ ممن يقحمون أنفسهم فى البحوث الاسلامية ــ شيطانا ، ونظر اليها البعض الآخر جامعة بين الضدين ومؤلفة بين النقيضين .

ونحن بكتابتنا هذه المرة لانكتب عن حياتها من ناحية مولدها ونشأتها ، فهذا أمر لم نقصده فى هذا المقال ، ونتركه لكتاب السير والأخبار وانما قصدنا بكتابته اظهار الدور الذى قامت به « **رابعة)) فى تاريخ التصوف الاسلامى ، وهو الدور المهم فى فلسفتها الصوفية فى الحب ، وهو مفتاح شخصيتها فى الاصطلاح الحديث .**

ان الدين الاسلامى دين توحيد للقوى والطاقات جميعا ، اذ ليس فيه قوة تطغى على أخرى ولا تنال طاقة من اخواتها ، وانما تعمل القوى والطاقات فى تناسق وتكافل وتعاون لخير الحياة والسمو بها دائما الى خالقها وباريها .

كانت ((رابعة)) مثلا رائعا فى تاريخ التصوف الاسلامى ولم يكن ــ زهدها انطواء على النفس وانكماشا فى ساحات الحياة ،وانما كان انفساحا فى حياة القلب ، وقوة دفعتها الى خالد الأعمال ، وأوجز مايقال : ان اشراقتها الصوفية كانت مليئة بالايمان ، عامرة بالفيض والالهام . فجاءت صيحتها وهى تحمل فى يمينها كلمة واحدة ــ محبة الله ــ ولايخفى ماأحدثته كلمة التوحيد هذه من دوى عندما هتفت بها ((رابعة)) رغم ان هذه الكلمة العظيمة الساحرة لم تكن جديدة على المسلمين ، ولا غريبة عن مسامعهم ، اذ أن كتاب الله هاتف بها وسيرة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ صورة صادقة لها ،وروحانية الاسلام بأسرها مستمدة منها .

لقد كان دور « **رابعة** » دور ابراز وتجلية لهذه الكلمة ، اذ أنها ذكرت الناس بالحانها وأدارت حولها حياتها وأقامت عليها رسالتها فشاهد الناس بذلك جديدا قديما وشاهد المسلمون بعيون ذاهلة عوالم نورانية فياضة باليقين ، داعية الى اسمى مايدعى اليه وهو الايمان برب العالمين

ان نظرة يسيرة منا الى تاريخ الصوفية قبل ((رابعة)) يكشف لنا انهم كانوا مجرد

زهاد ونساك . وجاءت ((رابعة)) بفلسفتهـا الصوفية الحقة التي جعلت أنـه ليس هنـاك حب خالص سـوى حب الله وحده وكانت في طليعة من اسسوا هذا المذهب ، وفي مقدمة حملة مشاعل المعرفة الذين جعلوا الحب مصدر الالهام والكشف من فلاسفة الصـوفية في الاسلام .

ونظرة أيسر من سابقتها الى هذا القـول من اقوال رابعة نجده صورة صادقة لما تقول :

أحبك حبين : حـب الهـوى
وحبا لانك أهـل لذاكا

فأما الذى هو حب الهـوى
فشغـلى بذكرك عمن سـواكا

واما الذى أنت أهـل لـه
فكشفك للحجـب حتى أراكـا

فلا الحمـد فى ذا ، ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وقد عقب حجة الاسلام الغزالي على قـول ((رابعة)) هذا بقوله : ((لعلها أرادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها ، وانعامه عليها بحظوظ العاجلة ، وحبه لما هو أهل له، الحب لجماله وجلاله الذى انكشف لها وهو أعـلى الحبين))

واستمر التاريخ الصوفى وأقلام أصحـابه تلاحق هذا اللحن بالشرح والتعقيب ، فحيثما ذكر حب الله سبحانه ذكر هذا اللحن الجميل الحبيب ، وهذا وحده شهادة بل خلود .

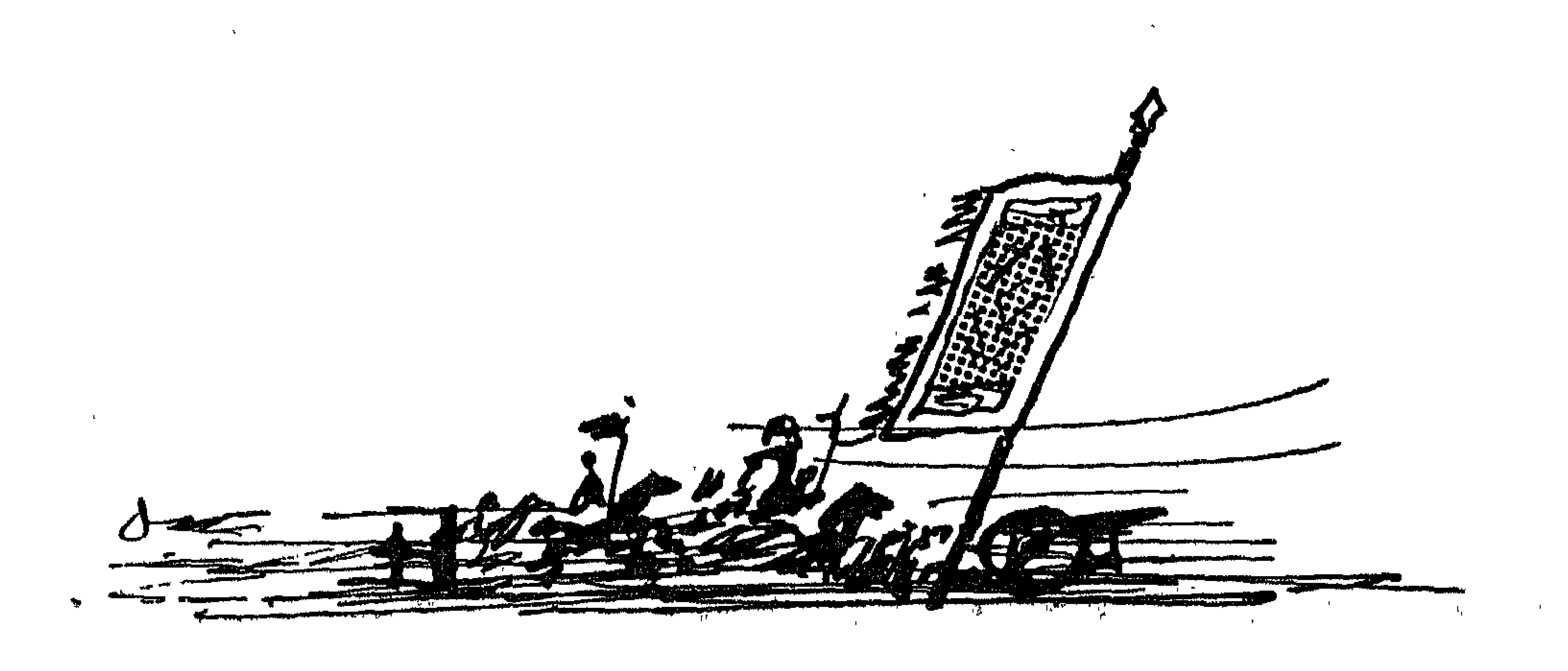
ويمكننا أن نستخلص من هذا ان الايمـان كان قوت ((رابعة))وريها وشرابهاوكان بمثابة العزاء والألم لها والحصن الذى تلوذ به أو الساحة الحبيبة الخفية التى تهرع اليها كلما مسها العذاب او لمسها الألم .

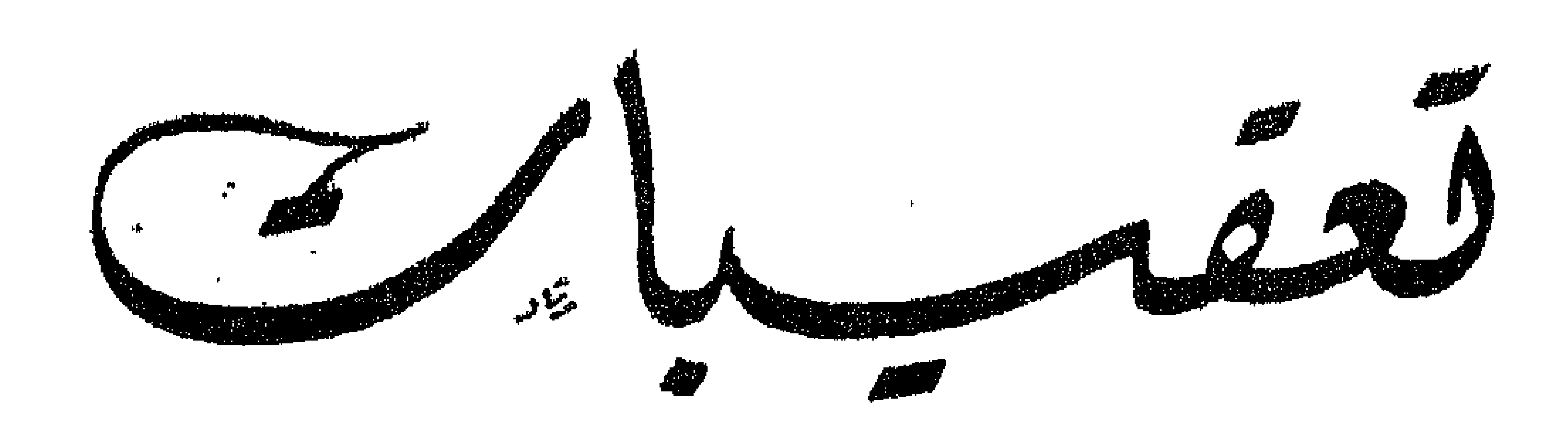
قال ماسينيون عن رابعة حينما تعـرض للكتابة فى التصـوف الاسـلامى .. ((أنها تركت فى الاسلام أريجا من الحب وعطرا من الولاية لن تتبخرا ولن تزولا))

وان كانت هناك كلمة باقيـة تصدق فى هذا المقام فهى كلمة محيى الدين بن عـربى حينما قال : ((اننا حينما نحب الجمـال والكمال فى شتى صورهما فانما نحب الله جل جلاله)) .

حسبنا أن نقول أيضا : ان « رابعة » كانت صاحبة مدرسة العشق الالهى فى التصوف الاسلامى وأن كل من مشى على نهجها لم يأت بجديد اذا نظـرنا الى الجـوهر ، حتى « ابن الفارض » شيخ العشاق وامام المحبين فى عالم الحب يزد فى سـموقه فى الحب الالهى شيئا عما قالت رابعة فى هذا الميدان .

وبهذا وغيره من مواقف ((رابعة)) الخالدة فى الحب والتصوف حق لها ان تحتسب فى سجل الخالدين وحق للباحثين عن الله فيما خلق ، وفيما صـور ألا يغفلـوا مكانتهـا فى التصوف الاسلامى وان يتذكر كل قارىء يقلب الصفحات فى هـذا التاريخ القويم تلك الصفحة الخالدة فى ميزان البقـاء بين موازين الفكر والخلود .





حول مقال النقود الاسلامية للدكتورة سعاد ماهر

الذى نشر بالعدد السادس من المجلة الصادر فى جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ

جاءنا من الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد ، أمين متحف الفن الاسلامى وأمين قسم المسكوكات تعقيب على مقال « النقود الاسلامية » للدكتورة سعاد ماهر ، الذى نشر فى جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ من مجلة منبر الاسلام .

وحرصا على الحقيقة العلمية واعلانها ، رأينا ان ننشر تعقيب الدكتور بعد عرضه على الدكتورة صاحبة المقال ، لتوضح - بدورها - رأيها ، وتعقب على التعقيب .

ولزم أن ننوه ، أن العلم رحم بين أهله ، وأن النقد البانى هو هدف طلاب الحقيقة ، وأن معالم الحق تبين حينما لايكون للأهواء مكان بين العلماء .

المجلة

كتب الدكتور : جاء فى صفحة ١١٥ من المجلة .

« واستمر الحال على ذلك طوال المدة التى خضعت مصر فيها للحكم الرومانى من سنة ٣١ ق.م الى عام ٦٣٩ م وتداولت فيها ايضا النقود الرومانية دون أن تضرب فيها عملة » .

والصحيح أن مصر كانت الاقليم الرومانى الوحيد الذى حافظ فى هذه الفترة التاريخية على نقوده القومية من ضرب الاسكندرية ، وهى نقود تزخر بها متاحف العالم ومن بينها متحف الفن الاسلامى ، مادتها من البرونز ، وشكلها مستدير وتحمل الحرفين I.B تعبيرا عن قيمة القطعة النقدية أى ١٢ نميا ، ومسجل عليها باليونانية الحروف الأولى من اسم دار السك « الاسكندرية » وهذه النقود المصرية ، هى بعينها التى وجدها العرب عند فتح مصر ٦٣٩-٦٤٠ م وتعاملوا بها ، وهى بعينها التى أصبحت نموذجا يحتذيه عبد الملك عند اصلاح النقود الاسلامية .

وتعقب الدكتورة على هذه الفقرة فتقول :

ذكرت فى المقال وبخاصة فى صفحة ١١٩ أن اقتصاد مصر كان قائما على قاعدة الذهب فى العصر الرومانى والعصر الاسلامى حتى ضعفت الدولة الفاطمية ، واذن ، فالمقصود فى العبارة بكلمة العملة أو النقود هى النقود الذهبية ، وهى التى كان اقتصاد مصر قائما عليها فى ذلك الوقت .. أما العملة البرونزية فانها عملة قانونية مساعدة لايعمل لها حساب فى النقد الرسمى الذى تتداوله الدولة .

ولا يفوتنى أن أقول : ان الثابت أن العملة التى سكها عبد الملك فى مصر ، انما كانت من فئة الدينار ، والدينار من الذهب وليس من البرونز .

وتعقيبا على ماورد فى صفحة ١١٥ فى الفقرة :

« وظل الحال على ماكان عليه ، فقد ضرب المسلمون نقودهم على شكل الدراهم الفارسية ، والدنانير البيزنطية لم يغيروا فيها شيئا ، سواء فى الكتابة او النقوش »

يقول الدكتور :

والصحيح أن النقود التى بين أيدينا ، تثبت بما لايدع مجالا للشك ، ما أدخله العرب من تغييرات عدة على النقود الساسانية الفضية ، والنقود البيزنطية الذهبية والبرونزية ، فى عصر الانتقال ، قبل اصلاح عبد الملك بن مروان ، وقد تم التغيير تدريجيا ، سواء باضافة العبارات العربية كالبسملة وشهادة التوحيد أو بتغيير الشارات المسيحية والساسانية والكتابة البهلوية ، وقد نشر الكثير من النقود العربية فى فجر الاسلام .

وتعقب الكاتبة على هذا الرأى بقولها :

المقصود من كلمة تغيير ، هو التغيير الأساسى ، كالذى حدث فى عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هـ ، أما بقاء العملة وزنا وشكلا ورسما كما هى مع اضافة كلمة أو كلمتين عربيتين فلا يعتبر تغييرا جوهريا . وقد نشرت فى مقالى صورتين من أوائل العصر الاسلامى للعملة ، احداهما عليها صورة كسرى وحوله رموزه وشاراته (ص١١٩) والثانية عليها صورة هرقل وولديه . ولم يضف الى هذه أو تلك غير كلمة (البسملة) أو (لا اله الا الله)

وينقل الدكتور الفقرة التالية :

تذكر الدكتورة سعاد ماهر فى ص ١١٥ مانصه « العملة التى ضربها خالد بن الوليد سنة ١٥ هـ أو سنة ١٦ هـ بمدينة طبرية كانت على شكل الدنانير الرومية تماما فابقى رسم الصليب والتاج والصولجان ونقش على احد وجهيها اسم خالد بالحروف اليونانية وتعتبر عملة خالد بن الوليد اول عملة ضربت فى الاسلام »

ثم يعقب قائلا :

ثبت أن هذه الحروف اليونانية ، هى كلمة (خالكيس) باليونانية ومعناها قنسرين .

وبعد أن نقلت الكاتبة ماذكره الكرملى فى كتابه « النقود » ص ٩١ رتبت عليه حقائق تاريخية هى نفسها التى ذكرها الكرملى فتقول « ويعتقد الكرملى ونحن معه فى اعتقاده ، وهو أن ضرب خالد بن الوليد للنقود باسمه كان

من أهم الأسباب التى دعت عمر بن الخطاب الى تنحيته عن قيادة الجيش » ومادمنا قد أشرنا الى بطلان نسبة العملة الى خالد بن الوليد ، فإن أى نتيجة تبنى على باطل فهى باطلة ، فخالد لم يعزل بسبب ضرب أية نقود •

وترد الدكتورة :

بأن هذا رأى الأستاذ الكرملى فى كتابه « النقود العربية وعلم النميات » فقد عالج الموضوع باسهاب وناقش ماأورده المؤرخ الألمانى الدكتور «ملر» وماقاله المقريزى، وانتهى الى نتيجة منطقية ، هى أن خالد بن الوليد عزل بعد موقعة اليرموك ، وكان ضربه للنقود باسمه من أهم أسباب عزله ، وقد اقتنعت بهذا الرأى ، وذكرت ذلك فى المقال ، والأستاذ الكرملى حجة فى الموضوع ، وكتابه عبارة عن موسوعة فى النقود جمع فيه كل ماكتب فى المراجع القديمة عن النقود الاسلامية ، مع اضافة فصول خاصة له بعنوان « لمحة فى تاريخ النقود » و « باب فى علم النميات » يعتبر أشمل وأدق ماكتب فى هذا الموضوع حتى الآن ، ولا ينقص من شأن الكتاب ولا يقلل من قيمته العلمية قول الناقد « ان هذا الكتاب قد صححت معلوماته فى نشرة علمية خاصة أصدرتها احدى الهيئات العربية فى سنة ١٩٥٠ بعنوان « نظرة فى كتاب النقود العربية » من هى الهيئة ؟ ، ماموضوع التصحيح ؟ ، فى أى كتاب من الكتب المجموعة المعتمدة وقع التصحيح ؟

ويقول الدكتور بعد ذلك :

تذكر الدكتورة سعاد ماهر فى صفحة ١١٦ « وفى السنة الثامنة للهجرة ، ضرب عمر بن الخطاب الدراهم على نقش الكسروية »

ومن المعروف أن عمر بن الخطاب لم يتول الخلافة الا فى سنة ١٣ هـ وبالتالى لم يضرب نقودا قبل هذا التاريخ » •

وتعقب الدكتورة :

(ذكرت فى مقالى أن عملة خالد بن الوليد أول عملة ضربت فى الاسلام سنة ١٥ أو١٦هـ وبديهى بعد هذا أنه سقطت فى المطبعة كلمة عشرة بعد الثامنة)

وينتقل الدكتور بعد ذلك فيقول :

تذكر الدكتورة سعاد ماهر فى ص ١١٦ أن تاريخ اصلاح عبد الملك بن مروان للنقود هو ٧٦ هـ وهذا خطأ ، اذ عثر فى سنة ١٩٥٧ على دنانير لعبد الملك بن مروان مؤرخة سنة ٧٤ هـ وتحمل صورته •

وتقول الدكتورة معقبة على ماسبق :

لم أقل : ان عبد الملك لم يضرب عملة باسمه قبل الاصلاح ، ولايفهم هذا من عبارتى، والذى ذكرته هو تاريخ أصلاح العملة كما ورد فى كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقى ، وأود بهذه المناسبة أن ألفت نظر السيد الناقد الى أنه قد ورد فى كتاب « النقود » للبلاذرى أن عبد الملك ضرب الذهب سنة ٧٤ هـ فليس فيما عثر عليه سنة ١٩٥٧ من جديد ••

ويتابع الدكتور :

نسبت الكاتبة نصا للكسائى فى ص ١١٧ والواقع أنها قد أوردت النص محرفا مختلفا عن الأصل الذى أوردته المراجع العربية ، كما أن القصة فى ذاتها أسطورة ليس الا ، اذ أن الثورة الاقتصادية العربية فى عهد عبد الملك لم تكن بسبب نزاع عارض من أجل استبدال العبارات المسيحية بالعبارات الاسلامية ، وانما كانت لأسباب أعمق من هذا بكثير ، وليس هنا مكان سرد هذه الأسباب •

وتكتبت الدكتورة فى ردها على الفقرة السابقة :

يقول الناقد : اننى نسبت نصا للكسائى محرفا مختلفا عن الأصل الذى أوردته المراجع العربية ، ولكنه لم يذكر اسم مرجع واحد من هذه المراجع لمعرفة موضع الخلاف والتحريف •• ومع ذلك فأنا لم أنسب الى الكسائى نصا بل انه للبيهقى جاء على لسان الكسائى ويمكن الرجوع الى كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقى ص (٤٩٨-٤٩٩) والقصة لم ينفرد بهاالبيهقى بل وردت فى مراجع أخرى مثل :

١ - فتوح البلدان للبلاذرى ص ٢٤٩ (مطبعة الكتب العربية سنة ١٩٠٠ م)

٢ - تاريخ الأمم والملوك للطبرى (مطبعة الاستقامة ١٣٤٦ هـ)

وتجريح الروايات التاريخية من غير سند ولا دليل أمر يؤسف له •

ويقول الدكتور فى نقده : تذكر الدكتورة سعاد ماهر فى نهاية ص ١١٧ وأول ص ١١٨ مانصه :

« وفى عام ١٣٢ هـ ضرب الخليفة عبد الله السفاح الدراهم بالانبار وعملها على نقش الدنانير وكتب عليها السكة العباسية ••

والواقع أن هذا الكلام لايستند الى حقائق مادية ، اذ أنه من الثابت أن العباسيين ظلوا يضربون نقودهم على نسق النقود الأموية وطرازها وكتابتها حتى عصر المأمون ، ولذلك أرجو من الكاتبة أن توضح لنا ما تعنيه بعبارة « كتب عليها السكة العباسية »

وتجيب الدكتورة بقولها :

ان ماقلته وارد فى كتاب « النقود القديمة الاسلامية » للمقريزى ، ومن الحقائق المادية التى تثبت ذلك ، متحف بغداد ، الذى توجد به دراهم من عهد عبد الله السفاح من ضرب الأنبار

ويقول الدكتور : وتذكر الدكتـــورة سعاد ماهر فى ص ١١٨ وصفا للدنانير الفاطمية المصرية والكتابات التى وردت عليها على النحو التالى :

« دعا الامام المعز لتوحيد الأحد الصمد »

« على افضل الوجهين وزير خير المسلمين »

والقراءة الصحيحة :

« دعا الامام معد لتوحيد الاله الصمد »

« وعلى أفضـــــل الوجهين ووزير خير المرسلين

ويأتى تعقيب الدكتورة :

لقد خصصت عملةمن العملاتالفاطمية وهى التى ضربها جوهر الصـــقلى وما أوردته من كتابات هو الصحيح ويمكن الرجوع الى كتاب « النقود القديمة الاسلامية » فى فصل « نقود مصر » للمقريزى •

ويقول الدكتور :

وتذكر الدكتورة أيضا فى ص ١١٩ مانصه :

« ان نقدها (مصر) وأثمان مبيعاتها وقيم أعمالها لم تكن الا من الذهب فقط والى أن ضعفت الدولة الفاطميـــة ، بسبب الحروب الصليبية وخروج الذهب والفضة منها ولم يعد لهما وجود بها »

وهذا كلام بعيد عن الصحة لأنه من الثابت أن دور السـك المصرية فى العصر الأيوبى والمملوكى ظلت تضرب النقود الذهب والفضة، ولا أدرى كيف يستقيم كلامهاهذا مع ماأشارت اليه هى نفسها من دنانير صلاح الدين وشجرة الدر وعز الدين أيبك ؟!

وترد الدكتورة :

يذكر السيد الناقد أن ماقلته عن خروج الذهب والفضة من مصر عندما ضعفت الدولة الفاطمية بسبب الحـــروب الصليبية ولم يعد لهما وجود بها ، كلام بعيد عن الصحة ، لانه من الثابت أن دور السك المصرية فى العصر الايوبى والمملوكى ظلت تضرب النقود الذهب والفضة »

ولست ادرى : ماوجه التعارض فى هذين الرأيين ، أى تعارض عدم وجود الذهب والفضة فى آخر الدولة الفاطمية ثم وجودهما فى العصر الأيوبى والمملوكى ، وقد أوضحت ذلك فى الفقرات التى تلت هذه الفقرة •• أما اذا كان هدف النقد انكارخروج الذهبوالفضة عندما ضعفت الدولة الفاطمية ، فليرجعفى ذلك الى المقريزى فى (فصل فى نقود مصر)

ويقول الدكتور بعد ذلك :

قرأت الدكتورة فى ص ١١٩ كتابة دنانير شجرة الدر على النحو التالى :

أميرة المؤمنين المستعصمية الصالحة ، ملكة المسلمين ووالدة الملك المنصور خليل » •

ولكن القراءة الصحيحة كما يلى :

المؤمنين

المستعصمة الصالحية

ملكة المسلمين والدة

الملك المنصور خليل

أمير

ومن المعروف أنه لم يحدث أن تلقبت شجرة الدر اطلاقا بأميرة المؤمنين بل اقتصر تلقيبها على لقب المستعصمة •

وترد الدكتورة بقولها :

اذا رجعنا الى هذه الصفحة لانجد بها قراءة لكتابات هذه الدنانير وانما نجد تعريفا عنها نصت عليه المراجع التاريخية ، والفرق كبير بين قراءة الكتابات وبين ذكر النصـــوص التاريخية •

ثم يورد الدكتور تصويبات لتاريخ ضرب دنانير المعز عز الدين أيبك فيقول انها سنة ٦٥٤ هـ لا سنة ٦٣٤ هـ ودنانير سلطان خان سنة ٩٢٤ لا ســـنة ٩٢٩ هـ وان لفظ « الليريون » الواردفى ص ١١٥ صحته « الليديون » وكلمة « الاسيوية » الوارد فى صفحة ١١٨ صـــحتها « الأموية » ولفظ «شنج » صحته «شيخ »

وتجيب الدكتورة بأن ماورد في ذلك كله صحيح وأن هذه الأخطاء مطبعية وقعت نتيجة لكتابة المقال بخط اليد

ويصل الدكتور الى نهاية نقده حين يذكر :

أوردت الكاتبة فى أسفل ص ١١٦ الى اليسار صورة لدينار قالت انه دينار من عهد الخليفة الأموى عبد الملك ابن مروان سنة ٧٨ هـ •

والصحيح أن هذه الصورة هى صورة وجه دينار ضرب سنة ١٢٨ هـ من عهد الخليفــة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميــة وليس من عهد الخليفة عبد الملك ، والدينـــار من مجموعات متحف الفن الاســلامى رقم ٣ ـ ١٤٦٦٢ •

وأوردت الكاتبة صورة ص ١١٧ وذكرت بصددهـــا انها :

« درهم فضة من أوائل العصر الاسلامى نقشت عليــه صورة كسرى ملك الفرس وبجانبه كتابة كوفية نصهـــا « بسم الله الرحمن الرحيم »

وهذا كلام بعيد عن الصحة لأن هـــذه الصورة لدرهم ساسانى عليه كتـــابة بهلوية وهو من مجموعات متحف الفن الاســلامى ويظهر فى الصورة رقم سجله وهو ١٨٥٩٢

وتنتهى الدكتورة من تعقيبها حيث تقول : ليس صحيحا ماذكره الناقد عن الدينار المنشورة صورته ، فى أســفل صفحة ١١٦ الى اليسار من أنه يرجع الى عهد الخليفــة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وانه مضروب سنة ١٢٨ هـ والصحيح هو ماورد فى المقال اذ ان الســنة الواردة فى الدينار هى سنة ٧٨ هـ وهذه السنة تقع فى حكم عبد الملك بن مروان •

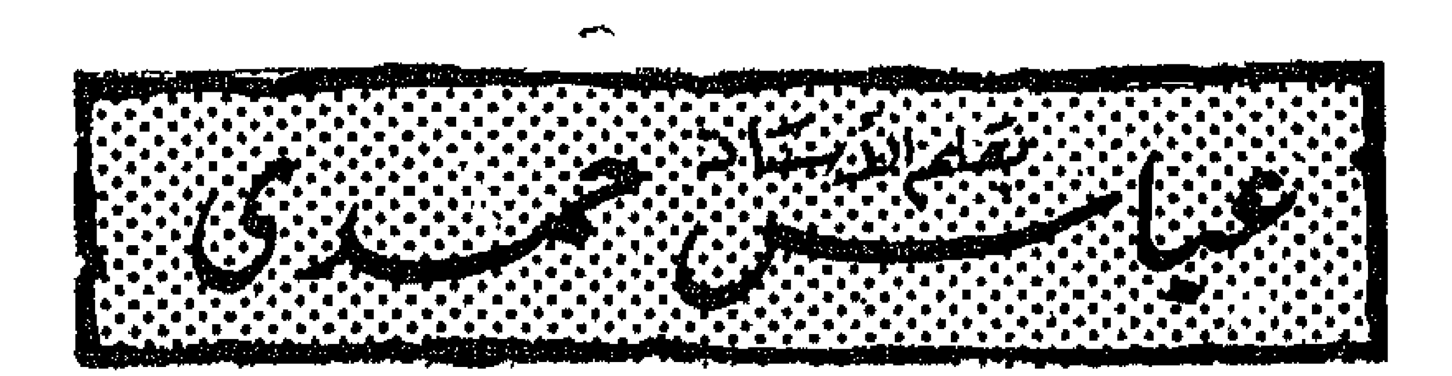
وليرجع السيد الناقد بامعان ليعيد قراءة الكتابة فالسنة واضحة (ثمان وســبعين) وليست (ثمان وعشرين ومائة)

وكذلك فليعد السيد الناقد قراءة كتـــابة الدرهم المنشور فى ص ١١٧ •

والمجلة بعد هذا تشكر للدكتور والدكتورة ماقدما لقرائها من تحقيق علمى ودراسة نافعة







انهما شـقيقان عزيزان كريمان مخلصـان وفيان لوطنهما .

كانا محاميين من المحامين الأفذاذ ، وكان مكتبهما بميدان الأوبرا بالعمـارة التى قام مكانها الآن « كازينو أوبرا »

كانا فى مقدمـة أعـوان مصطفى كامل ـ ومحمد فريد .

(عمر لطفى) الشقيق الأكبر ، كان يهتم بالشئون الاقتصادية والتعاونية فى البـلاد علاوة على اهتمامه بالشئون السـياسية والقانونية .

كان أول من فكر فى النظام التعاونى فى مصر فأنشأ الجمعيات التعاونية المنزلية وغيرها ، ووضع القوانين واللوائح والأنظمة التى تسير عليها ، ليتعلم الناس الاستقلال الداخلى ، والاعتماد على النفس والتعاون . وجعل هذه الجمعيات فى شكل أنظمة مساهمة ، تشجيعا لهم ، يعود خيرها وربحها على المساهمين . وقد أنشئت جمعيات كثيرة من هـذا النوع فى أنحاء البلاد ونجحت نجاحا كبيرا .

عمل (عمـر لطفى) جهـده للم شـمل الطبقات المثقفة ، لتكون كتلة واحدة ثقافية تجابه عظائم الأمـور ، وتنهض بالمشروعات الحيـوية فى البلاد فضـلا عن ايجاد رابطة تضـامن بينهم .. فأنشـأ (نادى المدارس العليا) بالعمارة الكائنة على ناصية شـارع ابراهيم باشـا (الجمهـورية الآن) وشارع بولاق (٢٦ يوليو الآن) عمارة شـيكوريل سابقا . وكان النادى يجمع فى عضويته طلبة المدارس العليا وخريجيها . يجمع الحقوقيين والأطباء والمهندسين والمدرسين وغيرهم من حملة الشهادات العليا وطلابها .

كان لهذا النادى قانون خاص ، وأنظمـة خاصة وامتيازات اقتصادية فى بعض المتاجر وكان به مكتبة فاخرة تحتوى على أنواع كثيرة من الكتب والمراجـع والمجلات والصـحف بمختلف اللغات . وكانت تلقى فيه المحاضرات القيمة . كان يؤمه رجال الفكر والأدب . والاجتماع والاقتصـاد والطب والهندسـة والسياسة ، وكان فى الواقع قبلة الأنظـار ومحط الآمال . كان يدور به كل ما يهـم الطبقات بعيدا عن المجتمعات الأخرى التى كانت تحت عيون الانجليز .

كان جماعة هذا النادى يعملون لبلادهم بوحى من ضـمائرهم بعيـدين عن الهوى . وكانوا ينشرون الدعوات الوطنية فى البلاد .

تولى رئاسـة هذا النادى (عمر لطفى) مدى حياته ، حتى وافاه الأجل المحتوم قبل الحرب العالمية الأولى بقليل .

كان الانجليز يخشـون بأس جماعة هذا النادى لانه يضم جل الطبقات المثقفة والشباب فكانوا فى الواقع يشكلون حزبا خطيرا ، فما أن شبت الحرب العالميـة الأولى فى أغسطس سنة ١٩١٤ حتى جـردت حمـلة عسـكرية

بقيادة حكمدار القاهرة الانجليزى (مستر هارفى) وحاصروا دار النادى وأعلن « المستر هارفى » حل نادى المدارس العليا ، بناء على أمر القائد العام الانجليزى ، تنفيذا لنصوص الأحكام العرفية البريطانية ، ومصادرة أمواله وممتلكاته ومكتباته ، وكل مايتعلق به واستولت عليها السلطات المختصة وقتئذ .

كان الانجليز موتورين من جماعة النادى لنزعتهم الوطنية واتحادهم وتضامنهم . فخلت البلاد من الأندية الموقرة . ثم أنشئت الأندية والنقابات والجمعيات لكل المهن بفضل توجيهات الرئيس المحبوب « جمال عبد الناصر » حفظه الله ورعاه حاميا للبلاد .

أحمد لطفى

المحامى ونقيب المحامين الأول ، من أبرز المحامين فى أنحاء العالم . كان مشرعا ، كان وكيلا للحزب الوطنى . كان خير معوان « لمصطفى كامل ومحمد فريد » .

كان أحمد لطفى مصريا قبل كل شىء ، شريفا فى خصومته السياسية . وفيا لبنى وطنه على اختلاف ميولهم . ففى الوقت الذى يقول فيه (سعد زغلول) رئيس الوفد فى سنة ١٩١٩ وما بعدها « ان الانجليز خصوم شرفاء معقولون » كان الحزب الوطنى ينادى بأن الانجليز أعداء ألداء . فحدث سنة ١٩٢١ و ١٩٢٢ أن قدم الانجليز بعض أعضاء الوفد (أحمد ماهر والنقراشى) للمحاكمة بمحكمة الجنايات فى حوادث الاغتيالات فلم يسع (أحمد لطفى) الا ان تطوع على الفور للدفاع عنهم ونسى مرضه وقتئذ ونسى نفسه وراحته قياما بالواجب حتى قضت المحكمة ببراءتهم . وكانت المحكمة برئاسة المستشار الانجليزى (مستر كرشو) فقررت لذلك الحكومة البريطانية اعفاءه من العمل بالقضاء المصرى .

وبعدئذ صدر دستور سنة ١٩٢٣ وأجريت الانتخابات لأول مرة فى مصر بعد ثورة سنة ١٩١٩ وتقدم راغبو الترشيح لعضوية المجلسين النيابيين (النواب والشيوخ) فتقدم « أحمد لطفى للترشيح » باحدى دوائر مديرية القليوبية وتقدم كثير غيره من رجال الحزب الوطنى فى دوائر أخرى أملا فى امكان خدمة بلادهم عن طريق البرلمان .

فما كان من (سعد زغلول) الا أن عمل جهده لاسقاط (أحمد لطفى) فى الانتخابات خشية بأسه وقوة حجته وقد سقط بالفعل ..

وان نسينا فلا ننسى دفاع (أحمد لطفى) عن ((ابراهيم ناصف الوردانى)) فى قضية اغتياله لرئيس الوزراء ورئيس محكمة دنشواى سنة ١٩٠٦ (بطرس غالى) الذى عمل على مد امتياز شركة قنال السويس سنة ١٩١٠ ، وكان مقرر الحكومة يومئذ أمام الجمعية التشريعية (سعد زغلول) .

كان أحمد لطفى رجلا بارزا ومحاميا فذا وقد شهد له بذلك أعداؤه قبل أصدقائه ، فقد رأيته يوما يترافع فى بعض القضايا أمام محكمة جنايات مصر برئاسة وكيل محكمة الاستئناف العليا الانجليزى (مستر بوند) المعروف بشدته وشراسته ، فعرضت على المحكمة احدى القضايا المتهم فيها بعض أهالى مديرية الجيزة بالقتل . فبعد أن قدمت النيابة أدلة الاتهام وترافع بعض المحامين عن المتهمين نهرهم (مستر بوند) لانهم لايدرسون القضية دراسة كافية . ثم دعا (أحمد لطفى) للجلوس فى حرم المحكمة مع هيئة المستشارين وناوله ملف القضية الخاص بهيئة المحكمة ، ورجاه دراستها على عجل ، واستمرت المحكمة فى نظر القضايا الأخرى . وبعد مضى ساعة من الزمن قام (أحمد لطفى) بشرح القضية شرحا وافيا وكان من شانه أن قضت المحكمة ببراءة المتهمين وقالت المحكمة فى منطوق حكمها أن المتهمين الحقيقيين غير موجودين فعلى النيابة أن تبحث عنهم .

هذا قليل من كثير من تاريخ هؤلاء الرجال رحمهم الله رحمة واسعة وعوض البلاد فيهم خيرا .

التصوف الإسلامي

وأثره فى الأدب العربى

الدكتور عبد الحكيم بلبع

لعبت الحياة الروحية فى تاريخ الاسلام دورا عميق الأثر فى خلق اتجاه أدبى له سمات ومميزات خاصة ، وأضافت الى تراثنا الأدبى جانبا ضخما فسيح الجوانب يتشكل بقيمها وأهدافها ، وينبثق فى شكله ومضمونه من تجاربها الوجدانية العميقة التى هى خلاصة صراع بين الروح والجسد ونهاية معركة بين الحق والباطل .

واذا كان الأدب فى أدق مفهوماته هو التعبير الجميل عن التجارب الانسانية الصادقة التى يعيشها الأديب وينفعل بها ، فان التصوف الاسلامى يعتبر تجربة من أخصب التجارب النفسية والوجدانية ، التى أمدت أدبنا العربى شعره ونثره على السواء بمادة خصبة ، وأغنت جوانبه بذلك اللون الممتع الذى يشرق بصفاء النفس الانسانية حينما تحطم أغلال الجسد وتتحرر من عبودية المادة ، وتتسامى الى عالمها الأمثل الذى يشرق بأقباس الحق والطهر والجمال .

والتصوف الاسلامى بمفهومه العلمى الدقيق لم يظهر الا فى أخريات القرن الثانى الهجرى ، بل تتحدد معالمه بوصفه ظاهرة نفسية ترتكز على أسس أخلاقية وفلسفية الا فى القرن الثالث الهجرى حيث وضحت ملامح التفاعل الثقافى بين العرب وغيرهم .

ولقد سبق التصوف الاسلامى قبل أن يصل الى هذه الصورة بألوان أخرى من الحياة الروحية ، تمثلت فى وجود المتعبدين والزهاد الذين مهدوا الطريق أمام الحركة الصوفية المنظمة ، التى نضجت ابان القرن الثالث على يد ذى النون المصرى والحسين الحلاج ، ثم بلغت تمام نضجها فى القرون اللاحقة على يد الغزالى ومحيى الدين بن العربى وعمر بن الفارض وغيرهم .

ولقد غنى القرنان الأول والثانى من الهجرة بألوان مختلفة من الأدب الدينى الذى كان يمثل النزعات الدينية عند هؤلاء المتعبدين والزهاد ، ولكن هذا الأدب فى عمومه كان يقوم على المعانى البسيطة التى تعبر عن وجدان دينى يرهب الله ويخشاه ، ويزهد فى الدنيا وفى شهواتها الفانية دون أن تتضمن اتجاهات فلسفية خاصة تكون مذهبا له أصول وقواعد كتلك الاتجاهات التى بنى منها مذهب الصوفية فيما بعد . ومع هذا فاننا نحس لهذا اللون من الأدب بطعم خاص ، ونرى فيه انطباعات هذه الحياة الروحية التى أخذت منذ القرن الثانى تستقل فى جوهرها عن الحياة العامة ويتميز أصحابها بانتاجهم الأدبى الذى يبدعونه من خلال هذه الحياة التى كانوا يحيونها فى عبادة ونسك وانقطاع الى الله ودعوة الى الدين والأخلاق .

وليس من بأس فى أن نسوق فى هذا المقام بعض الأمثلة من هذا الأدب لنرى الى أى حد قد صبغته هذه الحياة بصبغتها وخلعت عليه صفاءها وقدسيتها .

قال الحسن البصرى — وهو من نساك البصرة وزهادها — :

« **يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا . يا ابن آدم اذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه ، واذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم عليه . الثواء هاهنا قليل ، والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الأمم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون ؟ ألا ان هذا الموت**

قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذو لب فرحا ، فاياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها النار ، أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا اذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم ، يفترشون خدودهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ملاهم فى فكاك رقابهم ، اذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، واذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم . يا ابن آدم ان كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يغنيك ، وان كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك »

وقال ابن أذينة — وهو من الشعراء المتزهدين — :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى
أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه
ولو جلست أتانى لا يعنينى
لا خير فى طمع يدنى لمنقصة
وغيره من كفاف العيش يكفينى

وقال أبو العتاهية فى تهوين شأن الدنيا :

حياتك أنفاس تعد فكلما
مضى نفس منها نقصت به جزءا
يميتك ما يحييك فى كل ساعة
ويحدوك حاد مايريد بك الهزءا

وقال الامام الشافعى فى الخوف ورجاء العفو :

فلما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما

وهكذا نرى أن حياة الزهد والتعبد فى القرنين الأول والثانى ومنتصف الثالث قد صبغت الأدب بذلك اللون الوجدانى الذى تشيع فيه معانى الخوف والرهبة والتهوين من شأن الحياة والتزهيد فى متاعها ، والتذكير بالموت والاستعداد لما بعده من حياة باقية لا يشوبها فناء ، ولكن هذه المعانى كانت أقرب الى البساطة ، فهى تعبر تعبيرا مباشرا عن عاطفة دينية واضحة لم تشبها بعد نزعات فلسفية عميقة .

فاذا ما انتقلنا الى القرن الثالث وجدنا الزهد يتطور الى مذهب فلسفى أخلاقى هو التصوف ووجدنا هذا المذهب يضفى ألوانا أخرى من التأثير على الحياة الأدبية تتمثل فى تلك الموضوعات الجديدة التى تشكل منها هذا المذهب ، كالحب الالهى ومقامات الكشف والفناء والاتحاد وما اليها ثم فيما ترتب على هذه الموضوعات من مناهج جديدة فى التعبير .

اذن يمكن القول بأن التصوف قد أثر فى الأدب من ناحية شكله ومن ناحية مضمونه أما من ناحية الشكل ، فأول ما نلاحظ من ذلك تلك الألفاظ والتعابير الخاصة التى كانت تعتبر قاموسا للمتصوفة وحدهم فهى اكثر اتصالا بحياتهم ومذاهبهم وأدق تعبيرا عن معانيهم النفعية والوجدانية التى كانوا ينفعلون بها فمن هذه الألفاظ مثلا :

« المريد . المراد . السالك . المسافر . المقام . الحال . القطب . القبض . البسط . الأنس . التواجد . الوجد . الوجود . الجمع . جمع الجمع . السكر . الصحو . الذوق . المحو . علم اليقين . حق اليقين . عين اليقين » الى آخر هذه الألفاظ والمصطلحات الكثيرة التى كان لكل لفظ أو مصطلح منها دلالة على حالة من حالاتهم النفسية والوجدانية .

ومن ناحية أخرى فقد كانت موضوعات الأدب الصوفى داعيا قويا لاستحداث أسلوب تعبيرى جديد لم يكن معروفا من قبل ، ذلك هو الأسلوب الرمزى الذى يقوم على استخدام المجالات الحسية فى التعبير عن المجالات الروحية والمعانى الوجدانية فهم يستخدمون مجال الغزل البشرى للتعبير عن حبهم الالهى ويستخدمون مجال الخمريات للتعبير عن سكرهم بالوجد والتفانى فى الذات الواحدة. ومن ذلك الأسلوب الرمزى قول أبى سعيد الحراز الصوفى :

أسائلكم عنها فهل من مخبر
فما لى بنعم مذ نأت دارها علم

فلو كنت أدرى أين خيم أهلها
وأى بلاد الله اذ ظعنوا أموا
اذن لسلكنا مسلك الريح خلفها
ولو أصبحت نعم ومن دونها النجم

فهو يرمز بالسؤال عن محبوبته « نعم » وعن رحلته وراءها الى التعلق بذات الله وحده وأن لا شيء سواه .

وابن الفارض فى خمرياته الالهية يعطى مثلا رائعا لذلك الأسلوب ، حيث يقول :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
يقولون لى صفها فأنت بوصفها
عليم ، أجل . عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا
ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها
قديما ولا شكل هناك ولا رسم
وقامت بها الأشياء ثم لحكمة
بها احتجبت عن كل من لا له فهم
وهامت بها روحى بحيث تمازجا
اتحادا ولا جرم تخلله جرم
فخمر ولا كرم وآدم لى أب
وكرم ولا خمر ولى أمها أم
ولطف الأوانى فى الحقيقة تابع
للطف المعانى ، والمعانى بها تنمو
وقد وقع التفريق والكل واحد
فأرواحنا خمر وأشباحنا كرم

فابن الفارض هنا يتغنى بخمرة خاصة ، يعرف نشوتها ويحس لذتها هووحده ، وهذه الأبيات صورة رائعة من الشعرالصوفى ، الذى يتسم بصدق العاطفة وخصوبة الخيال والقدرة على التصوير .

اما من ناحية المضمون ، فقد كان للتصوف فيها آثار واضحة ، تمثلت فى ابراز تلك العناصر الفلسفية ، التى امتزجت به كالفناء والاتحاد والكشف وغيرها .

وهذه العناصر شغلت جانبا مهما من الأدب الصوفى ، وأكثر المتصوفة من ابرازها والتعبيرعنها ، ففى مقامالفناء ، وهو الشعور بفناء الذات البشرية فى الذات الالهية ــ يقول أحد الصوفية :

عجبت منك ومنى أفنيتنى بك عنى
أدنيتنى منكحتى ظننت أنك أنى

ويقول الحسين الحلاج :

مزجت روحك فى روحى كما
تمزج الخمرة فى الماء الزلال
فاذا مسك شيء مسنى
فاذا أنت أنا فى كل حال

وهكذا نرى أن التصوف بنزعاته الدينية والفلسفية وبجانبيه العملى والذوقى قد لعب دورا كبيرا فى صبغ الأدب الصوفى بصبغة خاصة تقوم على استلهام تلك التجارب الوجدانية التى كان يعيشها المتصوفة فىمقام الالوهية الأسمى .

ولم يقف أثر التصوف فى الأدب عند هذه الجوانب التى ذكرنا ، بل لقد كان التصوف قوة دفعت كثيرا من الظواهر الأدبية الى الوجود كفن المدائح النبوية الذى هو صدى لنظرية الحقيقة المحمدية ، وفن المناجاة الذى يقوم على التعلق بالذات الالهية ، وكذلك الأدعية والأوراد والحكم والوصايا والنصائح وأدب الأخلاق وما الى ذلك من الاتجاهات الأدبية الصافية ، التى انعكست على الشعور الانسانى قوة تسمو به الى عالم الحق والكمال.

ولا بأس من أن نختتم حديثنا هذا بدعاء من أدعية أبى حيان التوحيدى ، لنرى روعة العمل الأدبى وصفاءه حينما تنبعث به عاطفة عميقة مخلصة .

يقول التوحيدى :

((اللهم انى ابرأ من الثقة الا بك ، ومن الأمل الا فيك ، ومن التسليم الا لك ، ومن التفويض الا اليك ، ومن التوكل الا عليك ، ومن الطلب الا منك ، ومن الرضا الا عنك ، ومن الذل الا فى طاعتك ، ومن الصبر الا على بلائك ، اللهم تتابع برك ، واتصل خيرك ، وعظم رفدك ، وتناهى احسانك ، وصدق وعدك ، وبر قسمك ، وعمت فواضلك ، وتمت نوافلك ، ولم تبق حاجة الا وقد قضيتها أو تكفلت بقضائها . فاختم ذلك كله بالرضا والمغفرة . انك أهل ذلك والقادر عليه)) .

الدعوة والداعية

للأستاذ احمد عبد الجواد الدومى

الدعـــوة الى الله شرف كبيـر ، ومنزلة سامية ، انتخب لها منذ القرون الأولى أفضل عناصر الأمة، وأزكاها نفسا، وأطهرها قلبا ، وأصلبها عودا ، وهم الأنبياء والمرسلون

فاذا كان من أوصاف الأنبياء والمرسلين . انهم يبلغون عن الله رسالاته الى النـــاس ، ويحملون شرائعه الى عباده، فهمبذلك ــ أول الأمر وآخره ــ دعاة الى الله عز وجـــل ، شرفوا بحمل الرسالة وأداء الأمانة .

وكانت أساليب الدعوة الى اللــه ، تختلف باختلاف العصر ، حسب تحمل العقول لها ، وتهيؤ النفوس لحملها ، كما أنها كانت تتدرج. كمالا وسعة وعمقا ، كلما تقدم العقل البشرى واستوى على سوقه .

ولقد أعطى قوم نوح فرصة الف سنة الا خمسين عاما ، ليفهموا فقط معنى التوحيد ، **((أن لا تعبـــدوا الا الله))** ومع هـــذا الزمن الطويل ، فلم يؤمن معه الا قليل ، واستكثرت الجماهير الغافلة الرسالة على بشر ، ولـــم تستكثر الألوهية على حجر ، كما استكبرت العناصر المتمردة ، أن تسلك ما ســـلكه المؤمنون الصادقون : **((ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنـــا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ..))** وسقط من ميزان الحق تبارك وتعالى الجمهـــرة الغـــافلة ، والعنـــاصر المستكبرة ، ففتح أبواب السماء بماء منهمر ، وفجر الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحمل نوحا ومن معه على ذات ألواح ودسر ، وكان حقا على الله نصر المؤمنين .

وكان من الممكن . أن تأخذ البشرية درسا من هذا الطوفان الجبار ، ولكنها ــ كعادتهـــا دائما ــ نسيت وعتت عن أمر ربها ، فتوالى الدعاة الى الله ، وآمن من آمن ، وكفـــر من كفر : **((فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ، سخرها عليهـــم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القـــوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية))** وكان هؤلاء الدعاة جميعا ــ ما قصه القرآن وما لم يقصصه ــ مقدمة لسيد الدعاة ، وخاتـــم الأنبياء سيـــدنا محمد ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ

وكانت البشرية ، قد ملأت آفاقا كثيـــرة من الأرض ، وكانت الحضارات قد دخلهـــا شيء كبير من التحريف والتبديل ، وكانت العقول قد تاهت فى بيداء الفلسفة الاغريقيـــة وما شابهها ، فكان لابد من داعية يفتـــح العقول على الهدى والنور ، والنفوس عـــلى مفاتيح الخير مفتاحا مفتاحا ، والأيدى على العمل والحركة ، والبطون على الحـــلال .. والحلال فقط ! وكان لابد من داعية يفجر هذه الطاقات الانسانية الضائعة فى الخموروالوثنية فيصنع منها العباد الأطهار ، الرهبان بالليـــل والفرسان بالنهار .

وكان نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو هذا الداعية الأمين ، والمبلغ المبين .

وعرض دعـــوة الاسلام ، على الفئات التى عارضت دعوة نوح تقريبا .

الجماهير الغافلة ، العنـــاصر المستكبرة المترفة !

وصدق الله العظيم : **((وما ارســـلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها ، انا بمـــا أرسلتم به كافرون))** . ســـبأ

وظن زعماء الكفر ، أن رسالات الســـماء ينبغى أن تورث ارثا ، أو تحتـــكر احتـــكارا

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهم يقسمون رحمة بك » ؟! ولكن منطق السماء العادل ، لم يقر هـذا الأمر ، فأعطى النبى اليتيم مقاليد الدعوة الاسلامية ، فى الجزيرة العربية وفى العالم كله **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** **الأنبياء « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » سبأ**

وتوزع فى القرآن الكريم وفى السيرة العاطرة أسلوب الدعوة ومنهاجها وطريقتها وزمانها والمصاعب التى واجهت الداعية الأعظم ، والغزوات التى خاض غمارها ، مما لا يمكن حصره فى مقال .

ونجحت الدعوة الاسلامية نجاحا منقطع النظير !

وهلك أبو جهل وحاشيته .

وذهب أبو لهب وامرأته .

وتحطم الوليد وتدبيره ، وتفكيره وتقديره !

ووصل الينا الاسلام بقواعده الخمس ، ودعائمه المتينة ووحيه المتلو ، فما هى أسباب النجاح أو الانجاح ؟

لا شك أن الأسباب كثيرة ، ولكنى أحاول أن أوجز أهمها فيما يلى :

(١) لقد ربى النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه جميعا على أن كل مسلم يدخل فى الاسلام يجب أن يكون داعية ، يعد نفسه لتحمل الأذى ، واستسهال الصعاب .

(٢) الدعوة الى الله قول وسلوك ، فمن أحسن القول وأساء السلوك فليس بداعية ، **« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »** . فصلت وفى ذكر « وعمل صالحا» بعد « دعا الى الله » تأييد لما ذهبنا اليه .

(٣) التجدد الكامل لدعوة الحق ، والتفانى فى ايصالها الى الناس ، والحرص على الصلة كلما سنحت له الفرصة **« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » التوبة**

(٤) الاقلال من متاع الدنيا ، والاستغناء عن كثير من شهواتها ، فان ذلك يعطى الداعية قوة لا يجدها المتكالبون المسعورون

(٥) كان الدعاة الى الله يوزعون ما عندهم من خالص العلم ولا يكتمونه ، قاصدين فى ذلك الله ورسوله ، غير ناظرين الى عطاء الناس أو ثنائهم وتقديرهم . **سئل سعيد بن المسيب: بم سدت ؟ قال : لأن الناس احتاجوا الى علمنا واستغنينا عن دنياهم !**

(٦) عدم التهيب ، فان كلمة الحق أكبر من أى كبير ، وأعظم من أى سلطان **«ان لصاحب الحق مقالا »** . **لقد دخل عبادة بن الصامت على المقوقس فى صولجانه وعساكره ، فخاف المقوقس من عبادة صاحب الزى البسيط حتى قال له : « كلمنى برفق فانى أهابك وأهاب سوادك »** . والسر فى ذلك أن عبادة لم يهب المقوقس حين دعاه الى الاسلام فهابه المقوقس حتى ارتعد منه !

(٧) الفهم والادراك لسمو الرسالة التى حملها الداعية فذلك يجعله يحرص على اظهار كلمة الله فى كل مكان وفى كل ميدان .

وهناك أسباب كثيرة ذكرها أساتذتنا الأقدمون والمحدثون لانجاح الدعوة الاسلامية فى عصورها الأولى حتى ارتفعت راية الحق ، وخفقت أعلامه فى أنحاء المعمورة ، أو فيما عرف من قارات الدنيا الخمس .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » النحل.

والدعوة الاسلامية تواجه اليوم ما واجهته فى أيامها الأولى ، بل وأكثر مما واجهته فى صدر الاسلام

(١) فهى تواجه جاهلية الفكر ، وأمية القلب وفراغ الأفئدة .

(٢) وهى تواجه طغيان العروش ، وبطش الشاهات .

(٣) وهى تواجه نفس الجماهير الغافلة ، والعناصر المستكبرة المتمردة **« وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » يوسف**

(٤) وهى تواجه زحفا غير مقدس قادمامن بعيد ومن قريب ، زحفا من الالحاد الحاد ، والهدم المنظم ، والارتداد السريع ، والثقافة المدخولة

(٥) وهى تواجه أسلحة صاروخية وذرية وأسلحة فكرية أحد وانفذ من الأسلحة الأولى

(٦) وهى تواجه من نفس الصفوف التى تزعم الايمان ،منافقين يحسنون القول كل الاحسان ، فاستغلوا هذا الاحسان فى بناء كيانهم المادى دون أن يفكروا فى صالح الدعوة ، لا من قريب ولا من بعيد !

وكم كانت الفاجعة حين انكشفت النفوس التى أحسنت التعبير فترة من الزمن ، فلما لاحت لها الدنيا وبرقت أمامها المطامع ، عريت عن مظاهر الايمان ، كما تعرى الشجرة عن أوراقها التى يبست وتساقطت ، ثم كسيت بأوراق خضراء ، ولكنها مستعارة تعصف بها أى ريح، وتسقط أمام أى هزة !

فما هو المطلوب الآن ليعيش الاسلام ويصل الى الأجيال القادمة كما وصل الينا ؟ أقول ليعيش ويحيا ، وفرق بين أن أقول يحيا وبين أن أقول : يستعيد مجده التالد ، ويرفع رايته فى العالمين !

ان الاسلام الآن فى حاجة الى أسباب الحياة تتوفر له فى أمن وأمان ، وهو ولله الحمد حين تتوفر له أسباب الحياة يشب شبابا سريعا ، ويؤتى ثماره الطيبة فى فترات يسيرة ، وما عهود الوثبة الاسلامية الأولى عنا ببعيد .

وأحب أن أسأل هنا سؤالا صريحا بعض الصراحة :

هل يوجد الآن عدد كبير من الدعاة الى الله؟

(أ) الدعاة الذين يتجردون للدعوة ويرونها أسمى رسالة فيحرصون عليها ويصبرون على لأوائها ، ويصلون قلوبهم بمنابعها الأولى دون كدر أو تشويه ، ويديرون القرآن فى صدورهم كلما عن لهم شان أو ألمت بهم ملمة .

(ب) الدعاة الذين يتعمقون فيما يلقونه على الناس من موعظة ، وفيما ينشرونه على الناس من كتب ومقالات ، فاذا ألقى واحد منهم خطبة فى الخمر مثلا عرض لما ورد فيها من آيات ثم لما جاء فيها من أحاديث ، ثم تابع أقوال الفقهاء فى الأشربة ، ثم قرأ ما ذكره الطب الحديث عن الخمر ، ثم بعد ذلك كله ـ وهذا مهم ـ يحسن عرض ذلك كله على الناس فى ايجاز يناسب مصالحهم ، وبساطة أسلوب تناسب عامتهم

(ج) الدعاة الذين لا يكون همهم كسب ثناء الناس ولا ظهورهم على الشاشة : ان وثنية الشهرة كثيرا ما أطاحت بأناس وعصفت بألباب .

(د) وفى عبارة واحدة : الدعاة الذين يعيشون للدعوة لا بها ، ويأكلون ليتقووا عليها لا ليصابوا بالبطنة .

ان أكبر الظن انه لا يوجد عدد كبير من هؤلاء الدعاة !

ومن هنا فاننى أتوجس خيفة على الدعوة الاسلامية !

ان الدعوات الالحادية تجد كتابا ساهرين متعمقين متفرغين ، وتجد مجالات كثيرة ينشر فيها ويذيع هؤلاء الكاتبون حتى تصل الكتابات معطرة منمقة مصورة ، قصيرة ومطولة ، فى ثوب المقال والقصة والكتاب والفيلم وحتى الفكاهة ، فى النوادى المحترمة ، والقاعات الضخمة ، والأجواء المكيفة !

أما الموعظة فمتى تصل وكيف تصل ؟

انها تصل كيفما اتفق ، وفى أوقات محدودة، وأماكن معينة !!

والكتب الاسلامية على كثرتها لا تحمل مع الأسف طابع العمق الا فى النادر القليل ، والى الآن لا توجد عندنا ـ أى فى مجال التأليف الاسلامى ـ القصة الاسلامية القصيرة ولا الطويلة !

واذا أردت أن أضرب مثلا للكتب الاسلامية التى نزلت أرضنا العربية ، ففى ذهنى مثل تقريبى لهذا : أمة ملكت أرضا واسعة وزرعتها صنفا أو صنفين كالقمح والفول مثلا ، وتركت الأصناف الأخرى بتاتا أو زرعت منها قليلا جدا لا يكفى الجماعة القليلة فضلا عن الأمة الكثيرة ، وفى نفس الوقت فان أكثر هذا المزروع لم يعن به العناية التامة فخرج سقيما قليل الثمر .

ان عندنا عشرات الكتب فى الموضوع الواحد، وهناك مواضيع لم يكتب فيها الا القليل .

ولعل بعض الناس يقول : ما علاقة الكلام عن الدعوة والداعية بالكلام عن التأليف ؟ وأجيب بأن أعداء الدعوة الاسلامية تفننوا فى محاربتها بالقول والفعل وجميع وسائل النشر ، ولذلك يجب أن يتسلح الدعاة الى الله بمختلف الاسلحة ، وأقواها الايمان بالله وبالدعوة .

والذى لا شك فيه أن الذى يؤلف كتابا اسلاميا مفيدا ، أو يقدم قصة اسلامية هادفة، أو الذى يصدر حكما تشريعيا عادلا ، أو الذى يسلك فى الأمة سلوكا حميد الأثر ، يكون كمن خطب خطبة بليغة الأثر ، عميقة التأثير

واذا لم يوجد عندنا العدد الكبير من الدعاة فكيف نوجدهم ؟

وهذا سؤال اعترف بأنه صعب !

ان الدعاة لا يتكونون بمحاضرة أو خطبة ، ولا يلتقطون بمقاييس عادية ، ان المسألة أعمق من هذا ، واخطر ، وهى فى حاجة حتى الآن الى تفكير عميق ، وبحث مستمر .

وفى نظرى أن الذى يحل هذه المشكلة يقدم للدعوة الاسلامية وللعالم الاسلامى أجل الفوائد

ان التعليم السائر الآن قد يخرج لنا — ان اخرج — العالم فى الدين ، والأخلاق ، ولكنه لا يخرج لنا المتدين ولا المتخلق

ان الدعاة فى حاجة الى بيئة خاصة يتعلمون فيها ، يبتدىء يومهم بأذان الفجر وصلاته ، ليتلقنوا أن هذه الصلاة المشهودة لا ينبغى أن يؤذن لها وهم نائمون

ومع ذلك تتعهدهم التربية الصالحة ، والعلوم المفيدة ، فاذا ما أتموا الدراسة الخاصة فتحت لهم أبواب المنابر والمحاريب ، على أن يوضعوا تحت اشراف دقيق للسلوك قبل القول ، السلوك الخاص مع نفسه والسلوك العام مع الناس .

ان « الاسبرين » يسكن الصداع ولكنه لا يزيله ! أفكفانا مسكنات !

واذا قدرت أنه لا يوجد عندنا العدد الكبير من الدعاة الحقيقيين الصادقين ، فلا شك أنه توجد عندنا الخامات الكثيرة ، التى لو وجدت التوجيه الصادق المدروس لأنبتت الطلع النضيد وحب الحصيد .

فالأمة ثرية المواهب والكفاءات ، ولكنها فى حاجة الى الارشاد والتوجيه ، ان الطبيب والمهندس حين يتخصصان فى عمليهما يؤديان للأمة ثمرة عظيمة ، والداعية فى حاجة لأكثر من تخصص ، لأن وظيفته « قيادية » لاسطحية، تعيش فى الأعماق لا فى ظاهر الحياة .

لابد أن يعرف الداعية شيئا عن الطب وشيئا عن الطبيعة وشيئا عن الجغرافيا وأمثال هذه العلوم ، مع مصادر الشريعة الأصيلة والتضلع فيها .

وأختم هذا المقال بكلمتين

احداهما للامام ابن الجوزى قال فيها :

« لقيت مشايخ . أحوالهم مختلفة ، يتفاوتون فى مقاديرهم فى العلم ، وكان أنفعهم لى فى صحبته : العامل منهم بعلمه وان كان غيره أعلم منه » .

ولقيت عبدالوهاب الأنماطى . فكان على قانون السلف ، لم يسمع فى مجلسه غيبة ، ولا كان يطلب أجرا على سماع الحديث ، وكنت اذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى ، واتصل بكاؤه ، فكان — وانا صغير السن حينئذ — يعمل بكاؤه فى قلبى ، ويبنى قواعد الأدب فى نفسى ، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا اوصافهم فى النقل .

ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقى فكان كثير الصمت ، شديد التحرى فيما يقول ، مثقفا محققا ، وربما سئل المسألة الظاهرة التى يبادر بجوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقن ، وكان كثير الصوم والصمت ، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعى بغيرهما، ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول » .

والكلمة الثانية للامام الغزالى وقد قال فيها :

« حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل » . نسأل الله سبحانه أن يجعلنى ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » .

ليلة في السماء
في ذكرى الإسراء والمعراج

الأستاذ محمد عادل سليمان

هـدأت ثورة الـرياح ‥ وأغفت ملء أجفـانها رمال الجـزيرة
رفرف الليل حولها ‥ تمسح الأرض شعاعاته ‥ وينثر نوره
والسماء‥السماء‥تغرق في الصمت‥وتصحو على رؤى مسحورة
وهنا ‥ في الدروب ‥ ببيت فقير ‥ بث فيمسبح النجوم عبيره

***

أطرقت عنده الضـياء ‥ وطافت في سراديبـه حيـاة جديدة
وملاك هنـاك في حجرة الوحي أمام الرسـول ألقى نشـيده
كان صمت الوجود يسكب في الكون بقـايا من الأغاني البعيـدة
من أغـاني السـماء يهمس « جبريل » يهدى « محمدا » تغريده

***

وعلى أجنحة مكوكبة اللمح يطيـر الرسـول عبر الفضـاء
أعلن الله أن ضـيفا من الأرض حبيبـا يـزوره في السـماء
فاغمري يا سماء وجهك بالعطر ‥ بعطـر الجمال ‥ عطر الضياء
وامسحي موكب النبي ‥ فاني أنا وحـدي مضيف هـذا المساء

***

ودنا موكب النبي من القـدس ‥ من العـالم البعيـد القريب
ملء أعمـاقه لحـون حيارى ‥ عزفتهـا صلاته-في الغـروب
وهنا ‥ أقبل النبي من الأرض ‥ على ربـه الحبيب ‥ الحبيب
وضفاف السماء تفتـرش النـور ‥ وتهفو الى حديث الغيـوب

***

هو ألقى السـلام في رهبـة الصمت ‥ وحيا الاله في أغنياته
في ظلال الفيـوض يسجد لله ‥ وفي قلبـه فيـوض صـلاته
عبقري الرنيم في أفقـه الهامس ‥ حار الوجـود في هينماته
كان في ليـلة السـمـاء شعـاعا رفرفي الجنـاح في خفقـاته

***

وتهـادى البراق يرقص في الأفق ‥ وقد أسرج الأمين جناحه
ومضى في عبـاب نور الهي ‥ ودنيـا من الشـذى فواحـه
وصـلاة وضيئة اللحن والهمس كما يشرق الوجـود صباحه
كل من في الوجود يهتـز للنور ‥ ويهـدى « محمدا » أفراحه

أنت تسأل ؟ .. والمفتي يجيب !

فضيلة الأستاذ الشيخ سيد سابق

*** التلفيق : تقليد أكثر من امام في فروع العبادات .**

*** الطلاق المعلق يقع حسب القصد .**

*** الله وحده محيى الموتى .**

السيد عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقى
ببيروت

س – ما حكم التلفيق بين المذاهب ؟

ج – المرجع الذى يجب على المسلم أن يرجع اليه فى معرفة أحكام دينه هو : الكتاب والسنة .

وقد كان هذا هو هدى السلف حتى دونت المذاهب **ولم يكن تدوين المذاهب يقصد منه الزام الناس تقليدهم . وانما قصد منه اعانة المسلمين على فهم الاستنباط ومعرفة مآخذ الأحكام .**

ثم حدثت بدعة القول بسد باب الاجتهاد والزام المسلمين تقليد أحد الأئمة المجتهدين . وهذا القول مع ما فيه من بعد عن الحق الا أنه يعتبر كضرورة لمن عجز عن ادراك النصوص من الكتاب والسنة وفهمها .

والتلفيق : ما هو الا نوع من التقليد . الا أنه تقليد لأكثر من امام ولهذا جوزه العلماء الذين جوزوا التقليد نفسه . لأنه لا فرق بين تقليد امام فى جميع الفروع وبين تقليده فى بعضها وتقليد غيره فى البعض الآخر .

وننصح جماعة المسلمين بأن ينهجوا نهج السلف فى مراعاة معرفة الأحكام من مصادرها الشرعية .

والأئمة المقلدون أنفسهم نهوا عن أن يقلدهم أحد غيرهم . وقالوا : لا يجوز لمن لا يعرف دليلنا أن يأخذ برأينا . وهذا نهى صريح لا يحل العدول عنه الا عند الضرورة . والضرورة تقدر بقدرها .

وقد يسر فى هذا الزمن معرفة الأحكام الشرعية من مصادرها ولم تبق حجة يعتذر بها المقصرون عن فهم دينهم والفقه فيه .

س – اذا حلف رجل بالطلاق أو بالحرام فقال : يلزمنى أو على الطلاق .. مرة أو مرتين أو ثلاث مرات .. أو قال على الحرام مرة أو مرتين أو ثلاث مرات .. ان فعلت كذا أو لأفعل كذا . فحنث فى يمينه فما الحكم ؟

ج – هذه الصيغة من صيغ الطلاق المعلق وهو مضاف الى الزوجة حكما وان لم يضف اليها حقيقة .

اذ أن قوله على الطلاق أو على الحرام أو يلزمنى الطلاق أو الحرام ان فعلت كذا يراد به ان فعلت المحلوف عليه لزمنى الطلاق والحرام . فهو بمنزلة قول الرجل لزوجته ان فعلت كذا فأنت طالق .

فالطلاق وان لم يضف الى الزوجة بحسب اللفظ فهو مضاف اليها بحسب المعنى .

وقد ذهب جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة الى وقوع الطلاق عند حصول الأمر الذى علق عليه .

وذهب بعضهم الى عدم وقوعه . ومنهم ابن حزم الظاهرى . والذى جرى عليه العمل

الآن فى المحاكم بمصر : أن الطلاق المعلق يختلف باختلاف غرض المتكلم وقصده .

فان كان قصده من تعليق الطلاق — على أمر مستقبل — وقوع الطلاق عند حدوث المعلق عليه وقع الطلاق عند حصول ما علق عليه معاملة له بقصده . لأنه لا يريد معاشرة زوجته عند حصول الشىء الذى علق عليه الطلاق .

وان كان غرض المتكلم بالتعليق التخويف والحمل على فعل شىء أو تركه وهو يكره الطلاق ولا يريده عند حصول الشىء المعلق عليه . فلا يقع الطلاق عند حصوله لأن التعليق فى هذه الحالة يكون فى معنى اليمين بالطلاق واليمين بالطلاق لغو لا يقع به شىء .

وهذا الحكم هو ما تضمنته المادة الثانية من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ونصها :

((لا يقع الطلاق غير المنجز اذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه لا غير))

وجاء فى المذكرة الايضاحية بشأن هذه المادة :

« ان المشرع أخذ فى الغاء اليمين بالطلاق برأى بعض علماء الحنفية والشافعية والمالكية . وانه أخذ فى الغاء الطلاق المعلق الذى فى معنى اليمين برأى الامام على بن أبى طالب ، وشريح القاضى ، وداود الظاهرى وأصحابه .

س — السيد السيد على — الجامعة الأزهرية .

ما رأى الاسلام فيما نشرته جريدة الأخبار فى أول رجب سنة ١٣٨١ هـ فى الخبر الذى أذاعته وكالة تاس من أن بعض العلماء الروس قد تمكنوا من اعادة الحياة لبعض الموتى .

ج — الحياة هبة من الله ولا يزال سرها مجهولا أمام العلم كبقية الأسرار الغامضة التى لا تعرف حقائقها بعد .

ومحاولة اعادة الحياة بعد الموت غير ممكن، وانما الذى يتولى اعادتها مرة أخرى هو الله وحده ((وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه)) .

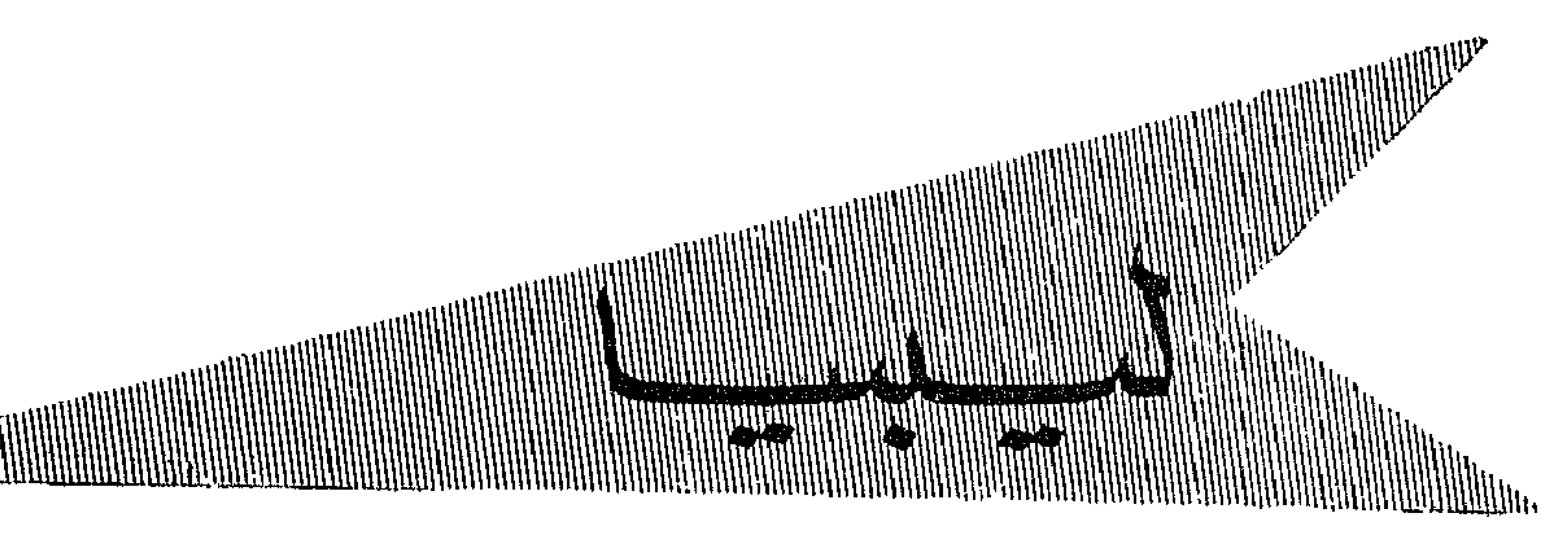
وما يقال من أن بعض العلماء قد استطاع أن يرد الحياة الى الأشخاص الذين دب فيهم دبيب الموت فغير صحيح ، ولو فرض صحة ذلك فاننا نجزم بأن الحياة لم تكن قد فارقت الجسد بعد ، وكل ما يمكن أن يقال : هو أن الحياة توقفت لأسباب عارضة فلما زالت تلك الأسباب عادت الحياة .

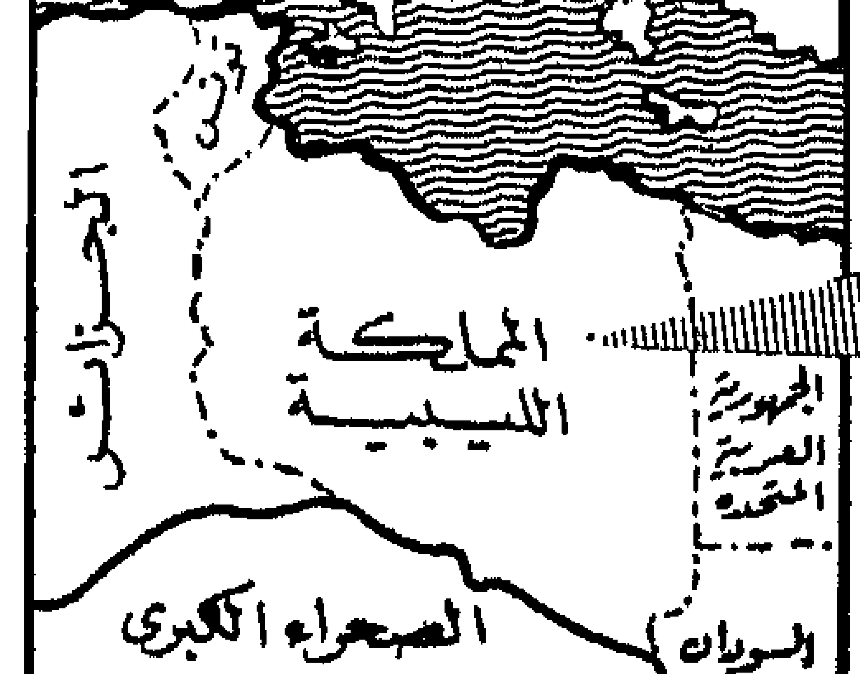
وانا نتحدى هؤلاء الذين يزعمون أنهم أعادوا الحياة بعد فقدها ، أن يحيوا ميتا موتا حقيقيا ، وما هم بفاعلين أبدا .

وقد لاحظ بعض علماء المسلمين أن بعض الأشخاص دفنوا قبل أن يكون موتهم حقيقيا، وقد فتح قبر الصاحب بن عباد بعد دفنه بفترة طويلة لدفن أحد الموتى، ووجد الصاحب بقبره يجلس القرفصاء مسندا ظهره لحائط القبر ومسندا رأسه الى راحته ، وكان معنى هذا أن الصاحب لم يكن قد مات موتا حقيقيا فلما زالت الأسباب العارضة عادت اليه الحياة ولكنه لم يتمكن من الخروج فجلس حتى مات موتا حقيقيا .. وأمثال هذا كثير ومشهور تحدثت عنه الصحف والمجلات فى مناسبات عديدة ..

((عزاء))

أسرة المجلة تقدم خالص العزاء للاستاذ عباس حمدى سكرتير ادارة المجلة لوفاة السيدة حرمه ، وتدعو الله للفقيدة أن يتغمدها برحمته وأن يلهمه والأسرة جميل الصبر .





أعلن استقلالها فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١

احتفل منذ أيام بالعيد العاشر لاستقلال ليبيا ..

وما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كانت الارض الليبية تغلى تحت أقدام الحلفاء .. وثار دم الشهيد عمر المختار من بنغازى .. الى برقة .. الى طرابلس .. وزحف الزعيم ادريس السنوسى من القاهرة يحمل لواء تحرير بلاده .. وبدأت خطوات التحرير ..

❋ لقد كانت ليبيا تحت حكم الأتراك عام ١٨٣٥ واستولت عليها ايطاليا عام ١٩١١ وبقيت واحة جغبوب تابعة لمصر .

❋ وفى عام ١٩٣٦ تنازلت مصر للشعب الليبى عن واحة جغبوب

❋ وفى سنة ١٩٤٢ خلصت من الاستعمار الايطالى ووضعتها الأمم المتحدة تحت حكم بريطانيا ووصايتها .. وبدأ السنوسيون بزعامة الملك ادريس السنوسى يطالبون باستقلالها وضمها الى جامعة الدول العربية وبدأت جولات أمين الجامعة العربية آنذاك عبد الرحمن عزام واللواء محمد صالح حرب الرئيس العام للشبان المسلمين .

❋ وفى ٢٥ أبريل عام ١٩٤٦ أعلنت بريطانيا تحت ضغط الشعب الليبى والزعيم السنوسى وجهود الزعماء العرب تحقيق وعودها للسيد السنوسى .

وفى مارس عام ١٩٤٧ شكلت هيئة لتحرير ليبيا من السادة : بشير (بك) السعداوى ، وأحمد (بك) السويحلى ، ومحمود (بك) منتصر ، وجواد (بك) ذكرى ، وطاهر (بك) المريض ، ومنصور (بك) قدارة .

❋ وفى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بانهاء الوصاية على ليبيا وصدر القرار التالى :

١ ــ اعتبار ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة

٢ ــ يسرى هذا القرار فى أقرب فرصة لا تتجاوز يناير عام ١٩٥٢

٣ ــ يوضع دستور لتشكيل الحكم فى ليبيا

٤ ــ قبولها بعد تكوينها عضوا فى الأمم المتحدة

❋ وفى ٣ ديسمبر سنة ١٩٥٠ أعلنت الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية قرارها التاريخى باعلان ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة دستورها ديمقراطى ونظامها فيدرالى تحت تاج الملك ادريس السنوسى .

❋ وفى رمضان عام ١٣٧١ احتفل بقيام أول مجلس نيابى ليبى مؤلف من ٦٠ عضوا ، وهو الذى قد أصبح اليوم مؤلفا من ٥٣ عضوا فى مجلس النواب و٣٤ عضوا فى مجلس الشيوخ

* وفى ٨ أكتوبر عام ١٩٥١ وافقت الجمعية الوطنية بالاجماع على مشروع الدستور الجديد .

* وفى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن استقلال البلاد وتوج الملك ادريس السنوسى الأول ملكا على المملكة الليبية المتحدة ، وكان السيد صلاح الدين فاضل هو أول سفير (لمصر) قدم أوراق اعتماده الى جلالته .

* وفى نوفمبر الماضى انتقلت الحكومة الاتحادية للمملكة الليبية المتحدة من طرابلس الغرب الى مدينة (البيضاء) العاصمة الجديدة وتقع فى قلب الجبل الأخضر على بعد ٢٠٠ كيلو من بنغازى و ١٧٠٠ كيلو من طرابلس و ٢٧٠٠ كيلو من نزاك و ٢٧٠ كيلو من طبرق حيث يقيم جلالة الملك السنوسى بصفة دائمة .

* وطبرق تعد أجمل مصيف عالمى وتقع على ربوة عالية ، وفيها يقع قصر (روميل) وقيادة المحور أثناء الحرب الماضية . وقد أنشأ بها اليوم السيد/ محمد على السنوسى الأول أول زاوية سنوسية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين .

* و « ليبيا اسم أغريقى قديم » لقارة افريقيا ، تبلغ مساحتها ٦٧٩١٨٣ ميلا مربعا .

* وحدودها الرسمية هى (مصر) الجمهورية العربية المتحدة والسودان وافريقيا الاستوائية ، وافريقيا الغربية ، وجنوب الجزائر وتونس والبحر الأبيض المتوسط .

* أقاليمها الثلاثة هى (برقة وطرابلس وفزان) ويتصل كل اقليم منها بالاقليم الآخر بمناطق صحراوية شاسعة ، ويحكم كل ولاية منها (وال) يعين بمرسوم ملكى يعاونه مجلس تنفيذى منتخب لتصريف الشئون الداخلية على ضوء ما تقرره الحكومة المركزية .

* وأهل ليبيا الأصليون جميعا يدينون بالاسلام منذ أكثر من عشرة قرون ، وتتألف الأقليات فيها من ٤٠ الف نسمة ، وكان بها ١٣ ألف يهودى رحل معظمهم مهاجرا عن البلاد الى اسرائيل وغيرها منذ أعلن استقلال الوطن الليبى كما كان بها ٣٥ ألف ايطالى .

* وهى تضم عدة وسائل للنقل والمواصلات من بينها السكك الحديدية والسيارات وأنشأت عددا من الطرق الرئيسية

* أصبح اسمها الرسمى بعد الاستقلال (المملكة الليبية المتحدة وتنص المادة الخامسة من دستورها على أن الاسلام هو دين الدولة)

* وتضم ليبيا ثروات زراعية ومعدنية كثيرة ، وفى مقدمتها « التمر » اذ يبلغ عدد النخيل فى فزان وحدها أكثر من مليون نخلة ، كما تنتج الشعير والعنب والدخان والملح والأسماك والجلود والأصواف والأغنام والحيوانات المأكولة .

* وفى هذا العام تفجرت ينابيع البترول فى صحرائها قرب الساحل وبدأت تتدفق خيرات الذهب الأسود التى ستدعم خزانتها بملايين الجنيهات

* ومعروف أن جلالة الملك ادريس السنوسى الأول قضى فى (مصر) أكثر من ربع قرن كان خلالها موضع التقدير والاحترام ، وأن الأزهر خرج صفوة من علماء ليبيا بعضهم لايزال يتولى أعمالا فى القاهرة كالشيخ أحمد الكميشى شيخ رواق المغاربة .

* وتتبادل القاهرة التمثيل الدبلوماسى مع المملكة الليبية المتحدة وسفيرنا الحالى فى ليبيا هو السيد / عبد الحميد حلمى صبور وسكرتير سفارتنا هو السيد/ سامى عبداللطيف وسفير ليبيا فى القاهرة هو السيد / خليل القلال . وتضم الجالية الليبية فى القاهرة عددا ضخما من الشباب الليبى المؤمن بعروبته واسلامه . وقد احتفل منذ أيام بالعيد العاشر لاستقلال ليبيا .

مع القراء



قارئنا العزيز فى كل مكان ..

من أجل الحق والخير .. والثقافة الحقة ، نقدم لك مجلتك ((منبر الاسلام)) ونترقب بعد اصدار كل عدد رأيك ونقدك وخواطرك ، حتى نحقق الرغبة الصادقة ونتجه معك الى الامام فى سبيل توضيح مفاهيم الاسلام وعلاج مشكلات الحياة آملين أن تكون رائدا للحق ، وخير الانسانية .

تصويب

وردت بالمقال المنشور عن ((باكستان)) بالعدد السادس من المجلة فقرات .. فهم اخوانا من أبناء الهند أن بها ما يمس الحقيقة التى يحيا فى ضوئها مسلمو الهند .

ومنبر الاسلام يسرها أن تكون الصداقة التى تربط بين الجمهورية العربية المتحدة والهند . نامية مع الأيام ، وترجو أن يكون كفاح الأمتين - فى سبيل اعزاز الانسانية والمثل العليا - وطيد الأركان .

السيد/منير اللمعى - مدرس ..

المجلة ستفتح صفحاتها ابتداء من العدد القادم لنشر انتاج القراء الذى يتفق مع رسالتها وخدمتها .

وان لدينا من كتابات القراء مايبشر بالخير الكثير . من حيث جدة الموضوع ، وعمق الدراسة ونبل الغاية ، وسلامة القصد .

مقياس الانسانية

السيد/محمد عبد الرحيم السايح -

لقد أعجبنا ماسطرته لنا من خواطرك المليئة بالايمان الصادق . الذى يحض على التمسك بالفضيلة . والتحصن بسياج منيع . قوامه الخلق الكريم والدين السمح . ونحن نفخر بك وبأمثالك ممن يسلكون هذا الطريق الواضح ، ويعملون فى رحاب النور الهادى الذى سيصل بهم حتما الى بر الطمأنينة والسلام .

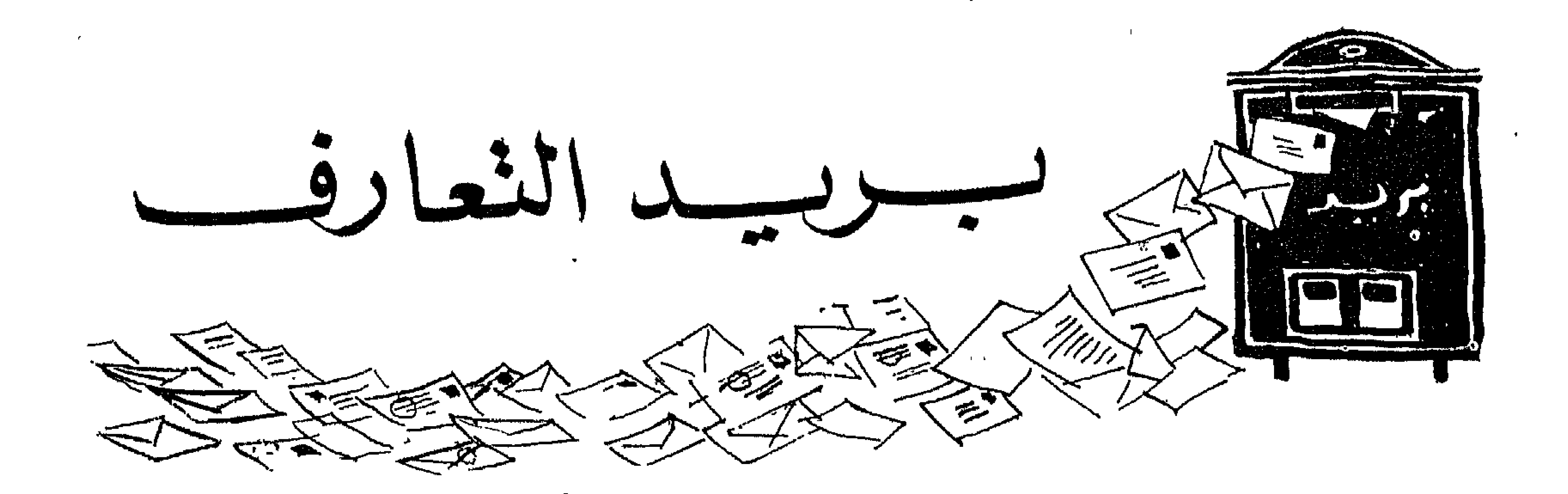
أول الغيث قطرة

السيد/السيد على - معهد طنطا الدينى

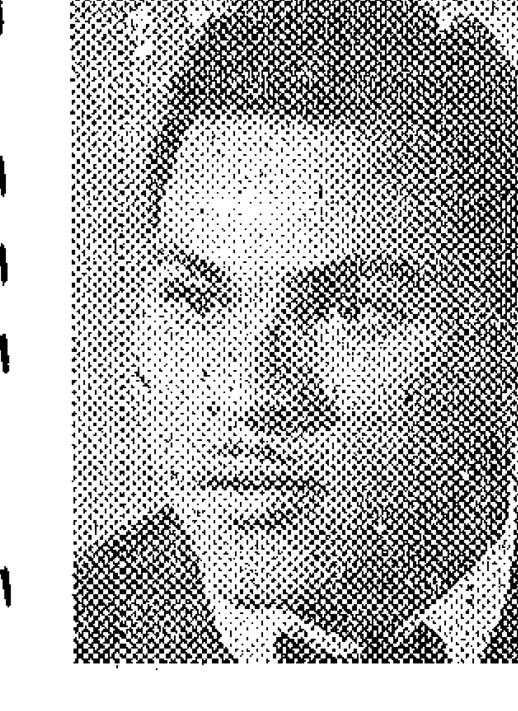
فى قصيدتك التى أرسلتها للمجلة ملامح شاعر اذا قرأ كثيرا فى امعان ، وتدبر الأدب شعرا ونثرا من عصور مختلفة ورحب ميدان ثقافته . سيصبح له شأن فى عالم الشعر ، ومكان غير خاف .

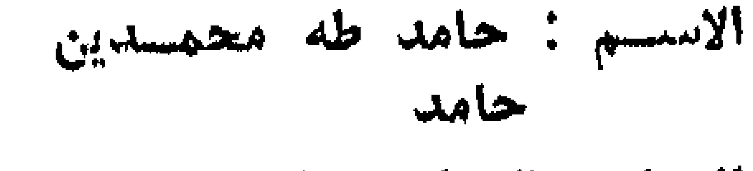
الاستاذ سعد فهمى سعد الدين

لا شك أنك تؤدى رسالة كريمة وتقوم بعمل عظيم ، فأنت تقوم بين المسلمين اماما وخطيبا ، تجمع ما تفرق من أمرهم وتوضح لهم ما اشتبه عليهم من أمور دينهم وتبين ما ينطوى عليه هذا الدين من روحية سامية وجهاد رائع ووحدة شاملة ، واعتقد أن هذا ميدان واسع لنشر ثقافتك . ولا يسعنا الا شكرك على هذا الجهد المحمود .



بريد التعارف





الاسم : حامد طه محمدين حامد

البلد : الاسكندرية

السن: ٢١ سنة

المهنة : طالب بمعهد الاسكندرية الدينى الثانوى

الهواية : مراسلةأبناء العروبة باللغة العربية والانجليزية

العنوان : الاسكندرية ـ المطارين ـ ٢٠شارع على الليثى

الاسم : مصطفى احمد محمد أبو غيدة

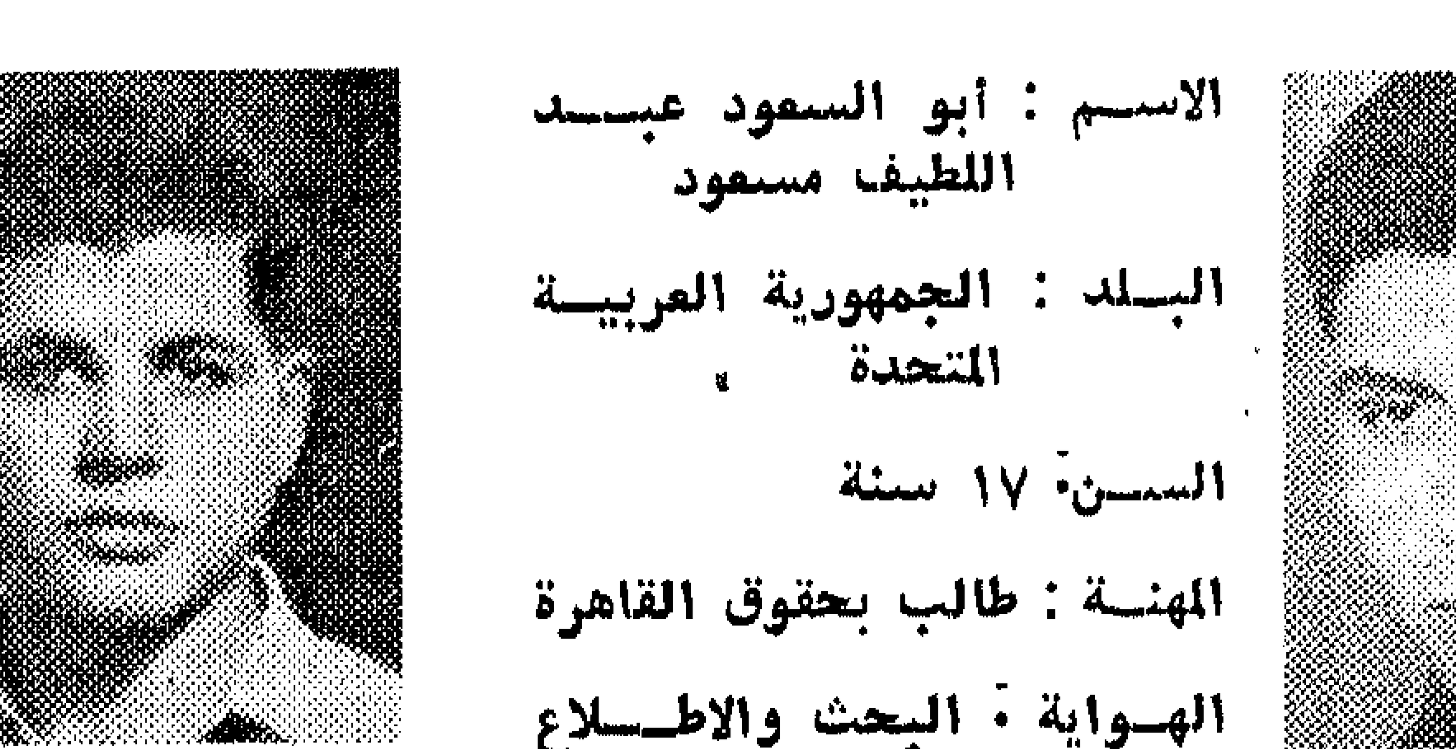
البلد : بلبيس

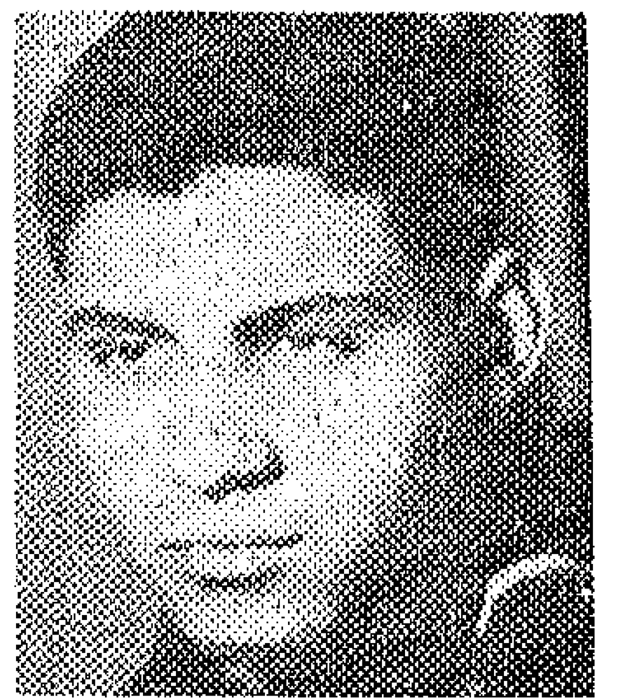
السن: ٢٧ سنة

المهنة : مدرس بمدرسة الفتح الابتدائية

الهواية : القراءة والاطلاع ـ البحوث الدينية ومراسلة الشباب المسلم

العنوان : بلبيس مدرسة الفتح الجمهورية العربية المتحدة





الاسم : أبو السعود عبد اللطيف مسعود

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

السن: ١٧ سنة

المهنة : طالب بحقوق القاهرة

الهواية : البحث والاطلاع ومراسلة الشباب المسلم

العنوان : سوهاج ـ منطقة سوهاج

الاسم : نيازى احمد عيسى

البلد : الجمهورية العربية المتحدة

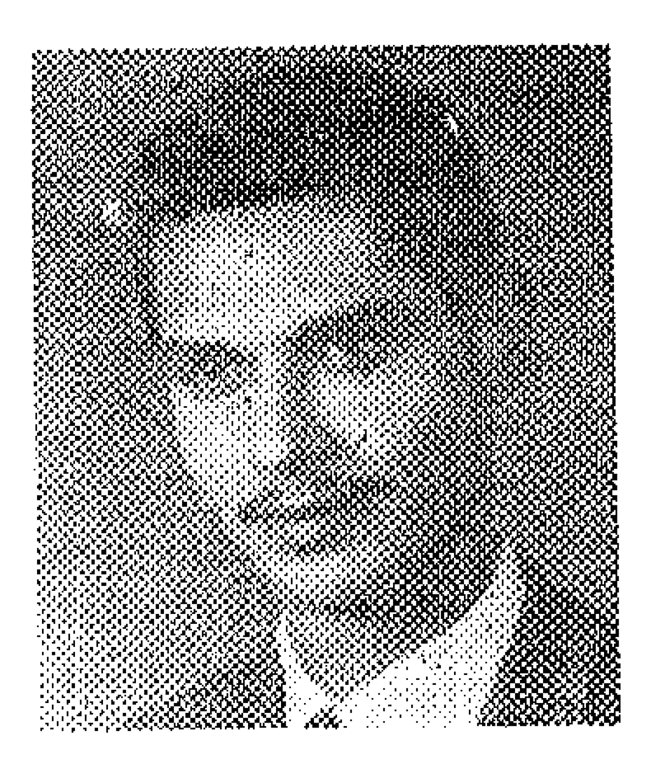
السن: ١٨ سنة

المهنة : طالب بزراعة عين شمس

الهواية : قراءة الادبوالشعر ومراسلة الشباب المسلم

العنوان : ٨٧ (ب) شارع شبرا مصر





الاسم : احمد عبد الرحيم السيد الحداد

البلد : طما ـ جزيرة طما محافظة سوهاج

السن: ٢٢ سنة

المهنة : طالب بالثانوية العامة

الهواية : قراءة الكتب الاسلامية ، مراسلة الشباب المسلم

العنوان : معهد التقوىوالارشاد ش سيدى حبيب بالمنيا



الاسم : عبد الباسط صالح عبد الله سبدرات

البلد : واد مدنى

السن : ١٨ سنة

المهنة : طالببالمدرسة الثانوية

الهواية : المراسلة والقراءة وقرض الشعر ـالمشى الطويل وكرة السلة

العنوان : السودان ـ وادمدنى

اقرأ فى هذا العـــدد :

صفحة